

بلدة طيبة

فضائل اليمن وأهلها في الكتاب والسنة

تأليف
أبي عبد الله
فيصل بن عبده بن قائد الحاشدي

تقديم
فضيلة الشيخ
أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام

مكتبة
الإمام الألباني
صنعاء

بلدة طيبة

فضائل اليمن وأهلها في الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٥٤٤/٢٠١٠



صنعاء

اليمن - صنعاء - شارع الرباط - جولة القادسية - هاتف: (٠١/٢١٢٢٨١)
فرع شميلة - حي شميلة - أمام جامع الخير - ص.ب: (١٣٠٠١) - هاتف: (٠١/٨٢٧٩٨٦)
فرع المكلا - حي السلام - مقابل مسجد بازرعة - هاتف: (٠٥/٣١٦٤٣٧)
جوال: (٧٧٧٢٣٧٤٣٨) - (٧١١١٣٧٤٣٨)

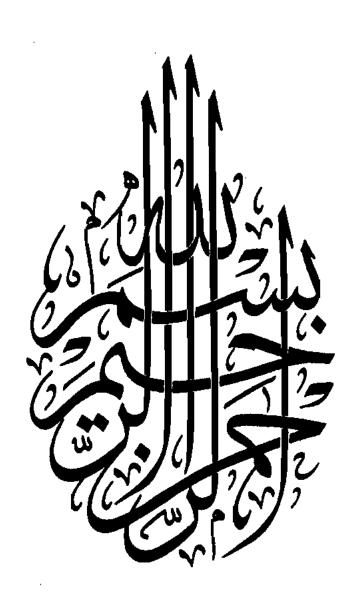
بلدة طيبة

فضائل اليمن وأهلها في الكتاب والسنة

تأليف
أبي عبد الله
فيصل بن عبده بن قائد الحاشدي

تقديم
فضيلة الشيخ
أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام







تقديم
الشيخ محمد بن عبد اللَّه الإمام

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فقد تصفحتُ رسالة أخينا الفاضل/ **فيصل بن عبده قائد الحاشدي** المسماة: (**بلدة طيبة**) فوجدتها رسالة قيمة، جمع فيها الأحاديث الصحيحة في مناقب أهل اليمن، وهذا من مميزات رسالته؛ لأن كثيرًا ممن كتبوا في هذا جمعوا بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة، واشتملت رسالته على فوائد قيمة، نسأل اللَّه أن ييسر نشرها وأن ينفع بها.

وكتبه أبو نصر
محمد بن عبد اللَّه الإمام
٢٠/ ٨/ ١٤٢٦هـ

المُقَدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفِرُهُ، ونعوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بَعْدُ، فهذِهِ زُجاجةُ عِطْرٍ عَبِقٍ[1] أُهديها لكُلِّ يمنيٍّ أَيْنَما كان، ونِعْمَتِ الهديّةُ أحاديثُ مَرْوِيَّةٌ، وآثارٌ سَنِيَّةٌ، ونِعْمَ الطِّيْبُ ما كان مَشْحُونًا بالفَوائدِ، مَمْلُوءًا مِنْ غُرَرِ[2] العوائدِ[3]، كَأَنَّهُ سَبيكةُ[4] عَسْجَدٍ[5] أو دُرٌّ مُنَضَّدٌ[6]، وسَمَّيْتُ تِلْكَ الزُّجاجةَ: «بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ» كما سمَّاها بارِئُ[7] النَّسَمِ[8]، ومُنْشِئُ الخَلْقِ مِنْ عَدَمٍ، اسْمٌ على مُسَمًّى، أَصْلُهُ ثابتٌ، وفَرْعُهُ في السَّماءِ.

خَلِيلَيَّ، طال اللَّيْلُ، والْتَبَسَ[9] القَذَى[10] بعَيْني، واسْتَأْنَسْتُ بَرْقًا يمانِيا

---

(١) عِطْر عَبِق: لاصق باقٍ، وبابُهُ فَرِحَ، وعَباقةً -أيضًا-، وعَبَاقِيَةً -بزِنَةِ ثمانِيَةٍ-.

(٢) غُرَر العوائدِ: نَفائسها وكرائمها، واحدتُها غُرَّةٌ -بالضَّمِّ-.

(٣) العوائد: المنافع، واحدتُها عائدةٌ.

(٤) السَّبيكة -بزِنَةِ السَّفِينةِ-: القطْعة المُذَوَّبة-، والجمع سَبائكُ.

(٥) عَسْجَد -بزِنَةِ جَعْفَرٍ-: مِنْ أَسْماءِ الذَّهَبِ.

(٦) مُنَضَّد: مُتراصِفٌ مضمومٌ بَعْضُهُ إلى بَعْضٍ.

(٧) بَرَأَ اللَّهُ الخَلْقَ -مِنْ بابِ قَطَعَ، وبُرُوءًا أيضًا-: خَلَقَهُم لا عَنْ مِثالٍ، فهو البارئُ.

(٨) النَّسَم: جَمْعُ نَسَمةٍ -بفتحتين-، وهي الإنسان، وتُجمع -أيضًا- على نَسَماتٍ.

(٩) الْتبس: اختلط.

(١٠) القَذَى: ما يقعُ في العَيْنِ مِنْ تُرابٍ، ووَسَخٍ، وغَيْرِ ذلك، والجمعُ أَقْذَاءٌ.

ولهذِهِ البَلْدَةِ فَضائِلُ جَمَّةٌ[١] في الكتابِ وصحيحِ السُّنَّةِ، حُجِبَتْ عَنِ الأنظارِ على رُفُوفِ النِّسْيان، لا تراها عُيُونُ النَّاظرينَ، ولا تَحُسُّ بها بصائِرُ الباحثينَ، فَتُخْرِجَهَا مِنْ صَدَفَاتِها، تُجَلِّيَهَا[٢] لرُوَّادِها عرائِسَ يَسُرُّ النَّاظرينَ اجْتِلَاؤُها، وحَدَائِق ذاتَ بَهْجَةٍ لطُلَّابِها.

ولقائِلٍ أن يقولَ: ولماذا حُجِبَتْ عَنِ الأبصارِ، وقَدْ دَوَّنَ[٣] عُلماءُ الأَمْصارِ[٤] في أَمْصَارِهِمْ ما هُوَ دُونَ[٥] ذلِكَ على تعاقُبِ الأَعْصَارِ؟!.

ونَحْنُ نَدَعُ الجَوابَ للْهَمْدانيِّ[٦].

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**إنَّ قِلَّةَ الرَّغْبَةِ بأَهْلِ اليَمَنِ في إحياءِ ما يكونُ في بِلادِهِمْ وفي أَهْلِها مِنَ الأخبارِ والآثار، وَلَهُمْ مِنَ الفَضَائِلِ والمحاسِنِ ما عُرِفَتْ.**

ومَعْلُومٌ أنَّهُ قَدْ كانَ في اليَمَنِ مِنَ المَحاسِنِ الحَسَنةِ في أخبارِ الدُّنيا في الجاهليَّةِ والإسْلامِ، وأخبارِ الدِّينِ في الإسْلامِ، وسائِرِ مكارِمِ الأَخْلاقِ، ونَوادِرِ العَجائبِ الَّتي قَدْ دَوَّنَ أَهْلُ العِراقِ، والحِجازِ، ومِصْرَ، والشَّامِ، وخُراسانَ ما هُوَ دُوْنَها، وأَحْيَوْا ما في طَبَقَتِها مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِهِمْ، وقُوَّادِهِمْ، وشُعَرائِهِمْ، وكُتَّابِهِمْ، وخُطَبائِهِمْ، وفُقَهائِهِمْ، وعُبَّادِهِمْ، وزُهَّادِهِمْ، ووُزَرائِهِمْ، وسُوْقَتِهِمْ[٧]، وعَوامِّهِمْ، وغَيْرِ ذَلكَ؛ ولهذا حَيِيَ النَّاسُ وماتُوا»[٨].

---

(١) جَمَّة -بالفتح-: كثيرة.

(٢) جَلَّى العَرُوسَ على بَعْلِهَا: عَرَضَها عليه مَجْلُوَّةً مَكْشُوفةً.

(٣) دَوَّنَ: كَتَبَ.

(٤) الأمصار: البُلْدان، واحِدُها مِصْرٌ -بالكسر-.

(٥) دُونَ ذلك -بضمِّ الدَّالِ-: أي أَقَلُّ منه وأَنْقَصُ.

(٦) هو المُؤَرِّخُ أبو العمرِ مُسَلَّمُ بْنُ مُحمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الحَجِّيُّ الهَمْدانيُّ الشطبيُّ اليَمَنِيُّ المُتَوَفَّى سَنَةَ (٥٥٠هـ).

(٧) السُّوقة -بالضَّمِّ-: الرَّعِيَّةُ الَّتي تَسُوسُها المُلُوكُ، سُمُّوا سُوقَةً؛ لأنَّ المُلُوكَ يَسُوقُونَهُم فَيَنْساقُونَ لهم، يَسْتوي فيه الواحِدُ والجَمْعُ، والمُذَكَّرُ والمُؤَنَّثُ، أو قَدْ يُجْمعُ على سُوَقٍ -بزِنَةِ غُرَفٍ-.

(٨) كتابُ «التقصار في جيدِ زَمانِ علَّامةِ الأقاليمِ والأمصار» لمحمَّدِ بْنِ الحَسَنِ الذِّمَارِيِّ (ص١٢).

وقال الشَّوْكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعلِّقًا: «وَايْمُ[١] الحَقِّ[٢]، إنَّها كلمةُ صِدْقٍ مِنْ رَجُلٍ صِدْقٍ، صادِرَةٌ عَنْ دِراسةٍ وتَمَعُّنٍ، فَنَحْنُ اليَوْمَ وبَعْدَ قُرُونٍ طَويلةٍ، نُعاني ما كان يُعانيهِ آباؤُنا وأَجْدادُنا»[٣].

ولا يَخْفَى على الفَطِنِ اللَّبيبِ[٤]، والذَّكِيِّ الأريبِ[٥] ما في غِبِّ[٦] هَذِهِ الرِّسالةِ مِنْ إِيْراءِ[٧] زَنْدِ[٨] العَمَلِ، وبَعْثِ نُورِ الأَمَلِ، والتَّرَفُّعِ عَنِ الهَمَلِ.

لَسْنَا -وَإِنْ كَرُمَتْ أَوَائِلُنا- يَوْمًا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْني كما كانَتْ أَوَائِلُنا تَبْنِي، ونَفْعَلُ مِثْلَما فَعَلُوا

وإنِّي لَمُعْتَرِفٌ بالتَّقصيرِ؛ فإنَّ المُعْتَرَكَ[٩] جِدُّ خَطيرٍ، وباعي في هذا المَيْدانِ قَصِيرٌ، فإنْ أَصَبْتُ فَمِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وإنْ زَلَلْتُ فَمِنْ نَفْسي ومِنَ الشَّيطانِ، وأستغفرُ اللَّهَ أَوَّلًا وآخِرًا، وظاهِرًا وباطنًا، وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ.

وكتبه/ أبو عَبْدِ اللَّهِ
فَيْصَلُ بْنُ عَبْدِهِ بْنِ قائدٍ الحاشديُّ
٢٧/ ٦/ ١٤٢٦هـ

---

(١) ايْمُ -بأَلِفِ الوَصْلِ المَفْتُوحَةِ والمكسورةِ- اسْمٌ وُضِعَ للقَسَمِ، وهو مَرْفُوعٌ بالابتداءِ، وخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، والتَّقديرُ: ايْمُ الحقِّ قَسَمي (أو: ما أُقْسِمُ به).

(٢) الحَقّ: مِنْ أسماءِ اللَّهِ ﷻ، أو مِنْ صِفاتِهِ، ومَعْنَاهُ: المَوْجُودُ حقيقةً، المُتَحَقِّقُ وُجُودُهُ وإلهيَّتُهُ.

(٣) «البدر الطَّالع» (١/ ٥٩)، (٢/ ٨١) للشَّوكانيِّ.

(٤) اللَّبيب: العاقل، والجمع أَلِبَّاءُ.

(٥) الأريب: العاقل، والجمع أُرَباءُ.

(٦) غِبُّ الشَّيءِ -بكسر الغَيْنِ-: عاقبتُهُ.

(٧) أَوْرَى الزَّنْدَ: استخرَجَ نارهُ.

(٨) الزَّنْدُ -بالفتح-: العُودُ الأَعلى الَّذي يُقْدَحُ بِهِ النَّارُ، والجمع أَزْنُدٌ، وأَزْنادٌ، وزُنُودٌ، وزِنادٌ، وأَزانِدُ جَمْعُ الجَمْعِ، وزَنْدُ العَمَلِ على المَثَلِ.

(٩) المُعْتَرَك: مَوْضِعُ العِرَاكِ والقِتالِ.

فَضائِلُ اليَمَنِ(١) وأَهْلِها في القُرآنِ الكريمِ

بَلْدَةٌ طَيِّبةٌ

قال اللَّه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

---

(١) حُدُودُ اليَمَنِ كما قال ياقُوتُ الحمويُّ في «مُعْجَم البُلْدَان» (٥/ ٥١٠- ٥١١): «قال الأَصْمعيُّ: اليَمَنُ وما اشْتَمَلَ عليه حُدُودُها بَيْنَ عُمَانَ إلى نَجْرانَ، ثُمَّ يَلْتوي على بَحْرِ العَرَبِ إلى عَدَنَ إلى الشَّحْرِ، حتَّى يجتازَ عُمَانَ، فينقطعَ مِنْ بَيْنُونَةَ، وبَيْنُونَةُ بَيْنَ عُمَانَ والبَحْريْنِ، ولَيْسَ بَيْنُونَةُ مِنَ اليَمَنِ. وقِيْلَ: حَدُّ اليَمَنِ مِنْ وَرَاءِ تَثْلِيثَ وما سامَتْهَا، إلى صَنْعَاءَ وما قارَبَها، إلى حَضْرَمَوْتَ والشَّحْرِ وعُمَانَ، إلى عَدَنِ أَبْيَنَ، وما يَلِي مِنَ التَّهائِمِ والنُّجُودِ، واليَمَنُ تَجْمَعُ ذلك كُلَّهُ، والنِّسْبةُ إليهم: يَمَنيٌّ، ويَمَانٍ -مُخَفَّفة-». اهـ.
وسَبَبُ تَسْمِيَتِها باليَمَنِ هو ما ذكره البُخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَقِبَ الحديثِ (٣٤٩٩)، قال: «سُمِّيَتِ اليَمَنَ؛ لأنَّها عَنْ يَمِينِ الكَعْبةِ، والشَّأْمَ؛ لأنها عَنْ يسارِ الكَعْبةِ، والمَشْأَمةُ: المَيْسَرةُ، واليَدُ اليُسْرَى: الشُّؤْمَى، والجانبُ الأَيْسَرُ: الأَشْأَمُ». قال الحافظُ ابْنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ في حديثِ أبي هُرَيْرَةَ: «والإيمانُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ» ظاهِرُهُ نِسْبةُ الإيمان إلى اليَمَنِ؛ لأنَّ أَصْلَ يَمَانٍ يَمَنِيٌّ، فَحُذِفَتْ ياءُ النَّسَبِ، وعُوِّضَ بالأَلِفِ بَدَلَها، وقولُهُ: «يَمَانِيَةٌ» هو بالتَّخْفيفِ، وحَكَى ابْنُ السِّيِّدِ في «الاقتضابِ»: أنَّ التَّشْديدَ لُغَةٌ، وحَكَى الجَوْهريُّ وغَيْرُهُ -أيضًا- عَنْ سِيبَوَيْهِ جَوَازَ التَّشديدِ في يَمَانيٍّ، وأَنْشَدَ:

يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشُدُّ كِيْرًا وَيَنْفُخُ -دائمًا- لَهَبَ الشُّوَاظِ

وقال في قول البُخاريِّ: «سُمِّيتِ اليَمَنَ؛ لأنَّها عَنْ يَمِينِ الكَعْبةِ»: هُوَ قَوْلُ أبي عُبَيْدَةَ، قاله في تَفْسيرِ الواقعةِ، ورُوِيَ عَنْ قُطْرُبٍ قال: إنَّما سُمِّيَ اليَمَنُ يَمَنًا لِيُمْنِهِ، والشَّامُ شَأْمًا لِشُؤْمِهِ. وقال الهَمْدانيُّ في «الأنْسَاب»: لمَّا ظَعَنَتِ العَرَبُ العارِبَةُ أَقْبَلَ بَنُو قَطَنِ بْنِ عامرٍ فتيامَنُوا، فقالتِ العَرَبُ: تَيامَنَتْ بَنُو قَطَنٍ؛ فَسُمُّوا اليَمَنَ، وتَشَاءَمَ الآخَرُونَ؛ فَسُمُّوا شامًا.
وقِيْلَ: إنَّ النَّاسَ لمَّا تَفَرَّقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ حِينَ تَبَلْبَلَتْ بِبَابِلَ، أَخَذَ بَعْضُهُمْ عَنْ يَمِينِ الكَعْبةِ؛ فَسُمُّوا يَمَنًا، وأَخَذَ بَعْضُهُمْ عَنْ شِمالِها؛ فَسُمُّوا شَأْمًا. وقيل: إنَّما سُمِّيَتِ اليَمَنُ بِيَمَنِ بْنِ قَحْطَانَ، وسُمِّيَتِ الشَّامُ بِسَامِ بْنِ نُوحٍ، وأَصْلُهُ شَامٌ -بالمُعْجَمةِ، ثُمَّ عُرِّبَ بالمُهْمَلَةِ-». اهـ
«فتح الباري» (٧/ ٢١٨).
وقال العَيْنيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سُمِّيَتِ اليَمَنَ؛ لأنَّها عَنْ يَمِينِ الكَعْبةِ، وهُوَ قَوْلُ الجُمْهُورِ». انظر «الفتح» (١٦/ ٧٢).

عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ المُراديِّ قال: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، أَلَا أُقاتِلُ مَنْ أَدْبَرَ[١] مِنْ قَوْمي بِمَنْ أَقْبَلَ؟[٢]. فَأَذِنَ لي في قتالِهِمْ وأَمَّرَني[٣]، فلمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ سَأَلَ عنِّي: «ما فَعَلَ الغُطَيْفيُّ؟». فَأُخْبِرَ أَنِّي قَدْ سِرْتُ.

قال: فَأَرْسَلَ في أَثَري[٤] فَرَدَّني، فأَتَيْتُهُ وَهُوَ في نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ، فقال: «**ادْعُ القَوْمَ، فَمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ فاقْبَلْ مِنْهُ، ومَنْ لم يُسْلِمْ فلا تَعْجَلْ، حتَّى أُحْدِثَ إليك**».

قال: وأُنْزِلَ في سَبَإٍ ما أُنْزِلَ[٥]، فقال رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، وما سَبَأٌ: أَرْضٌ أَوِ امْرَأَةٌ؟.

قال: «**لَيْسَ بأَرْضٍ ولا امْرَأَةٍ، ولكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةً مِنَ العَرَبِ**[٦]**، فتَيَامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ**[٧]**، وتَشَاءَمَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ**[٨][٩]**، فأَمَّا الَّذينَ تَشَاءَمُوا: فَلَخْمٌ، وجُذَامٌ، وغَسَّانُ، وعامِلَةُ، وأَمَّا الَّذينَ تيامَنُوا: فالأَزْدُ، والأَشْعَرِيُّونَ، وحِمْيَرُ، وكِنْدَةُ، ومَذْحِجُ، وأَنْمارُ**».

فقال رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، وما أَنْمارُ؟. قال: «**الَّذينَ مِنْهُمْ خَثْعَمُ وبَجِيلَةُ**»[١٠].

---

(١) أَدْبَرَ: أَعْرَضَ عَنِ الإسلامِ.

(٢) أَقْبَلَ: آمَنَ.

(٣) أمَّرَني: جَعَلَني أَمِيرًا.

(٤) في أَثَري -بفتحتين- أيْ: بَعْدِي.

(٥) أيْ: أُنْزِلَ قولُهُ -تعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾... الآية.

(٦) أيْ: كان مِنْ نَسْلِهِ هَؤلاءِ العشرةُ الَّذينَ يَرْجِعُ إليهم أُصُولُ القبائلِ مِنْ عربِ اليَمَنِ، لا أنَّهم وُلِدُوا مِنْ صُلْبِهِ، بَلْ منهم مَنْ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ الأَبَوَانِ والثَّلاثةُ، والأَقَلُّ والأَكْثَرُ.

(٧) تيامَنَ منهم ستَّةٌ أيْ: أَخَذُوا ناحيةَ اليَمَنِ، وسَكَنُوا بها.

(٨) تشاءَمَ منهم أربعةٌ أيْ: أَخَذُوا ناحيةَ الشَّامِ، وسَكَنُوا بها.

(٩) أيْ: بَعْدَما أرسل اللَّهُ -تعالى- عليهم سَيْلَ العَرِمِ، مِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ ببلادِهِمْ، ومنهم مَنْ نَزَحَ عنها إلى الشَّامِ.

(١٠) صحيحٌ: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (٣٢٢٢)، وأبو داوُدَ (٣٩٨٨)، والطَّبَرَانِيُّ (٢٨٧٨٣)، وأحمدُ في «العِلَلِ» (٥٨٢٩)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذِيِّ» (٢٥٧٤).

قلتُ: يُسْتفادُ مِنَ الحديثِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يَأْذَنْ لفَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ في قِتالِ مَنْ لم يُسْلِمْ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ رَغْبةً في إسلامِهِمْ دُونَ قِتالٍ؛ لِما لهم مِنَ الفَضائل -وقدْ كان ذلك كما سَيأْتي- ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَقِبَ ذلك في سَبَأٍ ما أَنْزَلَ، ووَصَفَ بَلْدَتَهُمْ بالطَّيِّبة، فَتَبْقى البلادُ طيِّبةً على الأَصْلِ الَّذي وَصَفَها اللَّهُ بِهِ، وإنْ أَعْرَضَ بَعْضُ أَهْلِها وتَوَلَّوْا، يَسْتَبْدِلْ قومًا غَيْرَهم، يَعْبُدُونَهُ ولا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، كما هو الحالُ في مكَّةَ، على الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ في الجاهليَّةِ، فمكَّةُ هي مَكَّةُ، أحبُّ البِلادِ إلى اللَّهِ وإلى رَسُولِهِ، ولم يُغَيِّرْ مِنْ حَقِيْقَتِها النَّاصِعَةِ شيْءٌ.

زِدْ على ذلك أنَّ مِنْ مِيْزاتِ كتابِ اللَّه الإعجازَ والخُلُودَ، فَمِنْ ناحِيةِ الخُلُودِ يُؤْخَذُ أنَّ طِيبةَ هذا البَلَدِ أَمْرٌ مُسْتَمِرٌّ إلى يوم القِيامةِ، ومِنْ ناحيةِ الإعْجازِ يُؤْخَذُ مِنْ كلمة «طَيِّبة» عَدَمُ قُدْرةِ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ أنْ يَصِفَها بكلمةٍ واحدةٍ مِثْلِها، مَعَ شُمُولِها لكُلِّ ما تَنْطوي عليه مِنْ خَيْراتٍ نافعةٍ[١].

وهذا ما يُشيرُ إليه الإمامُ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «**ولا رَيْبَ أنَّ الجُمْلَةَ الاسْمِيَّةَ تَقْتَضي الثُّبُوت واللُّزُومَ**»[٢].

* * *

(١) انظر «تاريخ اليَمَن» لعبد الواسع الواسعي (ص٣٦٨).

(٢) «الرِّسالة التَّبوكيَّة» (ص٢١١).

أَهْلُ اليَمَنِ يُحِبُّهُمُ اللَّـهُ ويُحِبُّونَهُ

قال اللَّهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

عَنْ عِياضٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾... أَوْمَأَ[١] رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبي مُوْسَى بشيءٍ كان مَعَهُ، فقال: «**هُمْ قَوْمُ هذا**»[٢].

وعَنْ جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تعالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال: «**هؤلاءِ قومٌ مِنَ اليَمَنِ، ثُمَّ مِنْ كِنْدَةَ[٣]، ثُمَّ مِنَ السَّكُوْنِ[٤]، ثُمَّ مِنْ تُجِيْبَ[٥]**»[٦].

وأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ بسَنَدِهِ عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾...، قال عُمَرُ: أنا وقَوْمي، يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «بَلْ

---

(١) أَوْمَأَ: أَشارَ.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٣)، وابن أبي شَيْبَةَ في «مسنده» (١٢/ ١٢٥)، وابْنُ جَرِيرٍ في «تفسيره»= =(١٢١٩٣)، والطَّبَرانِيُّ في «الكبير» (١٧/ ٣٧١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٣٦٨)، وصحَّحهُ -أيضًا- شيخُنا الوَادِعيُّ في «رياض الجنة» (ص١١٧).

(٣) كِنْدَة -بالكسر-: قبيلةٌ يمنيَّةٌ شهيرةٌ ينتسبون إلى كِنْدةَ بْنِ عُفَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ ينتهي نَسَبُهُمْ إلى كَهْلانَ بْنِ سَبَإٍ، ولها بقيَّةٌ إلى يَوْمِنا هذا في حَضْرَمَوْتَ وغَيْرِها، واسْمُ كِنْدةَ ثَوْرٌ، لُقِّبَ بِكَنْدَةَ؛ لأَنَّهُ كَنَدَ أَباهُ النِّعْمَةَ، ولَحِقَ بأَخْوالِهِ.

(٤) السَّكُون بزِنَةِ غَفُورٍ -: فَخِذٌ مِنْ كِندَةَ.

(٥) تُجِيب -بضمِّ التَّاءِ المُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقُ، وكَسْرِ الجيم، آخِرُهُ باءٌ مُوَحَّدَةٌ-:
أبو قبيلةٍ مِنْ كِنْدَةَ: انظر تعليقات العلَّامة الأكوع على «صفة جزيرة العرب».

(٦) حسن: أخرجه الحاكم في «الكُنَى» كما في «الدُّرّ المنثور» (٣/ ١٠٢)، وابن أبي حاتمٍ في «تفسيرِهِ» (٦٥٣٤)، والطَّبَرانيُّ في «الأوسط» (١٣٩٢)، وحسَّنه الألبانيُّ في (الصَّحيحة» تحت حديث (٣٣٦٨).

هذا وقَوْمُهُ» يَعْني: أبا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ[1].

قال الإمامُ الشَّوْكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا عَرَفْتَ أنَّ هذِهِ الآيةَ نازِلَةٌ فيهم بهذِهِ الأحاديثِ، فاعْلَمْ أنَّها قَدِ اشْتَمَلَتْ على مَناقِبَ[2] لأَهْلِ اليَمَنِ:

* **المَنْقَبَةُ الأُولَى:**

* **اختصاصُ أَهْلِ اليَمَنِ بهذِهِ المَزِيَّةِ العَظِيمةِ**: وهي أنَّ اللَّهَ تَعَالَى يأْتي بهم عِنْدَ ارتدادِ غَيْرِهِمْ مِنْ قَبائِلِ العَرَبِ، الَّتي هي ساكنةٌ في هذِهِ الجزيرةِ على اختلافِ أنواعِها وتَبَايُنِ صِفاتِها، فإنَّ ذلك لا يكونُ إلَّا لمزيدِ شَرَفِهِمْ، وأنَّهم حِزْبُ اللَّهِ عِنْدَ خُرُوجِ غَيْرِهِمْ مِنْ هذا الدِّيْنِ.

* **المَنْقَبَةُ الثَّانيةُ:**

قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: فليس بَعْدَ هذِهِ الكرامةِ والتَّشْرِيفِ مِنَ اللَّهِ -سبحانَهُ- شَيْءٌ، فإنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ قَدْ سَعِدَ سَعادةً لا تُماثِلُها سَعَادَةٌ، وشَرُفَ شَرَفًا لا يُقاسُ به شَرَفٌ، وفَازَ فَوْزًا لا يُعادِلُهُ فَوْزٌ، وأُكْرِمَ كرامةً لا تُساوِيهَا كَرامةٌ.

* **المَنْقَبَةُ الثَّالِثَةُ:**

قولُهُ: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: وهذِهِ كَرامةٌ جَليلةٌ، ومَنْقَبةٌ جَميلةٌ؛ فإنَّ كَوْنَ الْعبْدِ الحَقِيرِ مُحبًّا لربِّهِ عَزَّ وَجَلَّ هي الغايةُ القُصْوَى في الإيمانِ الَّذي هُوَ سَبَبُ الفَوْزِ بالنَّعيمِ الدَّائِمِ، وسَبَبُ النَّجاةِ مِنَ العذابِ الأليمِ، ومِنْ عِظَم مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ودَلائِلِ صِحَّتِها: اتِّباعُ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ، والاقتداءُ بِهِ، والاهتداءُ بهَدْيِهِ الشَّريفِ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) صحيح: أخرجه ابْنُ جَريرٍ في «تفسيره» (١٢١١)، ورجالُهُ رجالُ الصَّحيح غَيْرَ مُحمَّدِ بْنِ عوْفٍ الطَّائِيِّ الحِمْصِيِّ شَيْخِ ابْنِ جَريرٍ، وهو «ثِقَةٌ» كما في «تقريب التَّهذيب» (ص ٥٠٠).

(٢) المناقب: المَفاخِرُ ضِدُّ المَثالِبِ، واحدَتُها مَنْقَبَةٌ.

فمن أحبَّ اللَّه، واتَّبعَ رَسُولَهُ ﷺ؛ فاز بحُبِّ اللَّه ﷻ له، وبمَحْوِ ذنوبِهِ، وارتفاعِ دَرَجَتِهِ بَيْنَ عِبادِ اللَّهِ المُؤْمنينَ.

* **المَنْقَبَةُ الرَّابعَةُ:**

قَوْلُهُ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: فإنَّ الذِّلَّةَ لأَهْلِ الإيمانِ مِنْ أَشْرَفِ خِصالِ المُؤْمِنينَ، وأَعْظَمِ مَنَاقِبِهِمْ، وهُوَ التَّواضُعُ الَّذِي يَحْمَدُهُ اللَّهُ ﷻ، ويَرْفَعُ لصاحِبِهِ الدَّرَجاتِ، وفِي ذلك الخُلُوصُ مِنْ مَعَرَّةٍ[1] كَثيرٍ مِنْ خِصالِ الشَّرِّ، التِي مِنْ جُمْلَتِهَا الْكِبْرُ والْعُجْبُ.

* **المَنْقَبَةُ الْخَامِسَةُ:**

قولُهُ ﷻ: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: فإنَّ ذلِكَ هُوَ أَثَرُ الصَّلابةِ في الدِّينِ، والتَّشدُّدِ فِي القِيامِ بِهِ، والكَرَاهةِ لأَعْدائِه، والغِلْظَةِ عَلَى الخارِجِينَ عَنْهُ.

* **المَنْقَبَةُ السَّادِسَةُ:**

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فإنَّ الجِهادَ هُوَ رَأْسُ الواجباتِ الشَّرْعِيَّةِ، وبِهِ يقومُ عِمادُ الدِّينِ، وَيرْتَفِعُ شَأْنُهُ، وتتَّسِعُ دَائِرةُ الإِسْلامِ، وتتقاصَرُ جَوانِبُ الكُفْرِ، ويُهْدَمُ أَرْكَانُهُ.

* **المَنْقَبَةُ السَّابِعَةُ:**

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: وهذا هُوَ شَأْنُ الإخْلَاصِ والقِيامِ لِلهِ ﷻ، وعَدَمِ المُبالاةِ بِما يُخالِفُ الحَقَّ، ويُبَايِنُ الدِّينَ.

وجاء بالنَّكِرَةِ فِي سِياقِ النَّفْيِ، فَيَشْملُ كُلَّ لائمةٍ تَصْدُرُ مِنْ أَيِّ لائمٍ كانَ، سواءٌ كَانَ جليلًا أو حقيرًا، قريبًا أو بعيدًا.

وما أَدَلَّ هذِهِ المَنْقَبَةَ عَلَى قِيامِهِمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ بمَعْرُوفٍ، أو نَهْيٍ عن مُنْكَرٍ القِيامَ

(١) المَعَرَّة -بزِنَةِ المَجَرَّةِ-: الإثْمُ.

الذِي لا تُطاوِلُهُ الجِبالُ، ولا تُرَوِّعُهُ الأَهْوَالُ!.

ولمَّا جَمَعَ اللَّهُ ﷻ لَهُم هذِهِ المَناقِبَ فِي هذِهِ الآيةِ الشَّرِيفةِ، نبَّهَهُمْ عَلَى عَظِيمِ العَطِيَّةِ، وجَلِيلِ الإحسانِ، فقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

ففيهِ تَلْمِيحٌ إِلَى أَنَّهُ قَدْ جَمَعَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ما لَمْ يَتَفَضَّلْ به عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ عِبادِهِ، وكأنَّ ذلِكَ كالجَوابِ عَلَى مَنْ رَامَ[١] أَنْ يَحْصُلَ له ما حَصَلَ لَهُمْ مِنْ هذِهِ المَناقِبِ العَظِميةِ، أو نافَسَهُمْ فيها، أو حَسَدَهُم عليها»[٢]. اهـ باختصارٍ يسيرٍ.

* * *

(١) رامَ الشَّيْءَ: طَلَبَهُ، وبابُهُ قَالَ.

(٢) «القول الحسن في فضائل أهل اليمن» لشيخ الإسلام الشَّوْكانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٣٣- ٤٠).

أَهْلُ اليَمَنِ يَدْخُلُونَ في دِينِ اللَّهِ أَفْواجًا

قال اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ١، ٢].

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: لمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا، الإيمانُ يَمَانٍ، والفِقْهُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**»[1] وعن ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ﴾، فقال: «**هُمْ أَهْلُ اليَمَنِ**»[2].

وعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: بَيْنَما النَّبيُّ ﷺ بالمدينةِ إذْ قَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ! ، اللَّهُ أَكْبَرُ! ، جاء نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ، وجاء أَهْلُ اليَمَنِ: قَوْمٌ نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيِّنَةٌ طِبَاعُهُمْ، الإيمانُ يَمَانٍ، والفِقْهُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**»[3].

* * *

---

(١) صحيح: أخرجه عبد الرزَّاق في «تفسيره» (٢/ ٤٠٤)، وأحمدُ في «المسند» (٧٧٠٩) من طريق عبد الرزَّاق -أيضًا-، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٣٦٩).

(٢) حسن: أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (١١٩٠٣)، والنَّسائيُّ في «الكبرى»، كما في «التحفة» (٥/ ١٧٢)، والبُخاريُّ في «التاريخ» (٣/ ١٩٥)، وحسَّن إسنادَهُ الألبانيُّ رحمه الله في «الصَّحيحة» تحت حديث (٣٣٦٩)، وقال بَعْدَ ذِكْرِهِ للحديثين وغَيْرِهما: «**إنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ وفَّقَني لتخريج هذِهِ الفَضائِلِ لأَهْلِ اليَمَنِ وإحيائِها، وبخاصَّةٍ حديث التَّرجَمَةِ (أي: حديث أبي هُرَيْرَةَ السَّابق)، فَقَدْ خَفِيَ على كثيرٍ من الحُفَّاظِ والمُخَرِّجِينَ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ**». انظر «الصحيحة» (٩/ ١٤٩).

(٣) صحيح: أخرجه ابْنُ حِبَّانَ في «موارد الظَّمْآن» (٢٢٩٩)، وقال الألبانيُّ في «صحيح موارد الظَّمْآن» (١٩٥٧): صحيحٌ لغيره، وانظر -أيضًا- «التعليقات الحِسان» (٧٢٥٤).

فَضائِلُ اليَمَنِ وأَهْلِها في سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ

رُجْحانُ إيمانِ أَهْلِ اليَمَنِ

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وأَلْيَنُ قُلُوبًا[1]، الإيمانُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، والفَخْرُ والخُيَلاءُ[2] في أَصْحابِ الإِبِلِ، والسَّكينةُ[3] والوَقَارُ في أَهْلِ الغَنَمِ»[4] مُتَّفقٌ عَلَيْهِ.**

- وفي لَفْظٍ لهما[5]: عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، أَضْعَفُ قُلُوبًا، وأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الفِقْهُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»[6].**

---

(١) قال الخَطَّابيُّ رحمه الله كما في «الفتح» (٨/ ٤٣٥): «قولُهُ: «هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وأَلْيَنُ قُلُوبًا» أيْ: لأنَّ الفُؤادَ غِشاءُ القَلْبِ، فإذا رَقَّ نَفَذَ القَوْلُ، وخَلَصَ إلى ما وَرَاءَه، وإذا غَلُظَ بَعُدَ وُصُولُهُ إلى داخِلٍ، وإذا كان القَلْبُ لَيِّنًا عَلِقَ كُلَّ ما يُصادِفُهُ». اهـ

(٢) الخُيَلاء -بضمِّ المُعْجَمَةِ، وفَتْحِ التَّحْتانيَّةِ والمدِّ-: الكِبْرُ واحتقار الغَيْرِ.

(٣) السَّكينة: الطُّمَأْنِينَةُ والسُّكُون والوَقار والتَّواضُع.

(٤) رواه البُخاريُّ (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).

(٥) رواه البُخاريُّ (٤٣٩٠)، ومسلم (٨٤/ ٥٢).

(٦) قال البَغَويُّ رحمه الله في «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٢٠١، ٢٠٢): «**هذا ثناءٌ على أَهْلِ اليَمَنِ؛ لإسراعِهِمْ إلى الإيمانِ، وحُسْنِ قَبُولِهِمْ إيَّاهُ**».

وقال الحافظُ -كما في «الفتح» (٨/ ٤٣٥)-: «إنَّ الرِّوايةَ الَّتي فيها: «**أتاكم أَهْلُ اليَمَنِ**» تَرُدُّ قَوْلَ مَنْ قال: إنَّ المُرادَ بقوله: «**الإيمانُ يَمَانٍ**»: الأَنْصَارُ وَغَيْرُ ذلك:

وَقدْ ذَكَرَ ابْنُ الصلاحِ قول أبي عُبَيْدٍ وغَيْرِهِ: إنَّ معنى قَوْلِهِ: «**الإيمانُ يَمَانٍ**»: أنَّ مَبْدَأَ الإيمانِ مِنْ مَكَّة؛ لأنَّ مَكَّةَ مِنْ تِهَامَةَ، وتِهامةُ مِنَ اليَمَنِ، وقِيلَ: المُرادُ: مَكَّةُ والمدينةُ؛ لأنَّ هذا الكلامَ صَدَرَ وَهُوَ ﷺ بِتَبُوكَ، فتكونُ المدينةُ حِينَئِذٍ بالنِّسْبةِ إلى المَحَلِّ الَّذي هُوَ فيه يَمَانِيَةً.

والثَّالِثُ -وَاختاره أبو عُبَيْدٍ-: أنَّ المُرادَ بذلك: الأَنْصارُ؛ لأنَّهم يَمَانِيُّونَ في الأَصْلِ، فَنَسَبَ الإيمانَ إليهم لكَوْنِهِمْ أَنْصارَهُ.

وقال ابْنُ الصلاحِ: ولو تَأَمَّلُوا أَلْفاظَ الحديثِ لما احتاجوا إلى هذا التَّأْوِيلِ؛ لأنَّ قَوْلَهُ: «**أتاكم أَهْلُ اليَمَنِ**» خِطابٌ للنَّاسِ، ومِنْهُمُ الأَنْصار؛ فيتعَيَّنُ أنَّ الَّذينَ جاءوا غَيْرُهُمْ. =

وعن أبي مَسْعُودٍ ﷺ قال: أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ، فقال: **«الإيمانُ يَمَانٍ هَاهُنا، أَلَا إنَّ القَسْوَةَ وغِلَظَ القُلُوبِ في الفَدَّادِيْنَ -عِنْدَ أُصُولِ أَذْنابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنا الشَّيْطانِ[(١)] - في رَبِيعةَ ومُضَرَ»**[(٢)].

قال ابْنُ حَجَرٍ ﷺ: «قَوْلُهُ: «أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ، فقال: الإيمانُ» فيه تَعْقِيبٌ على مَنْ زَعَمَ أنَّ المُرادَ بقَوْلِ: «**يَمَانٍ**»: الأَنْصَارُ؛ لكَوْنِ أَصْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ؛ لأنَّ في إشارتِهِ إلى جِهَةِ اليَمَنِ ما يَدُلُّ على أنَّ المُرادَ بِهِ: أَهْلُها حِيْنَئِذٍ، لا الذينَ كان أَصْلُهُمْ منها، وسَبَبُ الثَّناءِ على أَهْلِ اليَمَنِ إسْراعُهُمْ إلى الإيمانِ وقَبُولُهمْ، وقَدْ تَقدَّمَ قَبُولُهُمُ البُشْرَى حِيْنَ لَمْ تَقْبَلْها بَنُو تَمِيم»[(٣)].

هذا الحديثُ مِنْ أَعْظَمِ الأدلَّةِ الدَّالةِ على فَضْلِ أَهْلِ اليَمَنِ وعُلُوِّ كَعْبِهِمْ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الفَضَائِلِ إلَّا هذا الحديثُ لكفاهم شَرَفًا، فكيف إذا انضافتْ إليه عَشَراتُ الأحاديثِ؟! بَلْ كيف لَوْ أُضِيفَ إليه ما حَكَاهُ اللَّهُ عنهم في كتابِهِ الكريمِ، ونَوَّهَ بذِكْرِهِمْ[(٤)] وذِكْرِ فَضْلِهِمْ؟!!.

قال شيخُ الإسلامِ الشَّوْكانيُّ ﷺ: «هذِهِ الألفاظُ الثَّابتةُ في «الصَّحِيْحيْنِ»

= قال: ومَعْنَى الحديثِ: وصف الَّذِين جاءُوا بُقوَّةِ الإيمانِ وكَمالِهِ، ولا مَفْهُومَ لَهُ.
قال: ثُمَّ المُرادُ: المَوْجُودُونَ حِيْنَئِذٍ منهم، لا كُلُّ أَهْلِ اليَمَنِ في كُلِّ زَمانٍ. انتهى.
ولا مانِعَ أنْ يَكُونَ المُرادُ بقولِهِ: «**الإيمانُ يَمَانٍ**»: ما هُوَ أعمُّ ممَّا ذَكَرَهُ أبو عُبَيْدٍ، وما ذكره ابْنُ الصلاحِ، وحاصِلُهُ: أنَّ قَوْلَهُ: «**يَمَانٍ**» يَشْمَلُ مَنْ يُنْسَبُ إلى اليَمَنِ بالسُّكْنَى وبالقَبِيلَةِ، لكن كون المُرادِ به: مَنْ يُنْسَبُ بالسُّكْنَى أَظهَر، بَلْ هُوَ المُشَاهَدُ في كُلِّ عَصْرٍ مِنْ أَحْوالِ سُكَّانِ جِهَةِ اليَمَنِ وجِهَةِ الشَّمالِ، فغالِبُ مَنْ يُوْجَدُ مِنْ جِهَةِ اليَمَنِ رِقاقُ القُلُوبِ والأَبْدانِ، وغالِبُ مَنْ يُوجَدُ مِنْ جِهَةِ الشَّمالِ غِلاظُ القُلُوبِ والأَبْدانِ». اهـ.

(١) قَرْنا الشَّيطان: جانبا رَأْسِهِ، ضَرَبَ المَثَلَ بقَرْنَي الشَّيطانِ فيما لا يُحْمَدُ مِنَ الأمورِ. وقيل: هُما جَمْعَاهُ اللَّذانِ يُغْرِيهما بإضلالِ النَّاسِ. وقيل: شِيْعَتَاهُ مِنَ الكُفَّارِ.
(٢) رواه البُخاريُّ (٣٣٠٢)، ومسلم (٥١).
(٣) «فتح الباري» (٦/ ٥٠٨).
(٤) نَوَّهَ بذِكْرِهم: رَفَعَهُ.

وغَيْرِهِمَا قَدِ اشْتَمَلَتْ على مَنَاقِبَ عظيمةٍ، وفَضائِلَ كريمةٍ:

*** الأُولَى منها:**

أَنَّهُ أَثْبَتَ لهمَ ﷺ رِقَّةَ الأَفْئِدَةِ، ولِيْنَ القُلُوبِ.

وهذِهِ مَنْقَبَةٌ عظيمةٌ؛ لأنَّ هذا الوَصْفَ هُوَ شَأْنُ أَهْلِ الإيمانِ، ولهذا جَعَلَ ﷺ القَسْوَةَ وغِلَظَ القُلُوبِ في الفَدَّادِيْنَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطانِ في رَبِيعةَ ومُضَرَ، هكذا في «الصَّحِيْحَيْنِ»[١]، وفي لَفْظٍ لهما أنَّه قال بَعْدَ قَوْلِهِ: «**الإيمانُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ**»: «**ورَأْسُ الكُفْرِ قِبَلَ المَشْرِقِ**»[٢].

فَرِقَّةُ الفُؤادِ ولِيْنُ القَلْبِ وَصْفَانِ مُلازِمانِ للإيمانِ القَوِيِّ، والدِّيْنِ السَّوِيِّ.

*** الثَّانية منها:**

قوله ﷺ: «**الإيمانُ يَمَانٍ**»:

فإنَّ هذا اللَّفْظَ يُشْعِرُ بقَصْرِ الإيمانِ عليهم بحيثُ لا يتجاوَزَهُم، ولكن لمَّا كان الإيمانُ قَدْ وُجِدَ في غَيْرِهِمْ مِنَ القبائلِ وسُكَّانِ الأَرْضِ؛ كان هذا الحَصْرُ مَحْمُولًا على المُبالغةِ في إثباتِ الإيمانِ لهم، وأنَّ إيمانَهُم هُوَ الفَرْدُ الكامِلُ مِنْ أَفْرادِ الإيمانِ الذي لا يُساويهِ غَيْرُهُ، ولا يُدانِيهِ[٣] سِواهُ، وهذا هُوَ الحَصْرُ الذي يُسَمِّيهِ أَهْلُ البَيَانِ: «**ادِّعائيًّا**»، ولا شَكَّ ولا رَيْبَ أنَّ الإيمانَ يتفاوتُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يكونُ إيمانُهُ كالجِبالِ الرواسي التي لا يُحَرِّكُها شيءٌ، ولا يُزَلْزَلُ بالشُّبَهِ وإنْ بَلَغَتْ أيَّ مَبْلَغٍ، ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ إيمانُهُ دُونَ ذلِكَ.

وقَدْ جاءَتِ الأَدِلَّةُ الصَّحيحةُ قاضِيةً بأنَّ الإيمانَ يَزِيدُ ويَنْقُصُ، فللَّهِ هذِهِ المَنْقَبةُ التي تتقاصَرُ الأَذْهانُ عَنْ تَصَوُّرِ كُنْهِهَا[٤].

---

(١) البخاريُّ (٤٣٨٧)، ومسلم (٥١) من حديث أبي مَسْعُودٍ.

(٢) البُخاريُّ (٣٣٠١)، ومسلم (٩٠/ ٥٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٣) لا يُدانيه: لا يُقارِبُهُ.

(٤) كُنْهها -بضمِّ الكاف-: قَدْرها وحقيقتها.

وبالجُمْلَةِ: فالإيمانُ هُوَ رَأْسُ مالِ كُلِّ مَنْ يَدِينُ بهذا الدِّين، فإذا فاقُوا فيه غَيْرَهُم فَقَدْ ظَفِرُوا بالخَيْرِ أَجْمَعَ، ونالُوا الغايَةَ التي لَيْسَ وَرَاءَها غايةٌ، والمَنْقَبَةَ التي تتقاصَرُ عِنْدَها كُلُّ مَنْقَبَةٍ.

* **الثَّالثة منها:**

قولُهُ ﷺ: «**والحِكْمةُ يَمَانِيَةٌ**»:

ففي هذا إثباتُ الحِكْمَةِ لهم على طريقِ المَبالغةِ، وأنَّ لهم فيها الْحَظَّ الذي لا يُدَانِيهِ حَظٌّ، والنَّصِيبَ الذي لا يُساوِيهِ نَصيبٌ.

والحِكْمَةُ هِيَ: العِلْمُ باللَّهِ وبشَرائعِهِ، والفَهْمُ لِحُجَجِهِ، وكُلُّ ما يتعلَّقُ بذلك مِنَ العُلُومِ العَقْليَّةِ والنقْليَّةِ.

فأَثْبَتَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عليه وعلى آلِهِ وسلَّمَ العِلْمَ على كُلِّ وَجْهٍ لا يَلْحَقُ بهم غَيْرُهُم فيه، ومَنْ جَمَعَ اللَّهُ له بَيْنَ الإيمانِ على الوَجْهِ الأَكْمَلِ، والعْلْمِ على الوَصْفِ الأَتَمِّ -فَقَدْ ظَفِرَ بالسَّعادةِ العاجِلَةِ والآجِلَةِ، ونَالَ الخَيْرَ السَّابِقَ واللَّاحِقَ على أَبْلَغِ وَجْهٍ، وأَكْمَلِ طَرِيقةٍ.

* **الرابعة:**

قولُهُ ﷺ: «**والفِقْه يَمانٍ**»:

فإنَّ في هذا إثباتَ الفَقَاهَةِ لهم على الوَجْهِ الأَتَمِّ، وأَنَّهم قَدْ ظَفِروا مِنْها بالفَرْدِ الكاملِ الذي لا يَلْحَقُ بِهِ غَيْرُهُم، ومَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ -سبحانَهُ- الفَهمَ الكاملَ لكتابِ اللَّهِ، ولسنَّةِ رسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وعلى آلِهِ وسلَّمَ، ولاستخراجِ الوُجُوهِ مِنْها التي هِيَ الفِقْهُ في الدِّينِ -فَقَدْ ضَمَّ إلى عِلْمِهِ صِحَّةَ فَهْمِهِ، وقُوَّةَ إِدْراكِهِ، وحُسْنَ تصرُّفِهِ في الشَّرْعيَّاتِ والعَقْليَّاتِ، وكان الفَرْدَ الكامِلَ في طَوائِفِ أَهْلِ العِلْمِ»[1] اهـ.

---

(١) «القول الحسن في فضائل أهل اليمن» لشيخ الإسلام الشَّوْكانيِّ (ص٥٥- ٦٠).

أَهْلُ اليَمَنِ يَشْرَبُونَ مِنْ حَوْضِ النَّبيِّ ﷺ قَبلَ غَيرِهِمْ

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي[١] أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ اليَمَنِ[٢]، أَضْرِبُ بعَصَايَ حتَّى يَرْفَضَّ عليهم»[٣] فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ، فقال: «مِنْ مَقامي إلى عَمَّانَ». وسُئِلَ عَنْ شَرابِهِ، فقال: «أَشَدُّ بياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، يَغُتُّ فيه مِيزَابانِ[٤]، يَمُدَّانِهِ[٥] مِنَ الجنَّةِ، أَحَدُهما مِنْ ذَهَبٍ، والآخَرُ مِنْ وَرِقٍ[٦]»[٧].

قال النَوَوِيُّ رحمه الله: «هذِهِ كَرامةٌ لأَهْلِ اليَمَنِ في تَقْدِيمِهِمْ في الشُّرْبِ مِنْهُ؛ مُجازاةً لهم بحُسْنِ صَنِيعِهِمْ، وتَقَدُّمِهِمْ في الإسْلامِ، والأَنْصَارُ مِنَ اليَمَنِ، فَيَدْفَعُ غَيْرَهُم حتَّى يَشْرَبُوا كما دَفَعُوا في الدُّنْيا عَنِ النبيِّ ﷺ أَعْدَاءَهُ والمَكْرُوهاتِ»[٨].

دُعاءُ النَّبيِّ ﷺ لأَهْلِ اليَمَنِ بالهِدايةِ

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثابتٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَظَرَ قِبَلَ اليَمَنِ، فقال: «اللَّهُمَّ أَقْبِلْ بقُلُوبِهِمْ، وبارِكْ لنا في صاعِنَا[٩] وَمُدِّنَا[١٠]»[١١].

---

(١) عُقْرُ الحَوْضِ -بالضَّمِّ-: مَوْقِفُ الشَّارِبِ مِنْهُ، وقِيْلَ: مُؤَخَّرُهُ.

(٢) أذُودُ النَّاسَ لأَهْلِ اليَمَنِ: أَطْرُدُهُمْ لأَجْلِ أَنْ يَرِدَ أهلُ اليَمَنِ، وبابُ ذَادَ: قَالَ، وذِيادًا -أيضًا بالكسر-.

(٣) يَرْفَضُّ عليهم أيْ: يَسِيلَ.

(٤) يَغُتُّ فيه ميزابان أي: يَدْفُقَانِ فيه الماءَ دَفْقًا مُتتابعًا شديدًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقَطِعَ، مَأْخُوذٌ مِنْ غَتَّ الشَّارِبُ الماءَ جَرْعًا بَعْدَ جَرْعٍ، ونَفَسًا بَعْدَ نَفَسٍ، مِنْ غَيْرِ إبانةِ الإناءِ عَنْ فِيْهِ، وبابُ غَتَّ (رَدَّ).

(٥) يَزِيدَانِهِ ويُكْثِرَانِهِ.

(٦) الوَرِقُ -بزِنَةِ (الكَتِفِ)-: الفِضَّة، والجمع أوراقٌ.

(٧) رواه مسلم (٢٣٠١).

(٨) «شرح النَّوويِّ على مُسْلِم» (١٥/ ٦٢، ٦٣) عند شرحه لحديث رقم (٢٣٠١).

(٩) الصَّاع: مِكْيالٌ لأَهْلِ المدينةِ يأْخُذُ أَرْبعةَ أَمْدادٍ، كُلُّ مُدٍّ رِطْلٌ وثُلُثٌ، فيكونُ الصَّاعُ خَمْسَةَ أَرْطالٍ وثُلُثًا، وهو يُساوي أَرْبَعَ حَفَناتٍ بكَفَّي الرَّجُلِ الَّذي ليس بعظيم الكَفَّيْنِ ولا صغيرِهما، والجمعُ أَصْوُعٌ، وأَصْؤُعٌ، وآصُعٌ، وأَصْواعٌ، وصِيعانٌ.

(١٠) المُدُّ -بالضَّمِّ-: مِكْيالٌ وهو رُبُعُ صاعٍ، والجمعُ أَمْدادٌ، ومِدَدٌ، -بزِنَةِ شِيَمٍ-، ومِدادٌ، ومِدَدَةٌ.

(١١) صحيح: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (٤٢١٠)، وقال الألبانيُّ في «تخريج أحاديث المشكاة» (٦٢٦٣): حسنٌ صحيحٌ، وانظر «صحيح التِّرْمِذِيِّ» (٣٠٨٦).

سُرْعَةُ استجابةِ أَهْلِ اليَمَنِ

عَنْ عِمْرانَ بْنِ حُصَيْنٍ قال: إنِّي عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ إذْ جاءه قَومٌ مِنْ بني تَمِيمٍ، فقال: **«أقبلُوا البُشْرَى، يا بني تَمِيمٍ»**.

قالوا: بَشَّرْتَنَا فأَعْطِنا. فَدَخَلَ ناسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فقال: **«اقْبَلُوا البُشْرَى يا أَهْلَ اليَمَنِ؛ إذْ لم يَقْبَلْهَا بنو تَمِيمٍ»**.

قالوا: قَبِلْنا، جِئْناكَ؛ لنتفقَّهَ في الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هذا الأَمْرِ ما كانَ؟ قال: **«كان اللَّهُ ولم يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وكان عَرْشُهُ على الماءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ، وكَتَبَ[1] في الذِّكْرِ[2] كُلَّ شَيْءٍ»** ثُمَّ أتاني رَجُلٌ، فقال: يا عِمْرَانُ، أَدْرِكْ نَاقَتَكَ؛ فَقَدْ ذَهَبَتْ. فانْطَلَقْتُ أَطْلُبُها، فإذا السَّرَابُ[3] يَنْقَطِعُ دُونَها[4]، وَايْمُ اللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنَّها قَدْ ذَهَبَتْ ولم أَقُمْ[5].

وفي لفظ البُخاريِّ أيضًا عَنْ عِمْرانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما قال: جاء نَفَرٌ مِنْ بني تَمِيمٍ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: **«أَبْشِرُوا، يا بني تَمِيمٍ»** قالوا: بَشَّرْتَنا فأَعْطِنا فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فجاءَهُ أَهْلُ اليَمَنِ، فقال: **«يَا أَهْلَ اليَمَنِ، اقْبَلُوا البُشْرَى؛ إذْ لَمْ يَقْبَلْها بَنُو تَمِيمٍ»**. قالوا: قَبِلْنا. فَأَخَذَ النَّبيُّ ﷺ يُحدِّثُ بَدْءَ الخَلْقِ والعَرْشِ، فجاء رَجُلٌ، فقال: يا عِمْرانُ، راحِلَتُكَ تَفَلَّتَتْ. لَيْتَني لَمْ أَقُمْ[6].

قال الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله: «**قَوْلُهُ**: «**فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ**» إمَّا للأَسَفِ عليهم، كَيْفَ

---

(١) كَتَبَ: قَدَّرَ.

(٢) في الذِّكْرِ: أَيْ في مَحَلِّ الذِّكْرِ، أَيْ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ.

(٣) السَّراب: ما يُرَى في الفَلاةِ نِصْفَ النَّهارِ كأَنَّهُ ماءٌ جارٍ، سُمِّيَ سَرابًا؛ لأَنَّهُ يَسْرُبُ سُرُوبًا (أي: يَجْري جَرْيًا)، والسَّرابُ يَخْفِضُ كُلَّ شيءٍ حتَّى يصيرَ لاصقًا بالأرضِ، لا شَخْصَ لَهُ.

(٤) فإذا السَّرابُ ينقطعُ دُونَها: أي يَحُولُ بَيْني وبَيْنَ رُؤْيَتِها.

(٥) رواه البخاري (٧٤١٨).

(٦) رواه البُخاريُّ (٣١٩٠).

آثَرُوا الدُّنيا، وإمَّا لكَوْنِهِ لَمْ يَحْضُرْهُ ما يُعْطِيهِمْ، فَيَتَأَلَّفَهُمْ[١] به، أو لِكُلٍّ مِنْهما، قَوْلُهُ: «**اقْبَلُوا البُشْرَى**» أَيْ: اقْبَلُوا مِنِّي ما يَقْتَضِي أَنْ تَبْشَرُوا[٢] -إذا أَخَذْتُمْ بِهِ- بالجنَّة: كالفِقْهِ في الدِّيْنِ، والعَمَلِ بِهِ»[٣].

ففي هذا الحديثِ يَتَجَلَّى فَضْلُ أَهْلِ اليَمَنِ في قَبُولِهِمُ البُشْرَى، وحِرْصِهِمْ على الفِقْهِ في الدِّيْنِ، يَتَّضِحُ ذلِكَ مِنْ قَوْلِهِم بَعْدَ قَبُولِهِمُ البُشْرَى: «**جِئناكَ؛ لِنَتَفَقَّهَ في الدِّيْنِ**»، فَلَمْ يَطْلُبُوا شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنيا، ولم يَطْلُبُوا العَطَاءَ، إنَّما طَلَبُوا مِنْهُ الفِقْهَ والعِلْمَ، فأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ مِنَ الفِقْهِ في الدِّيْنِ؟!، وأيُّ فَضْلٍ نَالَهُ أَهْلُ اليَمَنِ؟!

دُعاءُ النَّبيِّ ﷺ لليَمَنِ بالبَرَكَةِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في شَامِنا، اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في يَمَنِنا**». قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وفي نَجْدِنا[٤]، قال: «**اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في شَامِنا، اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في يَمَنِنَا**». قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وفي نَجْدِنا. فأَظُنُّهُ قال في الثَّالثةِ: «**هُناكَ الزَّلازِلُ والفِتَنُ، وبها يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطانِ**»[٥].

قُلتُ: الدُّعاءُ بالبَرَكةِ لا يكونُ إلَّا على خَيْرٍ ثابتٍ في الشَّيْءِ ومُسْتَقِرٍّ فيه، فكأنَّه يَطْلُبُ البَرَكَةَ فيه، ويَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَزِيدَنا مِنْهُ، دَلَّ على ذلك أَنَّ بَعْضَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الصَّحابةِ قالوا: وفي نَجْدِنا (أَيْ: وفي نَجْدِنا فَبارِكْ، يا رَسُولَ اللَّهِ). فقال: «**هُناك الزَّلازِلُ والفِتَنُ، وبها يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطانِ**».

---

(١) التَّأَلُّفُ: المُداراةُ والإيناسُ؛ لِيَثْبُتُوا على الإسلامِ رَغْبَةً فيما يَصِلُ إليهم مِنَ المالِ.

(٢) تَبْشَرُوا بالجنَّةِ: تفرحوا وتُسَرُّوا، وبابُ بَشِرَ (فَرِحَ).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٤٠٣) عند شرحه لحديث رقم (٣١٩٠).

(٤) قال الخَطَّابيُّ: «نَجْدٌ مِنْ جِهَةِ المَشْرِقِ، ومَنْ كان بالمدينةِ كان نَجْدُهُ بادِيَةَ العِراقِ ونَواحِيَها، وهي مَشْرِقُ أَهْلِ المدينةِ، وأَصْلُ النَّجْدِ: ما ارتفع مِنَ الأَرْضِ، وهُوَ خِلافُ الغَوْرِ، فإنَّه ما انْخَفَضَ منها، وتِهامَةُ كُلُّها مِنَ الغَوْرِ، ومكَّةُ مِنْ تِهامَةَ». اهـ «فتح الباري» (١٤/ ٥٤٦).

(٥) رواه البُخاريُّ (١٠٣٧).

وفي الحديثِ إثباتُ فَضْلِ اليَمَنِ، فهي مُباركةٌ بدُعاءِ الرَّسُولِ ﷺ، وكذلك الشَّامُ[١].

أَهْلُ اليَمَنِ خِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قال: كنَّا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بَطَرِيقٍ بَيْنَ مَكَّةَ والمدينةِ، فقال: «**يُوشِكُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، كَأَنَّهُمُ السَّحَابُ، هُمْ خِيارُ مَنْ في الأَرْضِ**». فقال رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ: ولا نَحْنُ يا رسولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ. قال: ولا نَحْنُ يا رسولَ اللَّهِ؟. فَسَكَتَ. قال: ولا نَحْنُ يا رسولَ اللَّهِ؟. فقال في الثَّالثة كلمةً ضعيفةً: «**إِلَّا أَنْتُمْ**»[٢].

اجتهادُ أَهْلِ اليَمَنِ في طاعةِ اللَّه سبحانه وتعالى

عَنْ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إِنَّهُ سَيَأْتي قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أعْمالَكُمْ إِلَى أَعْمَالِهِمْ**».

قُلنا: يا رسولَ اللَّهِ، أَقُرَيْشٌ؟. قال: «**لا، ولَكِنْ أَهْلُ اليَمَنِ**»[٣].

---

(١) قَدْ أَلَّفَ في فَضْلِ الشَّامِ جَمْعٌ غَفِيرٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، منهم: شيخُ الإسلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وجَمْعٌ مِنَ العُلماءِ لعلَّ آخِرَهُم شيخُ الإسلامِ الألبانيُّ رحم اللَّه الجميعَ، وفضائِلُها أعظمُ مِنْ أنْ تُحصَرَ، وأَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، فننصحُ بكتاب «فضائل الشام» للألبانيِّ رحمه الله -فلعلَّهُ لم يُؤَلَّفْ مِثْلُهُ في هذا البابِ-.

وأمَّا حَدُّها -كما قال ياقوت الحمويُّ في «مُعجَم البُلْدانِ» (٣/ ٣٥٤)-: «**فَمِنَ الفُراتِ إلى العَرِيشِ المُتَاخِمِ للدِّيارِ المِصْرِيَّةِ، وأمَّا عَرْضُها فَمِنْ جَبَلَيْ طَيِّئٍ مِنْ نَحْوِ القِبْلَةِ إلى بحر الروم -وهُوَ البَحْرُ المُتوسِّطُ حاليًا-**». اهـ.

(٢) حسن: أخرجه البُخاريُّ في «التاريخ» (٢/ ٢٧٢)، والبَزَّارُ (٣٤٢٨)، وابنُ أبي شَيْبَةَ (١٢/ ١٨٣)، وأحمدُ في «المُسند» (١٦٧٢٤)، وأبو يعلى (٧٤٠١)، والطَّبرانيُّ (١٥٤٩)، والبَيْهَقيُّ في «دلائل النُّبُوَّة» (٥/ ٣٥٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٤٣٧)، وحسَّنه شيخُنا الوادعيُّ رحمه الله في «الجامع الصَّحيح ممَّا ليس في الصَّحيحين» (٤/ ٨٤)، رقم (٢٦١٣).

(٣) صحيح: أخرجه ابن أبي عاصمٍ في «الآحادِ والمثاني» (٤/ ٢١٦)، وصحَّحه شيخُنا الوادعيُّ رحمه الله في «الجامع الصحيح» (٤/ ١٦٠)، (٢٦١٤).

قال ابْنُ جَريرٍ الطَبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ اللَّهَ أَتَى بأَهْلِ اليَمَنِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فكان مَوْقِعُهُمْ مِنَ الإسلامِ، وأَهْلِهِ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ، وكانوا أَعْوَانَ أَهْلِ الإسلام، وأَنْفَعَ لَهُمْ ممَّنْ كان ارْتَدَّ بَعْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ طَغامِ الأَعْرابِ[١]، وجُفَاةِ أَهْلِ البَوَادِي الذين كانوا على أَهْلِ الإسلامِ كَلًّا[٢] لا نَفْعًا»[٣].

أَهْلُ اليَمَنِ أَرَقُّ أَفْئِدَةً

عَنْ أَبي سعيد الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللَّهُ ﷺ: **«أَهْلُ اليَمَنِ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وأَلْيَنُ قُلُوبًا[٤]»**[٥].

أَهْلُ اليَمَنِ يُفَرِّجُ اللَّهُ بِهِمْ كُرَبَ المُسْلِمينَ

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ السَّكُونيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إنِّي أَجِدُ نَفَسَ[٦]**

(١) طَغَام الأعراب -بزِنَةِ سَحَابٍ-: أرْذالهم وأوغادهم، واحدُهم طَغَامةٌ.

(٢) الكَلُّ -بالفتح-: الثِّقْل، والجمع كُلُولٌ.

(٣) «تفسير الطَّبَريّ» (١٠/ ٤٢٠).

(٤) قال البغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٢٠٢): **«المُرادُ بِلِيْنِ القُلُوبِ: سُرْعةُ خُلوص الإيمانِ إلى قُلُوبِهِمْ، ويُقالُ: إنَّ الفُؤَادَ غشَاءُ القَلْبِ، والقَلْبُ حَبَّتُهُ وسُوَيْدَاؤُهُ، فإذَا أَرَقَّ الغِشاءُ أَسْرَعَ نُفُوذُ الشَّيْءِ إلى ما وَرَاءَهُ»**.

وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «شرح مسلم» (١/ ٣١٠): **«مَعْناهُ: أنَّها ذاتُ خَشْيةٍ واسْتِكانةٍ، سريعةُ الاستجابةِ والتَّأثُّرِ بقوارِعِ التَّذْكيرِ، سالمةٌ مِنَ الغِلَظِ والشِّدَّةِ والقَسْوَةِ الَّتي وَصَفَ بها قُلُوبَ الآخَرِينَ»**.

(٥) صحيحٌ: أخرجه أحمدُ في «المسند» (٤/ ٢٣٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٢٥٧)، وصحَّحه شيخُنا الوادعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجامع الصَّحيح» (٤/ ١٦٢).

(٦) الحديثُ ليس مِنْ أحاديث الصِّفاتِ، فَيُمَرَّ على ظاهِرِهِ، والنَّفَسُ فيه: اسْمُ مَصْدَرِ نَفَّسَ يُنَفِّسُ تَنْفِيسًا ونَفَسًا مثل فَرَّجَ يُفَرِّجُ تَفْريجًا وفَرَجًا، وَزْنًا ومَعْنًى، هكذا قال أهلُ اللُّغةِ كما في «النِّهاية»، و«القاموس»، و«مقاييس اللُّغةِ».

قال في «مقاييس اللُّغة»: **«النَّفَسُ: كُلُّ شيءٍ يُفَرَّجُ به عَنْ مَكْرُوبٍ»**. فيكون معنى الحديثِ: **«أنَّ تنفيسَ اللَّهِ -تعالى- عَنِ المُؤمنينَ يكونُ منْ أهْلِ اليَمَنِ»**. انظر «القواعد المُثْلَى في صفاتِ اللَّهِ وأسمائه الحُسْنَى» لابن عُثَيْمين (ص١٠٠). =

الرَّحْمَنِ مِنْ هُنَا -يُشيرُ إلى اليَمَنِ-»[١].

هذا الحديثُ عَلَمٌ مِنْ أعلامِ النُّبُوَّةِ، فإنَّ أَهْلَ اليَمَنِ مَنْ فَرَّجَ اللَّهُ بهم كُرَبَ المُسْلمينَ؛ فهم مَنْ رَكِبُوا المَهالِكَ والأخطارَ، وهَبُّوا مِنَ البَراريِّ والقِفارِ[٢]، ووَطِئَتْ أَقْدَامُهُمْ فارِسَ والرُّومَ، ووَصَلُوا المَغْرِبَ الأَقْصى، وبِلادَ السِّنْدِ، وجَنُوبَ فَرَنْسَا، ومَنْ لَهُ أَدْنَى إلْمَامٍ بالتَّاريخِ يَعْرِفُ ما لأَهْلِ اليَمَنِ مِنْ ماضٍ عَرِيقٍ[٣] في الدِّفاعِ عَنِ الإسلامِ والمُسلمينَ، فبهم نَفَّسَ اللَّهُ كُرَبَ المُؤمنينَ.

يَمَانُّيونَ غَيْرَ أَنَّا حُفَاةٌ[٤] قَدْ وَطِئْنا تِيْجانَ كِسْرى وقَيْصَرْ

قَدْ رَوَيْنا الأَمْجادَ جِيلًا فَجِيلًا جَدُّنَا صَاحِبُ الحَضَاراتِ حِمْيَرْ

وبَعْضُ النَّاسِ يظنُّونَ أنَّ هذا الحديثَ مُتَعَلِّقٌ بصفاتِ اللَّه، وهذا خَطأٌ؛ إنَّما المَقْصُودُ: أنَّ اللَّه ﷻ يُفَرِّجُ مِنْ كُرَبِ المُسلمينَ بأَهْلِ اليَمَنِ.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَقَوْلُهُ: مِنَ اليَمَنِ يُبَيِّنُ مَقْصُودَ الحديثِ؛ فإنَّه ليس لليَمَنِ اخْتِصاصٌ بصفاتِ اللَّهِ، حتَّى يُظَنَّ ذلك، ولَكِنْ مِنْها جاء الذين يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ، الذين قال فيهم: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقَدْ رُوِيَ: أنَّه لمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ سُئِلَ عَنْ هؤلاءِ، فَذَكَرَ قَوْمَ أبي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ.

وجاءتِ الأحاديثُ الصَّحيحةُ، مِثْلُ قَوْلِهِ: **«أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، أَرَقُّ قُلُوبًا،**

= وقال الأزهريُّ -كما في «النِّهايةِ» لابْنِ الأثيرِ مادَّة (نفس)-: «النَّفَسُ في الحديث: اسْمٌ وُضِعَ مَوْضعَ المَصْدَرِ الحقيقيِّ، مِنْ نَفَّسَ يُنَفِّسُ تَنْفِيسًا ونَفَسًا، كما يُقالُ: فَرَّجَ يُفَرِّجُ تَفْريجًا وفَرَجًا، كأنَّهُ قالَ: أَجِدُ تنفيسَ ربِّكُمْ مِنْ قِبَلِ اليَمَنِ». اهـ.

(١) صحيحٌ: أخرجه البُخاريُّ في «تاريخه» (٤/ ٧٩)، وابْنُ أبي عاصمٍ في «الآحاد والمثاني» (٢٤٦٠)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٣٦٧).

(٢) القِفار: جمع قَفْرٍ -بالفتح-، وهُوَ الخَلاءُ مِنَ الأَرْضِ، ويُجمعُ -أيضًا- على قُفُورٍ.

(٣) عريق: أصيل.

(٤) حُفاة: جمع حافٍ، وهُوَ الَّذي يمشي بلا خُفٍّ ولا نَعْلٍ.

وأَلْيَنُ أَفْئِدَةً، الإيمانُ يَمانٍ، والحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ».

وهؤلاءِ هُمُ الذينَ قاتَلُوا أَهْلَ الرِّدَّةِ، وفَتَحُوا الأَمْصارَ، فَبِهِمْ نَفَّسَ الرَّحْمنُ عَنِ المُؤْمِنين الكُرُباتِ»[١].

أَهْلُ اليَمَنِ وَلِيُّهُمُ اللَّـهُ ورَسُولُهُ

عَنْ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ ﷺ قال: إنَّهم أَسْلَمُوا فِيمَنْ أَسْلَمَ، فَبَعَثُوا وَفْدَهُمْ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، نَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ، وجِئْنا مِنْ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، وأَسْلَمْنا، فَمَنْ وَلِيُّنا؟ قال: «**اللَّهُ ورَسُولُهُ**».

قالوا: حَسْبُنا[٢] رَضِينا[٣].

أَهْلُ اليَمَنِ أَهْلُ شَرِيعةٍ وأَمَانةٍ

عَنْ أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**المُلْكُ في قُرَيْشٍ، والقَضَاءُ في الأَنْصارِ، والأَذَانُ في الحَبَشَةِ، والشِّرْعة[٤] في اليَمَنِ، والأَمانَةُ في الأَزْدِ**»[٥].

وعنه -أيضًا- قال: قال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**المُلْكُ في قُرَيْشٍ، والقَضَاءُ في الأَنْصارِ، والأَذَانُ في الحَبَشَةِ، والأَمانةُ في الأَزْدِ**[٦] -يَعْني: اليَمَنَ-»[٧].

---

(١) «الفتاوى» لابْنِ تَيْمِيَّةَ (٦/ ٣٩٧- ٣٩٨).

(٢) حَسْبُنا أي: كَفَانا.

(٣) صحيح: أخرجه الإمام أحمدُ (١٨٢٠٠)، وأبو يعلى (١٢/ ٢٠٣)، وصحَّحه شيخُنا الوادعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجامع الصَّحيح» (٤/ ٢٣٢).

(٤) الشِّرْعة -بالكسر-: الشَّريعة، ومنه قولُهُ -تعالى-: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

(٥) صحيحٌ: أَخرَجَهُ أحمدُ (٨٧٦١)، وصَحَّحهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٠٨٤).

(٦) قال المباركفوريُّ في «التُّحفة» (١٠/ ٣٠٣): (الأَزْد -بسكونِ الزَّايِ- أَيْ: أَزْد شَنُوءَةَ، وهُمْ حَيٌّ مِنَ اليَمَنِ، ولا يُنافي قَوْلَ بَعْضِ الرُّوَاةِ: «يَعْني: اليَمَنَ»، لكن الظَّاهر المُتبادر إرادةُ عُمُومِ أَهْلِ اليَمَنِ؛ فإنَّهُمْ أَرَقُّ أَفئِدةً، وأَهْلُ أَمْنٍ وإيمانٍ).

(٧) صحيحٌ: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذيُّ (٣٩٣٦)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذِيِّ» (٣٠٨٨).

الحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**الفَخْرُ والخُيَلاءُ في الفَدَّادِيْنَ**[١] **أَهْلِ الوَبَرِ**[٢]، **والسَّكِينةُ في أَهْلِ الغَنَمِ، والإيمانُ يَمَانٍ**[٣]، **والحِكْمَةُ يَمَانيةٌ**»[٤].

قَوْلُ النَّبيِّ ﷺ عَنْ أَهْلِ اليَمَنِ: «إِنَّهُمْ مِنِّي، وأنا مِنْهُمْ»

عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ رضي الله عنه أنَّ رجلًا قال: يا رسولَ اللَّهِ الْعَنْ أَهْلَ اليَمَنِ؛ فإِنَّهُمْ شَدِيدٌ بأْسُهُمْ[٥]، كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، حَصِينةٌ حُصُونُهُمْ. فقال: «**لا**»، ثُمَّ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الأعجميِّينَ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إذا مَرُّوا بِكُمْ يَسُوقُونَ نِساءَهُم، يَحْمِلُونَ أَبْناءَهُمْ على عَواتِقِهِمْ، فإِنَّهُمْ مِنِّي، وأنا مِنْهُمْ**»[٦].

---

(١) الفَدَّادين -بدالَيْنِ أُولَاهُما مُشَدَّدةٌ-: أصحابُ الإبِلِ الكثيرةِ، الَّذينَ يَمْلِكُ أحدُهم المِائَتَيْنِ منها إلى الألْفِ، سُمُّوا فدَّادِيْنَ؛ لأنَّ لهم جَلَبَةً وصياحًا عِنْدَ سَوْقِهِمْ لها، مِنَ الفَدِيدِ، وهُوَ الصَّوْتُ الشَّديدُ.

(٢) أَهْلُ الوَبَر: أهل البادية؛ لأنَّ بُيُوتَهم يتَّخِذونها مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ (أَيْ: صُوفِها).

(٣) قال الإمامُ أحمدُ بْنُ مُحمَّدٍ الشَّافعيُّ رحمه الله في كتابِهِ «إرشاد السَّاري شرح صحيح البُخاري» (٩/ ٣٥٩): (قَوْلُهُ: «**الإيمانُ يَمانٍ**» مُبتدأٌ وخَبَرٌ، وأَصْلُهُ يَمَنِيٌّ، أَي: الإيمانُ مَنْسُوبٌ إلى أَهْلِ اليَمَنِ؛ لأنَّ صَفاءَ القَلْبِ، ورِقَّتَهُ، ولِيْنَ جَوْهَرِهِ -يُؤَدِّي به إلى عِرْفانِ الحقِّ، والتَّصْديقِ بِهِ، والحِكْمَةُ يِمانِيَةٌ، قُلُوبُهُمْ مَعادِنُ الإيمانِ، ويَنابيعُ الحِكْمةِ). اهـ.

(٤) رواه البُخاريُّ (٣٤٩٩)، ومسلم (٨٨/ ٥٢).

(٥) البَأْسُ: الشَّجاعة والشِّدَّةُ في الحَرْبِ.

(٦) حسن: أخرجه أحمدُ في «المسند» (١٧٦٤٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٨٠)، والطَّبَرانيُّ في «الكبير» (١٧/ ٣٠٤)، كِلاهما عَنْ بَقِيَّةَ بْنِ الوَلِيدِ، وبَقِيَّةُ يدلِّسُ تَدْليسَ التسويةِ، إلَّا أَنْ يُصَرِّحَ بالسَّماعِ وقَدْ صَرَّحَ، والحديثُ حسَّنه شيخُنا الوادعيُّ رحمه الله في «رياض الجنة» (ص١١٥)، وقال: «رواه أحمدُ، والطَّبَرانيُّ، وإسنادهما حَسَنٌ؛ فَقَدْ صَرَّحَ بَقِيَّةُ بالسَّماعِ».

خَيْرُ الرِّجَالِ رِجالُ أَهْلِ اليَمَنِ

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ يومًا خَيْلًا، وعِنْدَهُ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ الفَزَارِيُّ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«أنا أَفْرَسُ[١] بالخَيْلِ مِنْكَ»**، فقال عُيَيْنَةُ: وأنا أَفْرَسُ بالرِّجالِ مِنْكَ. فقال له النَّبِيُّ ﷺ: **«وكَيْفَ ذاكَ؟»**. قال: خَيْرُ الرِّجالِ رِجالٌ يَحْمِلُونَ سُيُوفَهُمْ على عَوَاتِقِهِمْ، جاعِلُو أَرْماحِهِمْ على مَنَاسِجِ[٢] خُيُولِهِمْ، لابِسُو البُرُودِ[٣] مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ.

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«كَذَبْتَ، بَلْ خَيْرُ الرِّجالِ رِجالُ أَهْلِ اليَمَنِ، والإيمانُ يَمَانٍ إلى لَخْمٍ[٤]، وجُذَامٍ[٥]، وعامِلَةَ[٦]، ومَأْكُولُ حِمْيَرَ خَيْرٌ مِنْ**

---

(١) أفرس: أكثر مَعْرِفَةً وفَراسةً.

(٢) مناسج: جمع مِنْسَجٍ -بزِنَةِ مِنْبَرٍ ومَسْجِدٍ-، وهو ما ارتفع مِنْ أعالي الكَتِفَيْنِ إلى أَصْلِ العُنُقِ إلى مُسْتوى الظَّهْر، سُمِّيَ مِنْسَجَ الفَرَسِ؛ لأنَّ عَصَبَ العُنُقِ يجيء قِبَلَ الظَّهرِ، وعَصَب الظَّهْرِ يَذْهَبُ قِبَلَ العُنُقِ، فَيَنْسِجُ على الكَتِفَيْنِ.

(٣) البُرُود: جمع بُرْدٍ -بالضَّمِّ-، وهو ثَوْبٌ مُخَطَّطٌ، ويُجْمعُ -أيضًا- على أَبْرادٍ، وأَبْرُدٍ.

(٤) لَخْم -بالفتح-: بَطْنٌ مِنْ كَهْلَانَ، وهم بَنُو لَخْمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الحارِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أُدَدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مهعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَرِيبِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ.
وكَهْلَانُ قَبِيلَةٌ يمانِيَةٌ عظيمةٌ، أَشْهَرُ بُطُونِها: هَمْدَانُ، وأَنْمارُ، وطَيِّئٌ، ومُذْحِجٌ، وكِنْدَةُ، ولخْمُ، وجُذَامُ، والأَزْدُ، والأَوْسُ، والخَزْرَجُ، وأولادُ جَفْنَةَ مُلُوكُ الشَّام، وقَدِ انتشرتْ قبيلةُ لخَمْ قَبْلَ الإسْلام في مَوَاقِعَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ فِلَسْطِينَ، والشَّامِ، والعِراقِ، ومِنْهُمُ المَناذِرَةُ مُلُوكُ الحِيرَةِ بِالعِراقِ، وبَنُو عَبَّادٍ مُلُوكُ إِشْبِيلِيَّةَ بالأَندَلُسِ، ومِنْهُمْ بنو مُرَّةَ في مِصْرَ.
كما نَزَلَ بَعْضُهم منطقةَ بَيْتِ المَقْدِسِ، فدُعِيَتْ باسْمِهِمْ (بيت لَحْم)، وفي الجزيرة العربيَّةِ اليومَ مِنَ اللَّخْمِيِّينَ بَنُو سَهْلٍ، يُقيمون في الرِّياضِ. انظر: «**محاضرات في تاريخ الأمم**» للخضريِّ (١/ ١١)، و«قلب جزيرة العرب» (ص٢٣١)، و«مُعْجَم البُلْدانِ والقبائلِ اليمنيَّةِ» (٢/ ١٣٧٢).

(٥) جُذَامُ بزِنَةِ غُرابٍ: بَطْنٌ مِنْ كَهْلانَ، وهُمْ بَنُو جُذَام بْنِ عَدِيِّ بْنِ الحارِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أُدَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَرِيبِ ابْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلانَ بْنِ سَبَإٍ، وهي قَبيلةٌ كَبِيرَةٌ، ارْتَحَلَتْ مِنَ اليَمَنِ بَعْدَ خَرابِ سَدِّ مَأْرِبَ، وانتشرتْ في الحِجازِ، والأُرْدُنِّ، وفِلَسْطِينَ، وبَرَزَ مِنْهُمْ فُرْسانٌ، وأُمَرَاءُ، ونُبَلاءُ، ومِنْ فُرُوعِهِمْ بَنُو حَرامٍ، وبَنُو جُشَمَ، وقُصَيٌّ، وغَطَفَانُ، وغَيْرُهم. انظر «مُعْجَم البُلْدانِ والقبائلِ اليمنيَّةِ» (١/ ٣٠٤).

(٦) عامِلَةُ: بَطْنٌ مِنْ كَهْلانَ أيضًا نُسِبُوا إلى أُمِّهِمْ عَامِلَةَ بِنْتِ مالِكِ بْنِ وَدِيعةَ مِنْ قُضَاعَةَ، وهُمْ حَيٌّ مُتَّسِعٌ، =

آكِلِها[١]، وحَضْرَمَوْتُ[٢] خَيْرٌ مِنْ بني الحارِثِ[٣]، وقبيلةٌ خَيْرٌ مِنْ قبيلةٍ، وقبيلةٌ شرٌّ مِنْ قبيلةٍ، واللَّهِ، ما أُبالي أَنْ يَهْلِكَ الحارثانِ كِلاهما[٤]، لَعَنَ اللَّهُ المُلُوكَ الأَرْبَعَةَ[٥]: جَمْدًا، ومِخْوَسًا، ومِشْرَحًا، وأَبْضَعَةَ وأُخْتَهُمُ العَمَرَّدَةَ»، ثُمَّ قال: «أَمَرَنِي رَبِّي ﷻ أَنْ أَلْعَنَ قُرَيْشًا مَرَّتَيْنِ[٦]؛ فَلَعَنْتُهُمْ، وأَمَرَنِي أَنْ أُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ مَرَّتَيْنِ[٧]». ثُمَّ قَالَ: «عُصَيَّةُ[٨] عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ[٩] غَيْرَ قَيْسٍ، وَجَعْدَةَ، وَعُصَيَّةَ»

= هاجروا مِنَ اليَمَنِ إلى الشَّام، وأقاموا في جَبَلٍ سُمِّيَ فيما بَعْدُ باسْمِهِمْ. المرجع السابق (٢/ ٩٩٤).

(١) مَأْكُولُ حِمْيَرَ خيرٌ مِنْ آكِلِها: أَيْ أَمْواتُهُمُ الَّذِينَ أَكَلَتْهُمُ الأَرْضُ خيرٌ مِنَ الأحياءِ الآكلينَ، وهُمُ الباقُونَ. وقيل: المَأْكُولُ: الرَّعِيَّةُ، والآكلونَ: المُلُوكُ جَعَلُوا أَمْوالَ الرَّعِيَّةِ لَهُمْ مَأْكَلَةً، أرادَ: عَوامُّ أَهْلِ اليَمَنِ خَيْرٌ مِنْ مُلُوكِهِمْ.

(٢) حَضْرَمَوْتُ: أي أَهْلُها، والتَّسْمِيَةُ عائدةٌ إلى المَلِكِ حَضْرَمَوْتَ بْنِ قَحْطَانَ، كما ذكر المَسْعُوديُّ في «مروج الذَّهب»، وعنه المقحفيُّ في كتابه (مُعْجَم البُلْدانِ والقبائِلِ اليمنيَّة» (١/ ٤٧٦).

(٣) بني الحارث: بَطْنٌ مِنْ قَبيلةِ حَضْرَمَوْتَ. المرجع السابق (١/ ٣٨٦).

(٤) الحارثان: حَضْرَمَوْتُ، وبنو الحارث كما هو ظاهر، فكأنَّه أطلق عليهما الحارثانِ تَغْلِيبًا، ولعَلَّ المُرادَ: مُلُوكُ كِنْدَةَ وحَضْرَمَوْتَ. انظر: تعليق شُعَيْبٍ الأرناؤوطِ وإخْوانِهِ على المسند (٣٢/ ١٩٥) الحاشية.

(٥) المُلُوكُ الأربعة: هُمْ بَنُو مَعْدِيكَرِبَ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ، ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ في «الطبقات» (٥/ ١٣): أنَّهم كانوا وَفَدُوا على النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الأَشْعَث بِنْ قَيْسٍ، فأسلموا ورَجَعُوا إلى بلادِهِمْ، ثُمَّ ارْتَدُّوا، فَقُتِلُوا يومَ النُّجَيْرِ، وإنَّما سُمُّوا مُلُوكًا؛ لأنَّه كان لِكُلِّ واحدٍ منهم وادٍ يَمْلِكُهُ بما فيه
وذكرهم ابْنُ حَزْمٍ في «جمهرة أنساب العرب» (ص٤٢٨).
و«النُّجَيْرُ» ذكر ياقوت في «مُعْجَمِه» (٥/ ٢٧٢) أنَّه: حِصْنٌ مَنِيعٌ باليَمَنِ قُرْبَ حَضْرَمَوْتَ، لَجَأَ إليه أَهْلُ الرِّدَّةِ مَعَ الأَشْعَثِ بَنِ قَيْسٍ في أَيَّام أبي بكْرٍ رضي الله عنه فحاصره زيادُ بْنُ لبيدٍ البَيَاضيُّ حتَّى فَتَحَهُ عَنْوَةً، وقَتَلَ مَنْ فيه، وأَسَرَ الأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ، وذلك في سَنَةِ (١٢) لِلْهِجْرَةِ. انظر تعليق الأرناؤوط، وعادل بن مرشد على المسند (٣٢/ ١٩٥).

(٦) أن ألعن قريشًا: أي بَعْضَهُمُ الَّذِينَ ماتُوا على الكُفْرِ.

(٧) وأَمَرَنِي أَنْ أُصَلِّي عليهم مَرَّتَيْنِ: أي على الَّذِين آمنوا.

(٨) عُصَيَّةُ -بِزِنَةِ سُمَيَّةَ-: هُمْ بَطْنٌ مِنْ بَني سُلَيْمٍ يُنْسَبُونَ إِلَى عُصَيَّةَ بْنِ خُفَافٍ -بِضَمِّ المُعْجَمَةِ وفاءَيْنِ مُخَفَّفٍ- بْنِ امْرِئِ القَيْسِ بْنِ بُهْثَةَ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ.
انظر «فتح الباري» (٦/ ٥٤٤)، و«جمهرة أنساب العرب» (٤٦٨)، وقد ذكر ابْنُ حَزْمٍ في «الجمهرة»: أَنَّهم مِنْ بُطُونِ قبائِلِ قَيْسِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ.

(٩) إنَّما قال ﷺ في عُصَيَّةَ ذَلك؛ لأنَّهم عاهَدُوهُ فَغَدَرُوا.

ثُمَّ قَالَ: «لَأَسْلَمُ، وغِفَارُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَخْلاطُهُمْ مِنْ جُهَيْنَةَ خَيْرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، وَتَمِيمٍ، وَغَطَفَانَ، وَهَوَازِنَ عِنْدَ اللَّهِ عَجَلَّيومَ الْقِيَامَةِ» ثُمَّ قَالَ: «شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ: نَجْرَانُ، وَبَنُو تَغْلِبَ، وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ فِي الْجَنَّةِ: مَذْحِجٌ، وَمَأْكُولٌ»[١].

أَهْلُ اليَمَنِ أَهْلُ سَمْعٍ وطاعةٍ

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أَهْلُ الْيَمَنِ أَرَقُّ قُلُوبًا، وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً، وأَنْجَعُ طَاعَةً[٢]»[٣].

فَقَدْ وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بأَنَّهم أَنْجَعُ طاعةً؛ أَيْ: أَنَّهم أَسْمَعُ وأَطْوَعُ للحَقِّ يَنْقَادُونَ له بسُهُولةٍ وُيسْرٍ بخِلافِ غَيْرِهِمْ.

قال الإمامُ أَيُّوبُ بْنُ القِرِّيَّةِ رحمه الله -وقَدْ سُئِلَ عَنْ أَهْلِ اليَمَنِ-: «هُمْ أَهْلُ سَمْعٍ وطاعةٍ ولُزُومِ الجمَاعةِ».

---

(١) صحيح: أخرجه الإمامُ أحمدُ (١٩٤٥- ١٩٤٦) واللَّفْظُ له، وأخرجه الطَّبَراني في «مسند الشَّاميِّينَ (٩٦٩)، وابْنُ أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٦٩)، والحاكمُ (٤/ ٨١)، والبُخاريُّ في «التَّاريخ» (٤/ ٢٤٨)، وأَوْرَدَهُ الهَيْثميُّ في «المجمع» (١٠/ ٤٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»، (٢٦٠٦)، و(٣١٢٧)، وصحَّحه شُعيبٌ الأرناؤوطُ، وعادلُ بْنُ مرشدٍ في تخريج أحاديث المسند (٣٢/ ١٩٠- ١٩١).

(٢) قال في «اللِّسانِ» تَحْتَ مادَّة (نجع): «يُقال: أَنْجَعَ: إذا نَفَعَ، ونَجَعَ فيه القَوْلُ والخطابُ والوَعْظُ: عَمِلَ فيه ودَخَلَ وأَثَّرَ».
والمعنَى: أنَّ الطَّاعةَ فيهم أَنْجَعُ وأكثرُ نَفْعًا مِنْ غَيْرِهِمْ
وقال في «اللِّسان» تَحْتَ مادَّة (نجع) بَعْدَ أَنْ ساق الحديثَ: «أَنْجَعُ طاعةً، أَي: أَنْصَعُ وأَبْلَغُ في الطَّاعةِ مِنْ غَيْرِهِمْ، كأنَّهم بالَغُوا في نَجْعِ أَنْفُسِهِمْ، أَيْ: قَهْرِها وإِذْلالِها بالطَّاعَةِ».
وقَدْ وَرَدَ الحديثُ بألفاظ أُخرَى، فَعِنْدَ أحمدَ في «فَضائِل الصَّحابة» بلَفْظِ (أَنْجع)، وعِنْدَ الطَّبَرانيِّ بلَفْظِ (أَسْمع).

(٣) حسنٌ: رواه أحمدُ (٤/ ١٥٤)، وفي «فضائل الصحابة» (١٦١٤)، والطَّبراني في «الكبير» (١٧/ ٨٢٣)، وحسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٧٧٥).

أَهْلُ اليَمَنِ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالمُصَافَحَةِ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَدْ أَقْبَلَ أَهْلُ اليَمَنِ، وهُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا مِنْكُمْ**». قال أَنَسٌ: وهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بالمُصافَحَةِ[١].

أَهْلُ اليَمَنِ أَشْبَهُ رُفْقَةٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأَصْحابِهِ في الحَجِّ

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أبيه، قال: صَدَرْتُ[٢] مَعَ ابْنِ عُمَرَ يَوْمَ الصَّدَرِ[٣]، فَمَرَّتْ بنا رُفْقَةٌ[٤] يَمَانِيَةٌ، ورِحالُهُمُ[٥] الأَدَمُ[٦]، وخُطُمُ[٧] إِبِلِهِمُ الجُرُرُ[٨]، فقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إلى أَشْبَهِ رُفْقَةٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأَصْحابِهِ إِذْ قَدِمُوا في حَجَّةِ الوَدَاعِ فَلْيَنْظُرْ إلى هذِهِ الرُّفْقَةِ**»[٩].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمدُ في «مُسْنَده» (١٣٢١٢)، وأخرجه البُخاريُّ في «الأدب المفرد» (٩٦٧)، وأبو دَاوُدَ (٥٢١٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ» (٤٣٤٤)، وقال شُعيبُ الأرناؤوطُ في حاشية المسند (٢٠/ ٤٣٣): «**إسنادُهُ صحيحٌ على شَرْطِ مُسْلِمٍ، رِجالُهُ ثِقاتٌ رِجالُ الشَّيْخَيْنِ غَيْرَ حمَّادٍ -وهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ- فَمِنْ رِجالِ مُسْلِمٍ**».

(٢) صَدَرْتُ -مِنْ بابِ نَصَرَ ودَخَلَ وضَرَبَ-: رَجَعْتُ، والاسْمُ الصَّدَرُ -بالتَّحْريكِ-، وهُوَ رُجُوعُ المُسافِرِ مِنْ مَقْصِدِهِ.

(٣) يوم الصَّدَرِ -بفتحتين-: هو اليومُ الرَّابعُ مِنْ أيَّامِ النَّحْرِ.

(٤) الرُّفْقة -بضمِّ الرَّاءِ أشهر مِنْ كَسْرِها-: الجماعة المُترافقونَ في السَّفَرِ، وجَمْعُ الرُّفْقةِ -بالضَّمِّ- رُفَقٌ، وجمع الرِّفْقةِ -بالكسر- رِفَقٌ، وجمعُ الرِّفْقة -بالضَّمِّ والكَسْرِ- رِفاقٌ.

(٥) الرِّحال: جَمْعُ رَحْلٍ -بالفتح-، وهو مَرْكَبٌ للبَعيرِ، ويُجمعُ -أيضًا- على أَرْحُلٍ.

(٦) الأَدَم -مُحرَّكةً-: الجِلْد المَدْبُوغ، اسْمٌ للجَمْعِ.

(٧) الخُطُم: جمع خِطام -بزِنَةِ كِتابٍ-، وهو الحَبْلُ الَّذي يُقادُ بِهِ البَعيرُ، سُمِّيَ خِطامًا؛ لأنَّه يُوضَعُ على خَطْمِهِ (أي: أَنْفِهِ).

(٨) الجُرُرُ: جمعُ جَرِير، وهو حَبْلٌ مَضْفُورٌ مِنْ جِلْدٍ، ويُجمعُ -أيضًا- على أَجِرَّةٍ، وجُرَّانٍ.

(٩) صحيح: أخرجه الإمامُ أحمدُ في «مسنده» (٦٠١٦)، وصحَّحهَ الألبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ» (٤١٤٤)، وقال شيخُنا الوادعيُّ رحمه الله في «الجامع الصحيح» (٤/ ١١٩): «**هذا حديثٌ صحيحٌ، رِجالُهُ رِجالُ الصَّحيحِ**».

لا تَقَومُ السَّاعةُ حَتَّى يتولَّى أَمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ رَجُلٌ مِنَ اليَمَنِ

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعةُ؛ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**»[١].

قال الحافظُ رحمه الله: «**إلى قَحْطَانَ تَنْتَهي أَنْسَابُ أَهْلِ اليَمَنِ: مِنْ حِمْيَرَ، وكِنْدَةَ، وهَمْدَانَ، وغَيْرِهِمْ.**

قَوْلُهُ: «**يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**» هَوَ كِنايةٌ عَنِ المُلْكِ، شَبَّهَهُ بالرَّاعي، وشَبَّهَ النَّاسَ بالغَنَمِ، ونُكْتَةُ التَّشْبِيهِ التَّصَرُّفُ الذي يَمْلِكُهُ الرَّاعي في الغَنَمِ.

وهذا الحديثُ يَدْخُلُ في علاماتِ النُّبُوَّةِ مِنْ جُمْلَةِ ما أَخْبَرَ بِهِ ﷺ قَبْلَ وَقُوعِهِ، ولَمْ يَقَعْ بَعْدُ»[٢].

* * *

---

(١) رواه البُخاريُّ (٣٥١٧)، ومسلم (٢٩١٠).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢٣٥).

فَضائِلُ بَعْضِ القَبائِلِ اليَمانِيَةِ

* أَهَمِّيَّةُ القَبائِلِ(١) :

* قَبْلَ أَنْ أَذْكُرَ فَضائِلَ بَعْضِ القَبائِلِ اليَمَنِيَّةِ لابُدَّ مِنْ ذِكْرِ أَهَمِّيَّةِ القَبائِلِ؛ فإنَّ كثيرًا مِنَ النَّاسِ يَجْهَلُونَ هذا الأَمْرَ، بَلْ حتَّى بعض طَلَبَةِ العِلْم يَحْسَبُونَ أَنَّ عِلْمَ النَّسَبِ عِلْمٌ لا يَنْفَعُ، ومِنْ خِلالِ هذِهِ السُّطُورِ سَوْفَ يتبيَّنُ لهم خُرُوجُ الحقِّ مِنْ بَيْنِ أيدِيهم، إنْ شاءَ اللَّهُ.

يكفي القَبائِلَ شَرَفًا أنَّ اللَّه تعالى نَوَّهَ بذِكْرِها في كتابِهِ الكريمِ، فقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال ابْنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قَوْلِهِ تعالىَ: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] قال: «**الشُّعُوبُ: القَبائِلُ العِظامُ، والقَبائِلُ: البُطُونُ**»(٢)(٣).

وقال مُجاهدٌ رحمه الله في قولِهِ تَعالىَ: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]: «**كما يُقالُ: فُلانُ ابْنُ فُلانٍ؛ مِنْ كذا وكذا، أَيْ: قَبِيلةِ كذا وكذا**»(٤).

وقال ابْنُ كثيرٍ رحمه الله في قولِهِ -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

---

(١) قال أبو إسحاقَ الزَّجَّاجُ كما في «الفتح» (٧/ ٢١٣): «القبائلُ للعَرَبِ كالأَسْبَاطِ لبني إسْرائيلَ، ومَعْنى القَبِيلةِ: الجماعةُ، ويُقالُ لكُلِّ ما جُمِعَ على شيءٍ واحدٍ: قَبيلةٌ أَخْذًا مِنْ قَبائِلِ الشَّجَرةِ وهو: غُصُونُها، أو مِنْ قَبائِلِ الرَّأْسِ وهو: أَعْضَاؤُهُ، سُمِّيَتْ بذلك لاجتماعِها».

(٢) قال ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله في «الفتح» (٧/ ٢١٣): «قَدْ قَسَّمها الزبيرُ بْنُ بَكَّارٍ في «كتاب النَّسَب» إلى: شَعْبٍ، ثُمَّ قَبِيلةٍ، ثُمَّ عِمارةٍ بكَسْرِ العَيْنِ، ثُمَّ بَطْنٍ، ثُمَّ فَخِذٍ، ثُمَّ فَصِيلةٍ، وزاد غَيْرُهُ، قَبْلَ الشَّعْبِ: الجِذْمَ، وبَعْدَ الفَصِيلةِ: العَشِيْرةَ، ومِنْهُمْ مَنْ زَادَ بَعْدَ العَشِيرةِ: «الأُسْرَةَ، ثُمَّ العِتْرَةَ، فَمِثالُ الجِذْمِ: عَدْنَانُ، ومِثالُ الشَّعْبِ: مُضَرُ، ومِثالُ القَبيلةِ: كِنانةُ، ومِثالُ العِمارةِ: قُرَيْشٌ: وأَمْثِلَةُ ما دُونَ ذلِكَ لا تَخْفَى».

(٣) رواه البخاريُّ (٣٤٨٩).

(٤) «تفسير ابْنِ كَثيرٍ» (٤/ ٢٣٢).

[الحجرات: ١٣] «أي: ليَحْصُلَ التَّعارُفُ بينَهُمْ، كُلٌّ يَرْجِعُ إلى قَبيلتِهِ»[١].

وبعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ الحِكْمَةَ مِنَ القَبائِلِ عقَّبَ ذلِكَ بقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ وذلك حتَّى لا يَسْبِقَ إلى الذِّهْنِ أَنَّ ذلك هُوَ الأَسَاسُ، وحتَّى لا يَتَّكِلَ أَحَدُنا على نَسَبِهِ؛ فإنَّهُ لا قِيمةَ للحَسَبِ إذا كان المَرْءُ هابِطًا في دِينِهِ، ساقِطًا في أَخْلاقِهِ، فاسِدًا في سُلُوكِهِ.

فالتَّقْوَى هِي الأَسَاسُ، وهي جِمَاعُ الخَيْرِ، فَمَنْ رُزِقَ التَّقْوَى وشَرَفَ النَّسَبِ، فَقَدْ رُزِقَ خيرًا كثيرًا، وذلك فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ.

فعن أبي هُرَيْرَةَ ﵁ قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**أَتْقَاهُمْ**». فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «**فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّه ابْنِ نَبِيِّ اللَّه ابْنِ خَلِيلِ اللَّه**». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقُهُوا**»[٢].

فهذا دليلٌ على الحَسَبِ، وأنَّهُ يُشَرَّفُ بالتَّقْوَى والفِقْهِ في الدِّينِ، فهما لَهُ كالرُّوحِ للجَسَدِ الذي مَتَى فارَقَ الرُّوحَ فَمَوَاتٌ، ومَتى عُكِسَ الأَمْر، وأصْبَحَ الحَسَبُ عارِيًا مِنَ التَّقْوَى، عارِيًا مِنْ الفِقْهِ في الدِّين -كان هَذَيَانَ مَحْمُومٍ، لا مَعْنَى له.

قال النَّوويُّ ﵀: (قال العُلماءُ: لمَّا سُئِلَ ﷺ: أيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ أَخْبَرَ بأَكْمَلِ الكَرَمِ وأَعَمِّهِ، فقال: «**أَتْقَاهُمْ للَّهِ**».

وقَدْ ذَكَرْنا أنَّ أَصْلَ الكَرَمِ كَثْرَةُ الخَيْرِ، ومَنْ كانُ مُتَّقِيًا كان كثيرَ الخيرِ، وكثيرَ الفائدةِ في الدُّنيا، وصاحِبَ الدَّرَجاتِ العُلَى في الآخِرَةِ.

فلمَّا قالوا: لَيْسَ عَنْ هذا نَسْأَلُكَ؟ قال: «**يُوسُفُ**» الذي جَمَع خَيْراتِ الآخِرَةِ والدُّنْيا وشَرَفَهُما، فلمَّا قالوا: لَيْسَ عَنْ هذا نَسْأَلُ، فَهِمَ عَنْهُمْ أَنَّ مُرادَهُمْ: قَبائِلُ

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٢٣٢).

(٢) رواه البخاريُّ (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

العَرَبِ.

قال: «خِيارُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ في الإِسْلامِ، إذا فَقُهُوْا»، ومَعْناهُ: أنَّ أَصْحابَ المُرُوءاتِ، ومَكَارِمِ الأَخْلاقِ في الجاهِلِيَّةِإذا أَسْلَمُوا وفَقُهُوا فَهُمْ خِيارُ النَّاسِ[١].

قال القاضي: وقَدْ تَضَمَّنَ الحديثُ في الأَجْوِبَةِ الثَّلاثةِ: أنَّ الكَرَمَ كُلَّهُ -عُمُومَهُ وخُصُوصَهُ، ومُجْمَلَهُ ومُبانَهُ- إنمَّا هُوَ الدِّينُ مِنَ التَّقْوَى، والنُّبُوَّةِ، والإِعْراقِ[٢] فيها، والإسْلامِ مَعَ الفِقْهِ، ومَعْنَى مَعادِنِ العَرَبِ: أُصُولُها)[٣].

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْلُهُ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ»[٤]، أَيْ: أُصُولًا مُخْتَلِفةً، والمعَادِنُ: جَمْعُ مَعْدِنٍ، وهي الشَّيْءُ المُستقرُّ في الأَرْضِ، فتارةً يَكُونُ نَفِيسًا، وتارةً يكونُ خَسِيسًا، وكذلك النَّاسُ.

قَوْلُهُ: «خِيارُهم في الجاهليَّةِ خِيارُهُم في الإسلام»، وَجْهُ التَّشبيهِ: أنَّ المَعْدِنَ لمَّا كان إذا اسْتُخْرِجَ ظَهَرَ ما اخْتَفَى مِنْهُ ولا تَتَغَيَّرُ صِفَتُهُ، فَكَذَلِكَ صِفَةُ الشَّرَفِ لَا تتغَيَّرُ في ذَاتِهَا، بَلْ مَنْ كانَ شَرِيفًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فهو بالنِّسْبةِ إلى أَهْلِ الجاهليَّةِ رَأْسٌ، فإنْ أَسْلَمَ اسْتَمَرَّ شَرَفُهُ، وكان أَشْرَفَ ممَّنْ أَسْلَمَ مِنَ المَشْرُوفِيْنَ[٥] في الجاهليَّةِ.

وأمَّا قولُهُ: «إذا فَقُهُوا» فقيه إشارةٌ إلى أنَّ الشَّرَفَ الإسلاميَّ لا يتمُّ إلَّا بالتَّفقُّهِ في الدِّينِ، وعلى هذا فتنقسمُ النَّاسُ أربعةَ أقسامٍ مَعَ ما يُقابِلُها:

الأَوَّل: شريفٌ في الجاهليَّةِ أَسْلَمَ وتفقَّهَ، ويُقابِلُهُ مَشْرُوفٌ في الجاهليَّةِ لم يُسْلِمْ ولم يَتَفقَّهْ.

---

(١) قوله: «إذا أسلموا وفَقُهُوا فَهُم خِيارُ النَّاسِ» أيْ: أَنَّهم مِنْ خِيارِ النَّاسِ في الدَّارَيْنِ، وليس في الدُّنيا فَقَطْ، كما قَدْ يتبادَرُ إلى الذِّهْنِ بدليلِ قولِهِ ﷺ: «أكثرُ القَبائِلِ في الجنَّةِ مَذْحِجٌ»، وقد تقدَّم تخريجُهُ.

(٢) الإعْراق: التَّأَصُّل.

(٣) «شرح النَّوويِّ على مُسْلِمٍ» (١٥/ ١٣٣).

(٤) رواه البخاريُّ (٣٤٩٣)، ومسلم (٢٥٢٦) عن أبي هُرَيْرَةَ.

(٥) المشروفين: المَفْضُولين، يُقالُ: شَرَفَهُ -مِنْ بابِ نَصَرَ-: إذا فَاقَهُ وغَلَبَهُ بالشَّرَفِ، فَهُوَ مَشْرُوفٌ.

الثَّاني: شريفٌ في الجاهليَّةِ أَسْلَمَ ولم يَتَفَقَّهْ، ويُقابِلُهُ مَشْرُوفٌ في الجاهليَّةِ لَمْ يُسْلِمْ وَتفَقَّهَ.

الثَّالث: شَريفٌ في الجاهليَّةِ لم يُسْلِمْ ولم يَتَفَقَّهْ، ويُقابلُهُ مَشْرُوفٌ في الجاهليَّة أَسْلَمَ ثُمَّ تَفَقَّهَ.

الرَّابع: شريفٌ في الجاهليَّةِ لم يُسْلِمْ وتَفَقَّهَ، ويُقابلُهُ مَشْرُوفٌ في الجاهليَّةِ أسْلَمَ ولم يَتَفَقَّهْ.

فأرْفَعُ الأقْسامِ مَنْ شَرُفَ في الجاهليَّةِ ثُمَّ أَسْلَمَ وتفَقَّهَ، ويَلِيْهِ مَنْ كان مَشْرُوفًا ثُمَّ أَسْلَمَ وتَفَقَّهَ، ويَلِيْهِ مَنْ كان شريفًا في الجاهليَّة ثُمَّ أَسْلَمَ ولم يَتَفَقَّهْ، ويَليهِ مَنْ كان مَشْروفًا ثُمَّ أَسْلَمَ ولم يَتَفَقَّهْ.

وأمَّا مَنْ لم يُسْلمْ فلا اعتبارَ به، سواء كان شريفًا أو مَشْرُوفًا، سواء تَفَقَّهَ أوْ لَمْ يَتَفَقَّهْ، واللَّهُ أعْلَمُ.

والمُرادُ بالخِيارِ والشَّرَفِ وغَيْرِ ذلك: مَنْ كان مُتَّصِفًا بمحاسِنِ الأَخْلاقِ: كالكَرَمِ، والعِفَّةِ، والحِلْمِ، وغَيْرِها، مُتَوَقِّيًا لمساويها: كالبُخْلِ، والفُجُورِ، والظُّلْمِ، وغَيْرِها)[1].

* * *

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢١٥).

الأَنْبِيَاءُ يُبْعَثُونَ في نَسَبِ قَوْمِهِمْ

ومِمَّا يَدُلُّ على أَهَمِّيَّةِ القبائِلِ أنَّ الأنبياءَ لا يُبْعَثُونَ إِلَّا مِنْ نَسَبِ قَوْمِهِمْ.

فَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: دَعَا هِرَقْلُ أبا سُفْيانَ؛ ليسأَلَهُ عَنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ فكانَ أوَّلَ ما سَأَلَهُ، «كَيْفَ نَسَبُهُ فِيْكُمْ». فقال أبو سُفْيانَ: «**هُوَ فينا ذُو نَسَبٍ**».

وفي النِّهاية قال هِرَقْلُ لأبي سُفْيانَ: «**سألتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيْكُمْ ذُو نَسَبٍ، فكذلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ في نَسَبِ قَوْمِهَا**»[1].

وقال النَّبيُّ ﷺ وهُوَ يتحدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنانة مِنْ وَلَدِ إِسْماعيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنانةَ، واصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بني هاشِمٍ، واصْطَفاني مِنْ بني هاشِمٍ**»[2].

وكانتِ العَرَبُ لا تُنْكِحُ إِلَّا لِمَنْ تَحقَّقَ فيهم حَسَبُهُ[3]، فجاء الإسلامُ وأَقَرَّ تِلْكَ الأخْلاق.

فَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**تُنْكَحُ المَرأَةُ لأَرْبَعٍ: لمالِها، ولِحَسَبِها، ولجمالِها، ولدينها، فاظْفَرْ[4] بذاتِ الدِّيْنِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ[5]**»[6].

---

(١) رواه البخاريُّ (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٦) عَنْ واثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ.

(٣) الحَسَبُ: الشَّرَفُ الثَّابتُ في الآباءِ، مَأْخُوذٌ مِنَ الحِسابِ؛ لأنَّهم كانوا إذا تفاخَرُوا عَدُّوا مَناقِبَهُمْ ومآثِرَ آبائِهِمْ وقَوْمِهِمْ وحَسَبُوها، فَيُحْكَمُ لِمَنْ زادَ عَدَدُهُ على غَيْرِهِ.

(٤) الظَّفَرُ: الفَوْزُ بالمطلوبِ، وبابُهُ فَرِحَ.

(٥) تَرِبَتْ يداكَ: أيْ لَصِقَتا بالتُّرابِ، وهُوَ كِنايةٌ عَنِ الفقْرِ، وهُوَ خَبَرٌ بمعنى الدُّعاء، لكنْ لا يُرادُ بِهِ حَقيقتُهُ، وإنَّما يُرادُ به الحَثُّ والتَّحريضُ والتَّرغيبُ في استعمالِ ما تقدَّمَتِ الوَصيَّةُ بِهِ.

(٦) رواه البُخاريُّ (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

حِمايةُ الإسْلامِ للنَّسَبِ

لَقَدْ حَمَى الإسلامُ النَّسَبَ، وجَعَلَ الطَّعْنَ فيهِ كبيرةً مِنْ كبائرِ الذُّنُوبِ.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»[١].

قال النَّوويُّ رحمه الله: «في هذا الحديثِ تَغْلِيظُ تحريمِ الطَّعْنِ في النَّسَبِ والنِّياحةِ»[٢].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثَلاثٌ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ لا يَدَعُهُنَّ أَهْلُ الإِسْلامِ: اسْتِسْقاءٌ بالكَواكِبِ، وطَعْنٌ في النَّسَبِ، والنِّياحةُ عَلَى المَيِّتِ**»[٣].

وعَنْ عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**اهْجُوا قُرَيْشًا؛ فإنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْها مِنْ رَشْقٍ**[٤] **بالنَّبْلِ**[٥]»، فَأَرْسَلَ إلى ابْنِ رَوَاحَةَ، فقال: «**اهْجُهُمْ**». فهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إلى كَعْبِ بْنِ مالكٍ، ثُمَّ أرَسَلَ إلى حَسَّانَ بْنِ ثابتٍ، فلمَّا دَخَلَ عليه، قال حَسَّانُ: قَدْ آنَ[٦] لكُمْ أنْ تُرْسِلُوا إلى هذا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ[٧]، ثُمَّ

---

(١) رواه مسلم (٦٧).

(٢) «شرح النَّوويِّ على مسلم» عند شرحه لحديث رقم (٦٧).

(٣) صحيح: أخرجه البخاريُّ في «التَّاريخ» (١/ ٢٣٣)، والبزَّارُ (٧٩٧)، والطَّبَرانيُّ في «الكبير» (٢١٧٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣٠٤٠)، و«الصَّحيحة» (١٨٠١).

(٤) الرَّشْقُ: الرَّمْيُ بالنَّبْلِ وغَيْرِهِ، وبابُهُ (نَصَرَ).

(٥) النَّبْل -بالفتح-: السِّهام، لا واحدَ لها مِنْ لَفْظِها، والجمع أنبالٌ، ونِبالٌ، ونُبْلانٌ.

(٦) آنَ: حانَ، وبابُهُ (باعَ).

(٧) شبَّه رضي الله عنه لسانَهُ بذَنَبِ الأَسدِ، ونَفْسَهُ بالأَسَدِ في انتقامِهِ وبَطْشِهِ إذا اغتاظ، وحِينَئِذٍ يَضْربُ بذَنَبِهِ جَنبَيْهِ، = كما فَعَلَ حَسَّانُ بِلِسانِهِ حِينَ أَدْلَعَهُ، فَجَعل يُحَرِّكُهُ.

أَدْلَعَ لِسانَهُ[١]، فجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فقال: والذي بَعَثَكَ بالحقِّ، لَأَفْرِيَنَّهُمْ[٢] بِلِساني فَرْيَ الأَدِيمِ[٣]. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي**». فأتاه حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، قَدْ لَخَّصَ لي نَسَبَكَ، والذي بَعَثَكَ بالحقِّ، لَأَسُلَّنَّكَ[٤] مِنْهُمْ كما تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ العَجِينِ»[٥].

ففي هذا الحديثِ عِدَّةُ فَوائِدَ:

* **منها**: حِفاظُ النَّبيِّ ﷺ على نَسَبِهِ، مَعَ أَنَّ كثيرًا مِنْ أَنْسابِهِ ماتُوا في الجاهليَّةِ، فَكَيْفَ لَوْ أَسْلَمُوا؟!.

* **ومِنْها**: أنَّ فيه رَدًّا على مَنْ يَقُولُ: إنَّ عِلْمَ النَّسَبِ عِلْمٌ لا يَنْفَعُ، فَلَوْ كان عِلْمًا لا يَنْفَعُ، ما اخْتَصَّ أَفْضَلُ هذِهِ الأُمَّةِ -بَعْدَ نبيِّها- بهذا العِلْمِ.

النَّهْيُ عَنِ انتسابِ الرَّجُلِ إلى أَبٍ غَيْرِ أبيهِ، أو قَبيلةٍ غَيْرِ قَبيلتِهِ، أو أخوالٍ غَيْرِ أَخْوالِهِ:

قال اللَّه تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

قال ابْنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**هذا أمْرٌ ناسِخٌ لما كان في ابتداءِ الإسلامِ مِنْ جَوازِ ادِّعاءِ الْأَبناءِ الأَجانِبِ وهُمُ الأَدْعِيَاءُ، فأمر -تَبارك وتعالىَ- بردِّ نَسَبِهِمْ إلى آبائِهِمْ في الحقيقَةِ**»[٦].

---

(١) أَدْلَعَ لسانَهُ: أَخْرَجَهُ عَنِ الشَّفَتَيْنِ.
(٢) لَأَفْرِيَنَّهُمْ: لأَقْطَعَنَّهُمْ ولَأَشُقَّنَّهُمْ، وبابُهُ (رَمَى).
(٣) الأَدِيم: الجِلْد، والجمع آدِمةٌ، وأُدُمٌ، وآدامٌ.
(٤) لأَسُلَّنَّكَ: لأَنْتَزِعَنَّكَ بِرِفْقٍ، وبابُهُ (رَدَّ).
(٥) رواه مسلم (٢٤٩٠).
(٦) «تفسير ابْنِ كثيرٍ» (٣/ ٤٨٢).

وقَدْ وَرَدَ الوعيدُ الشَّديدُ لِمَنِ انتسبَ إلى غَيْرِ أبيهِ.

فَعَنْ سَعْدٍ وأبي بَكْرَةَ رضي الله عنهما قالا: سَمِعْنَا النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ -وَهُوَ يَعْلَمُ- فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**»[١].

والنَّهْيُ يَشْمَلُ الانتسابَ إلى القَبائِلِ، سواء مِنْ جِهَةِ الأَبِ، أو مِنْ جِهَةِ الأُمِّ[٢].

فعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنَّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعى لغَيْرِ أبيه وَهو يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ باللَّهِ، ومَنِ ادَّعى قومًا لَيْسَ لَهُ فِيْهِمْ نَسَبٌ، فَلْيَتَبَوَّأْ[٣] مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[٤].

* النَّهْيُ عَنْ جَحْدِ الرَّجُلِ نَسَبَهُ، أَوْ نَسَبَ غَيْرِهِ:

كما يَحْرُمُ على المُسْلِمِ ادِّعاءُ نَسَبٍ لا يَعْرِفُهُ، أوِ الانتسابُ إلى غَيْرِ أبيهِ أَوْ قَبيلتِهِ، فإنَّهُ يَحْرُمُ عليه جَحْدُ نَسَبِهِ الحقيقيِّ، أو جَحْدُ نَسَبِ غَيْرِهِ، وهذا ممَّا ابْتُلِيَ به كثيرٌ مِنَ النَّاسِ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**كُفْرٌ بامْرِئٍ ادِّعاءُ نَسَبٍ لا يَعْرِفُهُ، أَوْ جَحْدُهُ، وإِنْ دَقَّ[٥]**»[٦].

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٣٢٧)، ومسلم (٦٣).

(٢) قَدْ دَلَّ الدَّليلُ على أَنَّ ابْنَ أُخْتِ القَومِ ومَوْلَى القَوْمِ مِنْهُمْ، ففي صحيح البُخاريِّ (٣٥٢٨)، ومسلم (١٠٥٩) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ فَقَالَ: «**هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟**» قَالُوا: لَا، إِلَّا ابْنِ أُخْتٍ لَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ**».

(٣) فَلْيَتَبَوَّأْ أَيْ: فَلْيَتَّخذْ لنَفْسِهِ مَنْزِلًا، يُقالُ: تَبَوَّأَ الرَّجُلُ المكانَ: إذا اتَّخَذَهُ سَكَنًا.

(٤) رواه البخاريُّ (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١).

(٥) يُقالُ: دَقَّ الأَمْرُ -مِنْ باب ضَرَبَ- دِقَّةً: إذا غَمُضَ وخَفِيَ مَعْنَاهُ، فلا يكاد يَفْهَمُهُ إلَّا الأَذْكياءُ.

(٦) حسن: أخرجه ابْنُ مَاجَهْ (٢٧٤٤)، والطَّبَرانيُّ (٧٩١٥)، حسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٣٧٠).

*** جَوازُ انتسابِ الرَّجُلِ إلى آبائِهِ فِي الإسلامِ والجاهِلِيَّةِ:**

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رضي الله عنهما أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**أنا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ**»[1].

*** حَثُّ الإسلامِ على تَعَلُّمِ النَّسَبِ:**

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ ما تَصِلُونَ به أَرْحَامَكُمْ؛ فإنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ في الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ في المالِ، مَنْسَأَةٌ في الأَثَرِ**[2]»[3].

ففي هذا حَثَّ النَّبيُّ ﷺ على تَعَلُّمِ النَّسَبِ، وَبَيَّنَ أَنَّ ثَمَرَةَ ذلِكَ صِلَةُ الرَّحِمِ، وقَدِ ادَّعى قومٌ عَدَمَ فائدةِ عِلْمِ النَّسَبِ، فَيُرَدُّ عليهم بهذا الحديثِ.

وقَدْ نَقَلَ ابْنُ حَجَرٍ عَنِ ابْنِ حَزْمٍ وغَيْرِهِ جُمْلَةً يَحْسُنُ إيرادُها، قال: «**ذَكَرَ ابْنُ حَزْمٍ في مُقَدِّمة** «**كتاب النَّسَب**» له فَصْلًا في الرَّدِّ على مَنْ زَعَمَ أنَّ عِلْمَ النَّسَبِ عِلْمٌ لا يَنْفَعُ، وجَهْلٌ لا يَضُرُّ، بأنَّ في عِلْمِ النَّسَبِ ما هُوَ فَرْضٌ على كُلِّ أَحَدٍ، وما هُوَ فَرْضٌ على الكِفايةِ، وما هُوَ مُسْتَحَبٌّ.

قال: فَمِنْ ذلك أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الهاشِميِّ، فَمَنْ زَعَمَ أنَّه لم يَكُنْ هاشِمِيًّا فهو كافرٌ، وأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الخَليفةَ مِنْ قُرَيْشٍ، وأَنْ يَعْرِفَ مَنْ يَلْقَاهُ بنَسَبٍ في رَحِمٍ مُحَرَّمةٍ؛ ليجتنبَ تزويجَ ما يَحْرُمُ عليه مِنْهُمْ، وأَنْ يَعْرِفَ مَنْ يَتَّصِلُ به مِمَّنْ يَرِثُهُ، أو يَجِبُ عليه بِرُّهُ مِنْ صِلَةٍ أو نَفَقةٍ أو مُعاونةٍ، وأَنْ يَعْرِفَ أُمَّهاتِ المُؤْمنينَ، وأَنَّ نِكاحَهُنَّ حَرامٌ على المُؤْمِنينَ، وأَنْ يَعْرِفَ الصَّحابةَ وأَنَّ حُبَّهُمْ مَطْلُوبٌ، وأَنْ يَعْرِفَ الأنصارَ؛ لِيُحْسِنَ إليهِمْ لثُبُوتِ الوصيَّةِ بذلك؛ ولأنَّ حُبَّهُم

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٢) مَنْسَأَةٌ في الأَثَرِ: مُؤَخِّرةٌ في العُمُرِ والأَجَلِ.

(٣) صحيح: رواه أحمدُ في «مسنده» (٨٨٥٥)، والتِّرْمِذِيُّ (٢٠٦٢)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذيِّ» (١٦١٢).

إيمانٌ، وبُغْضهم نِفاق.

قال: ومِنَ الفُقَهاءِ مَنْ يُفَرِّقُ في الجِزْيَةِ وفِي الاسْتِرْقَاقِ[١] بَيْنَ العَرَبِ والعَجَم، فَحَاجَتُهُ إلى عِلْمِ النَّسَبِ آكَدُ، وكَذَا مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ نَصارَى بني تَغْلِبَ وغَيْرِهِمْ في الجِزْيَةِ، وتَضْعِيفِ الصَّدَقةِ.

قال: وَمَا فَرَضَ عُمَرُ رضي الله عنه الدِّيْوانَ[٢] إلَّا على القَبائِلِ، ولَوْلَا عِلْمُ النَّسَبِ مَا تَخَلَّصَ له ذلك، وقَدْ تَبِعَهُ على ذلك عُثْمَانُ، وعليٌّ، وغَيْرُهُما»[٣].

وقال ابْنُ عَبْدِ البَرِّ في أوّل كتابه «النَّسب»: «**وَلعَمْرِي**[٤]، لم يُنْصِفْ مَنْ زَعَمَ أنَّ عِلْمَ النَّسَبِ عِلْمٌ لا يَنْفَعُ، وجَهْلٌ لا يَضُرُّ»[٥] اهـ.

مَثَلُ القَومِ[٦] نَسُوا تارِيخَهُمْ كَلَقِيطٍ[٧] عَيَّ[٨] في النَّاسِ انْتِسَابا
أَوْ كَمَغْلُوبٍ على ذاكرةٍ يَشْتَكِي في صِلَةِ الماضي انْقِضَابا[٩]

*** استحبابُ التَّنادي بَيْنَ أبناءِ القبيلةِ بالأسماءِ المَحْبُوبةِ:**

إنَّ أَهمَّ ما يُمَيِّزُ القَبِيلةَ الطَّيِّبَةَ التَّنادي بَيْنَ أَفرْادِها بأَحبِّ الأسماءِ: يا عَمِّ، يا خَالِ، يابْنَ العَمِّ يابْنَ الخالِ، يابْنَ الأَخِ، يابْنَ الأُخْتِ، فهذِهِ الكلماتُ - وأَمْثالُها - تُشْعِرُكَ بصِلَةِ الرَّحِمِ، وتَأْسِرُ قَلْبَ مَنْ تُناديهِ، وتنزلُ على قَلْبِهِ رحمةٌ، تجعلُهُ يَأْنَسُ بِكَ ويَرْتَاحُ لك.

(١) الاسترقاق: الاستعباد.
(٢) الدِّيوان -بالكسر-: الدَّفْتَرُ الَّذي يُكْتَبُ فيه أسماءُ الْجَيْشِ وأَهْلُ العَطِيَّةِ، والجمعُ دَواوِينُ.
(٣) «فتح الباري» (٧/ ٢١٢).
(٤) لَعَمْري -بفتح العَيْنِ لا غَيْرُ-: أُسْلُوبُ قَسَم، مَعْناهُ: وحياتي وبقائي، واللَّامُ لتوكيدِ الابتداءِ، والخبرُ محذوفٌ وُجُوبًا، تقديرُهُ: لَعَمْري قَسَمي (أو: ما أُقْسِمُ به).
(٥) «فتح الباري» (٧/ ٢١٢).
(٦) مَثَلُ القَوْم -بالتَّحْريكِ-: صِفَتُهُمْ.
(٧) اللَّقيط: الطِّفْلُ المَنْبُوذُ الذَّي يُوجَدُ مَرْميًا على الطُّرقِ، لا يُعْرَفُ أَبُوهُ ولا أُمُّهُ، والجمع لُقَطاءُ.
(٨) عَيَّ: جَهِلَ. (٩) الانقضاب: الانقطاع.

والتنادي بهذِهِ الأسماءِ المَحْبُوبةِ مَطْلَبٌ شَرْعيٌّ، وسُنَّةٌ سنَّها لنا رسولُ اللَّه ﷺ.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**وُلِدَ لِيَ اللَّيلةَ غُلامٌ، فَسَمَّيْتُهُ باسْمِ أَبي إبْراهِيمَ**»(١).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ: «**إنَّكِ لَابنةُ نَبِيٍّ، وإنَّ عَمَّكِ لَنبيٌّ، وإنَّكِ لَتحْتَ نَبِيٍّ**»(٢).

فهذِهِ الأحاديثُ لَتَدُلُّ على أَنَّ الأَبَ مَهْما عَلَا فهو أبٌ يجوزُ الانتسابُ إليه، وكما يُقالُ في الأبِ يُقالُ في العَمِّ وابْنِ العَمِّ، وما يُقالُ في العَمِّ وابْنِ العَمِّ يُقالُ في الخَالِ وابْنِ الخَالِ.

فعن جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه رضي الله عنهما قال: أَقْبَلَ سَعْدٌ (أَيْ: سَعْدُ بْنُ أبي وَقَّاصٍ)، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**هذا خَالي، فَلْيُرِني امْرُؤٌ خَالَهُ**».

قال أبو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ رحمه الله: وكان سَعْدٌ مِنْ بَني زُهْرَةَ، وكانتْ أُمُّ النَّبيِّ ﷺ مِنْ بني زُهْرَةَ؛ لذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «**هذا خالي**»(٣).

*** النَّهْيُ عَنِ الفَخْرِ بالأَحْسَابِ:**

الفَخْرُ بالأَحْسابِ مَسْلَكٌ مَهِينٌ يترَفَّعُ عنه كِرامُ النَّاسِ، وقَدْ جاء الوعيدُ الشَّديدُ، والنَّهْيُ الأَكِيدُ عَنِ الفَخْرِ بالأَحْسَابِ، وأنَّه مِنْ أعمالِ أَهْلِ الجاهليَّةِ.

فعَنْ أبي مالكٍ الأَشْعَريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**أَرْبعٌ في أُمَّتي مِنْ أَمْرِ الجاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأَحْسَابِ، والطَّعْنُ في الأَنْسَابِ،**

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٥).

(٢) صحيح: أخرجه التِّرْمِذيُّ (٤١٦٦)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذيِّ» (٣٠٥٥).

(٣) صحيح: أخرجه التِّرْمِذيُّ (٤٠١٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذيِّ» (٢٩٥١).

والاسْتِسْقاءُ بالنُّجُومِ، والنِّياحَةُ»[1].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوامٌ يَفْتَخِرُونَ بآبائِهِمُ الذينَ ماتوا؛ إنَّما هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ على اللَّهِ مِنَ الجُعَلِ[2] الذي يُدَهْدِهُ[3] الخِراءَ[4] بأَنْفِهِ، إنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ[5] الجاهِلِيَّةِ، وفَخْرَهَا بالآبَاءِ، إنَّما هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفاجِرٌ شَقِيٌّ، والنَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وآدَمُ خُلِقَ مِنَ تُرابٍ»[6].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «انْتَسَبَ رَجُلانِ على عَهْدِ مُوسَى، فقال أَحَدُهما: أنا فُلانُ ابْنُ فُلَانٍ، حتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ لا أُمَّ لك[7]؟! قال: أنا فُلانُ ابْنُ فُلانٍ ابْنِ الإسلامِ. فَأَوْحَى اللَّهُ إلى موسَى أَنْ: قُلْ لهذَيْنِ المُنْتَسِبَيْنِ: أمَّا أَنْتَ أيُّها المُنْتَسِبُ إلى تِسْعَةٍ في النَّارِ فَأَنْتَ عاشِرُهُمْ في النَّارِ، وأمَّا أنتَ أيُّها المُنْتَسِبُ إلى اثْنَيْنِ في الجنَّةِ فأنت ثالِثُهما في الجنَّةِ»[8].

فلا تَحْسَبِ الأَنْسَابَ تُنْجِيكَ مِنْ لَظًى ... ولَوْ كُنْتَ مِنْ قَيْسٍ وعَبْدِ مَدَانِ
أَبُو لَهَبٍ في النَّارِ وَهْوَ ابْنُ هاشِمٍ ... وسَلْمَانُ في الفِرْدَوْسِ مِنْ خُرَسَانِ

قلتُ: المُرادُ بالفَخْرِ المَنْهِيِّ عنه: هُوَ الإعجابُ والتعاظُمُ على الغَيْرِ، وهذا غايةٌ في الشَّيْنِ، وداخلٌ في العَيْبِ والخِزْيِ والعارِ والشَّنَارِ؛ فإنَّ المُعْجَبَ بذلك

(١) رواه مسلم (٩٣٤).
(٢) الجُعَل -بزِنَةِ عُمَرَ-: دَوَيْبة تُعْرَفُ بالحِرْبَاءِ -بالكسر والمدِّ-، والجمع: جِعْلانٌ -بالكسر-.
(٣) يُدَهْدِهُ: يَحَرِّكُ ويُدَحْرِج.
(٤) الخِراء -بالكسر-: العَذِرَةُ الَّتِي هي السَّلْحُ.
(٥) العُبِّيَّة -بضمِّ العَيْنِ وكَسْرِها، وتشديد الباءِ والياء-: الكِبْرُ والفَخْرُ والنَّخْوَةُ.
(٦) حسن: أخرجه أبو داوُدَ (٥١١٦)، والتِّرْمذيُّ (٤٢٣٣)، واللَّفْظُ لَهُ، وحسَّنه الألبانيُّ في «غاية المرام» (٣١٢).
(٧) لا أُمَّ لك: هُوَ ذَمٌّ وسَبٌّ، أي: أنت لَقِيطٌ لا تُعْرَفُ لك أُمٌّ.
(٨) صحيح: أخرجه أحمدُ (٥/ ١٢٨)، والبَيْهَقِيُّ في «شُعَب الإيمان» (٢/ ٨٨)، والضِّياء في «المختارة» (١/ ٤٠٦).

كالمُعْجَبِ بِمالِ غَيْرِهِ.

* خَوْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ على أُمَّتِهِ مِنَ الاغترارِ بالأَنْسَابِ:

قال البَيْحانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «خاف رسولُ اللَّهِ ﷺ على أُمَّتِهِ مِنَ الاغترارِ بالأَنْسابِ، واكْتِفَاءِ البَنِيْنَ بصالح أعمالِ آبائِهِمْ، فقال: «**يا فاطِمةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اعْمَلي لِنَفْسِكِ؛ فإنِّي لا أُغْني عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**»[1] وذلك بَعْدَ قولِهِ تَعالَى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

والحرُّ الكريمُ لا يَعْتَمِدُ إلَّا على نَفْسِهِ، ولا يَفْتَخِرُ إلَّا بعَمَلِهِ، والخَبُّ اللَّئيمُ الأَثِيمُ يَفْتَخِرُ بالعَظْمِ الرَّمِيمِ، ويقولُ: كان أبي، وفَعَلَ جَدِّي، فهو عِظاميٌّ لا عِصاميٌّ، وفيه يقولُ الشَّاعِرُ:

بُلِيْنا بأَقْوالِ الذينَ إذا رَأَوْا ... فِعالَ كِرامِ النَّاسِ قَالُوا: لَنَا سَلَفْ
وآباؤنا كانُوا مُلُوكًا عَلَى الوَرَى ... وكانوا رِجالَ العِزِّ والمَجْدِ والشَّرَفْ
نَعَمْ، إنَّهُمْ كَانُوا مُلُوكًا وسَادَةً ... ولَكِنَّنا يا صَاحِ مِنْ أَقْبَحِ الخَلَفْ
رَضِيْنا بفَخْرِ السَّالِفِيْنَ، وما لَنَا ... مِنَ الفَخْرِ شَيْءٌ، يا لِذَلِكَ مِنْ أَسَفْ

ومِنْ أَصْدِقائِنا وأَعَزِّ النَّاسِ عَلينا جَماعةٌ شُرِّفَتْ أَنْسابُهُم برسولِ اللَّه ﷺ، وبالأَتْقياءِ الأَبْرارِ مِنْ آبائِهِمْ، فاعتمدُوا على ذلك، وحَسِبُوا السَّيِّدَ الهاشِميَّ، والشَّيْخَ مِنْ بَنِي فُلانٍ الأَوْلياءِ والمُتَصَوِّفين؛ حَسِبُوهُ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ، وأَقْرَبَ إلى اللَّهِ مِنْ عالِمٍ صالحٍ تَقِيٍّ، وقالُوا: الجاهِلُ مِنَّا خَيْرٌ مِنْ عَالِمِ بَنِي فُلانٍ، وتَحَجَّرُوا الواسِعَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وفَرَضُوا على النَّاسِ حُبَّهُمْ وتَعْظِيْمَهُمْ، ولَوْ كانوا مِنَ العُصاةِ الفَسَقَةِ، حتَّى قال بَعْضُهُمْ: آلُ فُلانٍ أَوْلِياءُ، وإنْ تَرَكُوا الصَّلاةَ[2].

---

(١) حديث: «**يا فاطمة بنت محمد اعملي لنفسك...**» من حديث عائشة أخرجه مسلم (٢٠٥)، وأما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري في تفسير سورة الشعراء، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (٨/ ٤٧٧)، ومسلم (٢٠٦).

(٢) «اللُّمَعُ على كتاب إصلاح المجتمع» للعلَّامةِ يَحْيَى الحَجُوريِّ (١٢٦- ١٢٧).

قُلْتُ: هذا حاصِلٌ، ومِثْلُ هَؤلاءِ نُذَكِّرُهُمْ بقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١).

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في شَرْحِ هذا الحديثِ: «**مَعْناهُ: مَنْ كان عَمَلُهُ ناقصًا، لَمْ يُلْحِقْهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحابِ الأَعْمالِ -فَيَنْبَغِي أَلَّا يَتَّكِلَ على شَرَفِ النَّسَبِ، وفَضِيلةِ الآباءِ، وَيُقَصِّرَ في العَمَلِ**»(٢).

* أَهَمِّيَّةُ حِفْظِ سَلاسِلِ النَّسَبِ:

الرَّجُلُ الأَصِيلُ لَهُ مِنْ أَخْلاقِهِ وأَعْراقِهِ(٣) دليلٌ في أَفْعالِهِ وأَقْوالِهِ.

وممَّا يَدُلُّ على ذلك قولُ اللَّهِ تَعَالَى في قِصَّةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨].

فأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ قَوْمَ مَرْيَمَ قَضَوْا بفَسادِ الأَصَلْ على فَسادِ الفَرْعِ، وأَنَّ مَرْيَمَ مُنَزَّهةٌ مِنْ ذلك، ولَمْ يَتعَقَّبِ اللَّهُ قَوْلَهُمْ بشيءٍ(٤).

والعَرَبُ تَقُولُ في أَمْثالِها: «إِذا غابَ عَنْكَ أَصْلُهُ، كَانَ دَليلَ أَصْلِهِ فِعْلُهُ»، وتَقُولُ: «أَصْلٌ راسِخٌ(٥)، وفِعْلٌ شامِخٌ(٦)»، وتقولُ: «مَنْ طَابَ أَصْلُهُ، زكا(٧) فِعْلُهُ». ويقُولُ الشَّاعِرُ:

لا تَنْظُرَنَّ إِلى امْرِئٍ ما أَصْلُهُ ... وانْظُرْ إلا فِعالِه، ثُمَّ احْكُمِ

وقال البَيْحَانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**شَرَفُ الأَصْلِ، وطِيبُ المَنْبَتِ، وكَرامةُ المَحْتِدِ تَأْبَى**

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) مِنْ حديث أبي هُرَيْرَةَ.

(٢) «شرح النَّوويِّ على مسلم» (١٧/ ٢٤).

(٣) الأَعْراق: الأُصُول، واحِدُها عِرْقٌ -بالكسر-، ويُجمعُ -أيضًا- على عُرُوقٍ.

(٤) «معالم السنن» (٤/ ٧٣- ٧٤) بتصرُّفٍ يسيرٍ، وانظر «فيض القدير» (٦/ ٣٦٤).

(٥) راسخ: ثابت، وبابُهُ خَضَعَ.

(٦) شامخ: عالٍ، وبابُهُ خَضَعَ.

(٧) زكا: صَلُحَ، وبابُهُ سَمَا، وزَكاءً -أيضًا-.

على المَرْءِ إلَّا التَّخَلُّقَ بالمَكارِمِ، والاتِّصافَ بمعالي الأُمُورِ اقتداءً بآبائِهِ، وتأَسِّيًا بأَشْرافِ قَوْمِهِ، ولَوْ أَرَادَ شَرًّا، أَوِ ارْتَكَبَ مُنْكَرًا، لأَبَتْ عليه أُصُولُهُ، وعاتبهُ ضَمِيرُهُ، وقال له النَّاسُ ما قالوا لمِرْيَمَ الْبتُولِ حِيْنَ اتَّهموها: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨].

والذَّهَبُ لا يكونُ صُفْرًا ولا نُحاسًا، والفِضَّةُ لا تتحوَّل رَصاصًا، والمُعْتَزُّ بحَسَبِهِ وكَريمِ نَسَبِهِ لَا يَفْعَلُ إلَّا ما يُشْكَرُ عليه، ولا يقولُ إلَّا ما يَصْدُقُ فيه، شِعارُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَيَنْشَأُ ناشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا ... عَلَى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

ودِثَارُه قَوْلُ الآخَرِ:

أُولَئِكَ آبائي فَجِئْني بِمِثْلِهِمْ ... إذا جَمَعَتْنَا يا جَريرُ المَجَامِعُ

وقَدْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بشَيءٍ مِنَ الجُبْنِ، والبُخْلِ، والكَسَلِ، والتَّهَوُّرِ، والخُمُولِ القاتلِ، والشُّهْرَةِ الكاذبةِ، فيتذكَّرُ كَرَمَ أَهْلِهِ، وشَجاعَتَهُمْ، ونَشَاطَهُمْ، وأَناتَهُمْ، وظُهُورَهُمْ بكُلِّ مَكْرُمَةٍ، وقُصُورَهُمْ عَنْ كُلِّ مَذَمَّةٍ، فيثنيه ذلك عَنْ قَصْدِهِ المَذْمُومِ، وَيردُّهُ عَنْ غَرَضِهِ السَّيِّئِ مُتذكِّرًا قَوْلَ اللَّهِ -جَلَّ وعلَا-: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطُّور: ٢١].

أَمَّا الذي خَبُثَ أَصْلُهُ، ونَبَتَ جذْرُهُ في الأَوْحالِ والأَقْذارِ؛ فلا يُثْمِرُ إلَّا قُبْحًا، ولا يُنْتِجُ إلَّا خُبْثًا، يفعلُ ما يشاءُ مِنْ سَفاسِفِ الأُمُورِ ومخَازِيها، ولَيْسَ له زاجِرٌ مِنْ دِينٍ ولا حَياء يَذْكُرُ لُؤْمَ أبيهِ، وبَغْيَ أُمِّهِ؛ فتهونُ عليه الرَّذيلةُ ولا يترفَّعُ -قاتَلَهُ اللَّهُ- عَنْ ضَعَةٍ ولا نَقيصةٍ؛ لأَنَّهُ تَعَوَّدَ الذُّنُوبَ، ودَرَجَ بَيْنَ العُيُوبِ، وتَخلَّقَ بكُلِّ مَكْرُوهٍ، ونَشَأَ -مُنْذُ فَتَحَ عَيْنَيه، ومَدَّ يدَهُ، وحَرَّكَ رِجْلَهُ- على ما كان أَهْلُهُ وذَوُوْهُ يَعيشونَ عليه، ويُعْرَفُونَ به منْ خِسَّةِ طَبْعٍ، ودَناءَةِ نَفْسٍ، ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾ [الأعراف: ٥٨]، والشَّيءُ مِنْ مَعْدِنِهِ لا يُسْتَغْرَبُ.

تِلْكَ العَصَا مِنْ تِلْكُمُ العُصَيَّه   لا تَلِدُ الحَيَّةُ إلَّا حُوَيَّهْ[١]

وعليه فإنَّ حِفْظَ سلاسِلِ النَّسَبِ إنَّما هُوَ لحِفْظِ الأُصُولِ لا لِمُجَرَّدِ الفَخْرِ، وَلِعُلَماءِ المُسلمينَ عِنايةٌ عظيمةٌ في حِفْظِ الأَنْسَابِ، ومُؤَلَّفاتُهُمْ في هذا الشَّأْنِ تَزْهُو[٢] بها مَكاتبُ العالَم، حَتَّى قال ابْنُ فارسٍ رَحِمَهُ اللهُ: «**وللعَرَبِ حِفْظُ الأَنْسَابِ، وما يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الأُمَمِ عُنِيَ**[٣] بحِفْظِ النَّسَبِ عِنايةَ العَرَبِ»[٤].

وقال العلَّامةُ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّه أبو زيدٍ رَحِمَهُ اللهُ: «المُحافظةُ على سَلاسلِ النَّسَبِ مَطْلُوبةٌ، والمُحافظةُ على نَقاءِ النُّطَفِ وأَنسابِها لا تَعْني العَصَبِيَّةَ بحالٍ، وعليه فينبغي سَدُّ مَنافذِ التَّهجِينِ لأَوَّلِ رائدٍ للإسلامِ: العِرْقِ العَرَبِيِّ؛ لتبقى سَلاسِلُ النَّسَبِ صافيةً مِنَ الدَّاخِلِ، ومَلامِحُ العَرَبِ سالمةً مِنْ سَنْخَةِ[٥] العُلُوجِ[٦] والعَجَمِ، صانَها اللَّهُ مِنْ تِلْكُمُ الأَذَايا والبَلايا، واعْتبارُ الكَفاءةِ لَهُ آثارٌ حِسانٌ في التَّرْبيةِ، وعِزَّةِ الدَّارِ، وقِوَامِ الأَخْلاقِ[٧]، ومَناهِجِ الشَّرَفِ، وأَمَّا التَّساهلُ في ذلك فَلَهُ دَخَلٌ[٨] عَظيمٌ في انحلالِ الأخلاقِ؛ لأنَّ التَّزوُّجَ بمَجْهُولاتِ الأُصُولِ أو الأَخْلاقِ، أو بسافِلَاتِ الطِّباعِ، والعاداتِ، أو بالغَرِيباتِ جِنْسًا؛ لَهُ مفاسِدُ

(١) «اللُّمَعُ على إصلاح المجتمع» للشَّيخ يحيى الحَجُوريِّ (١٢٣- ١٢٤).

(٢) تَزْهُو: تَفْتَخِرُ، وبابُهُ قَالَ.

(٣) يُقالُ: عُنِيَ بالأَمْرِ يُعْنَى به -على ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ- عنايةً، فهو به مَعْنِيٌّ -على مَفْعُولٍ-: إذا اهْتَمَّ وشُغِلَ به، وإذا أَمَرْتَ منه قُلْتَ: لِتُعْنَ بالأَمْرِ، فَـ(عُنِيَ) مِنَ الأَحْرُفِ الَّتي لا يتكلَّمُ العَرَبُ بها إلَّا على سَبيلِ المَفْعُولِ به، وإن كانتْ بمعنى الفاعِلِ، وحَكَى بناءَهُ للفاعِلِ ابْنُ الأعرابيِّ وَحْدَهُ: عَنِيتُ بالأَمْرِ -بالكسر- عِنايةً، وعُنِيًّا، فأنا بِهِ عَنٍ، وعَنَيْتُ بالأَمْرِ -بالفتح- فأنا بِهِ عانٍ.

(٤) «الصاحبي» (ص ٧٦).

(٥) السَّنْخَة -بالفتح-: الزَّنَخُ، يُقالُ: سَنِخَ الطَّعام وغَيْرُهُ -مِنْ بابِ فَرِحَ-: إذا فَسَدَ وتَغَيَّرتْ رِيْحُهُ.

(٦) العُلُوج: كُفَّار العَجَمِ، واحِدُهم عِلْجٌ -بالكسر-، وَيُجْمَعُ -أيضًا- على أَعْلاجٍ، وعِلَجَةٍ -بِزِنَةِ عِنَبَةٍ-، ومَعْلُوجَاءَ.

(٧) قِوَامُ كُلِّ شيْءٍ -بالكسر-: ما استقام به.

(٨) الدَّخَل -بالتَّحريك-: الفَسَاد.

شَتَّى[١]؛ لأنَّ الرَّجُلُ يَنْجَرُّ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا- لأَخْلاقِ زوجتِهِ، فإنْ كانتْ سافِلَةً يتسافَلْ لا محَالةَ، وإنْ كانتْ غَرِيبةً يَتَبَغّضْ في أَهْلِهِ وقَوْمِهِ، وجَرَّتْهُ إلى مُوالَاةِ قَوْمِها، والتَّخَلُّقِ بأَخْلاقِهِمْ، حتَّى يَكُونَ أَطْوَعَ لها مِنْ خَلْخَالِها[٢]»[٣].

فتبيَّن مِنْ خِلالِ ما سَبَقَ: أنَّ حِفْظَ الأَنْسَابِ ممَّا حثَّ عليه الإسلامُ ودعا إليه.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**تُنْكَحُ المرأةُ لأَرْبَعٍ: لمالِها، ولِحَسَبِها، ولجمالِها، ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[٤].

مَنْ لَمْ يَكُنْ عُنْصُرُهُ طَيِّبًا ... لَمْ يَخْرُجِ الطِّيبُ مِنْ فِيهِ[٥]
كُلُّ امْرِئٍ يُشْبِهُهُ فِعْلُهُ ... ويَرْشَحُ الكُوزُ بِمَا فِيهِ

مَزِيَّةٌ خَصَّ اللَّهُ بها العَرَبَ

وحِفْظُ النَّسَبِ مَزِيَّةٌ خَصَّ اللَّهُ بها العَرَبَ[٦]، فصارُوا أَفْضَلَ الأَجْناسِ إطْلاقًا.

قال شيخُ الإسلامِ ابْنُ تَيْمِيَّة -رحمه اللَّه تعالى-: «**فإنَّ الَّذي عليه أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ اعتقادُ أَنَّ جِنْسَ العَرَبِ أَفْضلُ مِنْ جِنْسِ العَجَمِ: عِبْرانِيِّهِمْ وسُرْيانِيِّهِمْ،**

(١) شَتَّى -بزِنَةِ حَتَّى-: مُخْتَلِفَةٌ.
(٢) الخَلْخَال -بالفتح-: حَلِيٌ تَلْبَسُهُ المرأةُ في رِجْلِها، والجمعُ خَلاخيلُ.
(٣) «خصائص جزيرة العرب» لبكر بن عبد اللَّه أبو زيد (ص٩٤).
(٤) سبق تخريجُهُ.
(٥) فيه: فَمِهِ.
(٦) العَرَبُ في الأَصْلِ: هم سُكَّانُ الجزيرةِ العربيَّةِ.
قال شيخُ الإسلامِ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١٦٦، ١٦٧): «**واسْمُ العَرَبِ -في الأَصْلِ- كان اسْمًا لقوم جمعوا ثلاثةَ أوصافٍ:**
أحدها- أنَّ لِسانَهم كَانَ باللُّغةِ العَرَبِيَّة.
الثاني- أنَّهم كانوا مِنْ أَوْلَادِ العَرَبِ.
الثَّالث- أنَّ مساكِنَهُمْ كانتْ أَرْضَ العَرَبِ، وهي جَزِيرةُ العَرَبِ الَّتي هِيَ مِنْ بَحْرِ القُلْزُمِ إلى بَحْرِ البَصْرةِ، ومِنْ أَقْصَى حَجْرٍ باليَمَنِ إلى أَوَائِلِ الشَّامِ، بحيثُ كانتْ تَدْخُلُ اليَمَنُ في دارِهِمْ، ولا تدخلُ الشَّامُ» اهـ.
قلتُ: بَعْدَ تفرُّقِ عَرَبِ الجزيرةِ في العالَمِ، فهم يعودون إلى أَصْلِهِمُ العربيِّ.

رُومِهِم وفُرْسِهِمْ، وغَيْرِهِمْ، وأَنَّ قُرَيْشًا أَفْضَلُ العَرَبِ، وأَنَّ بَنِي هاشِمٍ أَفْضَلُ قُرَيْشٍ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ بَني هاشِمٍ، فَهُوَ أَفْضَلُ الخَلْقِ نَفْسًا، وأَفْضَلُهُم نَسَبًا، ولَيْسَ فَضْلُ العَرَبِ، ثُمَّ قُرَيْشٍ، ثُمَّ بني هاشِمٍ بمُجَرَّدِ كَوْنِ النَّبيِّ ﷺ مِنْهُم - وإنْ كان هذا مِنَ الفَضْلِ- بَلْ هُمْ في أَنْفُسِهِمْ أَفْضَلُ، وبذلك ثَبَتَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه أَفْضَلُ نَفْسًا ونَسَبًا، وإلَّا لَزِمَ الدَّوْرُ»[1].

وقال العلَّامة ابْنُ فارسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وممَّا خصَّ اللَّهُ -جَلَّ ثَناؤُهُ- بِهِ العَرَبَ طهارَتُهُمْ، ونَزاهَتُهُمْ عَنِ الأَدْناسِ الَّتي استباحها غيرُهُم مِنْ مخُالطةِ ذَوَاتِ المَحارِمِ، وهي مَنْقَبَةٌ تَعْلُو بجمالِها كُلَّ مَأْثرةٍ[2] والحَمْدُ للَّه»[3].

وللَّهِ تعالى حِكَمٌ بالغةٌ في أَنِ اختارَ لهذِهِ الرِّسالةِ رَجُلًا عَربيًّا، وليس هذا مَوْضِعَ بيانِ ما بَلَغَ إليهِ العِلْمُ مِنْ تِلْكَ الحِكَمِ، وقَدْ قال -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فَعَنْ عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**خَرَجْتُ مِنْ نِكاحٍ[4]، ولَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفاحٍ[5]، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلى أَنْ وَلَدَني أَبي وأُمِّي، لَمْ يُصِبْني مِنْ سِفاحِ الجاهِلِيَّةِ شَيْءٌ**»[6].

قال زُهَيْرٌ:

وما يكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ، فإنَّما تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ[7]

وقال آخَرُ:

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١٤٨).

(٢) المَأْثَرة -بفتحِ الثَّاءِ وضمِّها-: المَكْرُمة؛ لأنَّها تُؤْثَرُ (أي: يذكرُها قَرْنٌ عَنْ قَرْنٍ)، والجمع مآثِرُ.

(٣) «الصاحبي» (٧٧).

(٤) من نكاح: أي: من زواجٍ مُتعارَفٍ عليه. (٥) مِنْ سِفاح: أي: مِنْ زِنًا.

(٦) حسن: أخرجه أبو نُعَيْم في «أعلام النُّبوة» (١/ ١١)، وحسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء» (١٩١٤).

(٧) «محاضرات الأدباء» (١/ ٦٩٧).

وَمَكْرُمةٍ كانتْ سَجِيَّةَ[١] والدي فَعَلَّمَنِيْها والدي، فَعَلِمْتُها[٢]

وقال آخَرُ:

زَانُوا قَدِيْمَهُم بحُسْنِ حَدِيْثِهِم وكَرِيمَ أخلاقٍ بحُسْنِ وُجُوهِ[٣]

دَوْرُ القَبائِلِ في خِدْمَةِ الإسْلام

للقبائلِ في خِدْمَةِ الإسلامِ والدِّفاعِ عَنْ حِياضِهِ دَوْرٌ أَشْهَرُ مِنْ نارٍ على عَلَمٍ[٤]، ففي فَتْحِ مَكَّةَ أَعْطى النَّبيُّ ﷺ لكُلِّ قَبيلةٍ رايةً، فَشَكَّلَ مِنَ القبائلِ أَعْظَمَ تنظيمٍ على وَجْهِ الأَرْضِ.

فَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ للعبَّاسِ: «**يَا عبَّاسُ، احْبِسْهُ (أي: أَبا سُفْيانَ) بمَضِيقِ الوادي عِنْدَ خَطْمِ الجَبَلِ[٥]؛ حتَّى تَمُرَّ به جُنُودُ اللَّهِ فَيَراها**».

قال: فخرجتُ به، حتَّى حَبَسْتُهُ حيثُ أَمَرَني رسولُ اللَّهَ ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ.

قال: وَمرَّتْ به القبائلُ على رَاياتِها، كُلَّما مرَّتْ قَبيلةٌ قال: مَنْ هؤلاءِ؟. فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ.

فيقول: ما لي ولِسُلَيْم؟ قال: ثُمَّ تَمُرُّ القَبيلةُ، قال: مَنْ هؤلاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فيقول: ما لي ولِمُزَيْنَةَ؟ حتَّى نَفِدَتِ القَبائلُ، لا تَمُرُّ قبيلةٌ إلَّا قالَ: مَنْ هؤلاءِ؟ فأقولُ: بَنُو فُلانٍ. فيقولُ: ما لي ولبني فُلانٍ؟ حتَّى مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ في كَتِيْبَتِهِ[٦] الخَضْرَاءِ، فيها المُهاجرونَ والأنصارُ، لا يُرَى مِنْهُم إلَّا الحدقُ [مِنَ الحَدِيدِ] قال:

---

(١) السَّجيَّة -بزنَةِ العَطِيَّةِ-: الغَرِيزَةُ والخُلُقُ، والجمعُ سَجَايا.

(٢) المرجع السابق (١/ ٦٩٨).

(٣) المرجع السابق (١/ ٧٠٣).

(٤) العَلَم -بالتَّحريك-: الجبل، والجمعُ أَعْلامٌ، وعِلامٌ.

(٥) خَطْم الجَبَل -بالفتح-: أَنْفٌ يتقدَّمُهُ.

(٦) الكتيبة: الطَّائفة العظيمة مِنَ الجيش مُجتمعةً، والجمع كَتَائِبُ.

سُبْحَانَ اللَّهِ! مَنْ هؤلاءِ يا عبَّاسُ؟ قُلْتُ: هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ في المُهاجرينَ والأَنصْارِ قال: ما لأَحَدٍ بهؤلاءِ قِبَلٌ[١] ولا طَاقةٌ، واللَّهِ -يا أبا الفَضْلِ- لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الغَداةَ[٢] عَظِيمًا! قُلْتُ: يا أبا سُفْيانَ، إنَّها النُّبوَّةُ. قال: فَنَعَمْ (إذًا)[٣].

وعلى ذلك سارَ الخُلفاءُ الرَّاشدون، فكان الخلفاءُ يَكْتُبونَ إلى القبائلِ يَسْتَنْفِرُونَهُمْ[٤] للجهادِ، فكانوا يَأْتُونَ أَرْسَالًا[٥].

وعلى ذلك سار الخُلفاءُ مِنْ بني أُمَيَّةَ، وبني العبَّاسِ، وبني عُثْمَانَ، وغَيْرِهم، وكذلك الوُلَاةُ والأُمراءُ والقادةُ في الاستنجادِ بالقبائلِ؛ لعِلْمِهِمْ أنَّ عِنْدَ القبائلِ مِنَ الحَمِيَّةِ[٦] والشَّجاعةِ ما ليس عِنْدَ غَيْرِهم، وقَدْ كانتِ القبائلُ تُظْهِرُ في الجِهادِ مِنْ ضُرُوبِ[٧] البَسَالَةِ والشَّجاعةِ ما تَنْدَهِشُ لَهُ العُقولُ، فكَانتِ القَبِيلَةُ الوَاحدَةُ في المَعَارِكِ كَأَنَّهَا أَخْطَبُوطٌ في جَسَدٍ واحِدٍ، وكَانتِ القَبَائِلُ تَرَى أَنَّ الفِرارَ مِنَ الزَّحْفِ[٨] مَسَبَّةٌ وعارٌ وشَنَارٌ[٩] يلْحَقُ بها، وقَدْ أَدْرَكَ أعداءُ الإسلامِ هذِهِ الحقيقةَ، فعرفوا أنَّ مَنَعَةَ[١٠] أيِّ دولةٍ تَكْمُنُ -بَعْدَ التزامِها بدِيْنِها- في تَمَاسُكِ قَبائِلِها، وعِفَّةِ نسائِها،

---

(١) القِبَلُ -بزنَةِ العِنَبِ-: الطَّاقَة، ومنه قولُهُ -تعالى-: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل: ٣٧] أي: لا طاقةَ لهم بها، ولا قُدْرَةَ لهم على مُقاوَمَتِها.

(٢) الغَداة: الضَّحْوَة (أوَّل النَّهار)، والجمع غَدَواتٌ، و(غُدُوٌّ) نادِرٌ.

(٣) صحيح: أخرجه الطَّبَرانيُّ في «الكبير» (٨/ ١٠)، والحاكمُ في «المُستدرك» (٣/ ٤٣)، والبَيْهقيُّ في «دلائل النُّبوَّة» (٥/ ٣٢)، وأبو داوُدَ، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٣٤١).

(٤) الاستنفار: الاستنجاد والاستنصار.

(٥) أَرْسَالًا أيْ: أَفْواجًا فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، وفِرَقًا مُتَقَطِّعةً بَعْضُهم يتلو بَعْضًا، واحدُهُمْ رَسَلٌ -بالتَّحريك-.

(٦) يُقالُ: فُلانٌ ذُو حَمِيَّةٍ -بزِنَةِ سَجِيَّةٍ-: إذا كان ذا غَضَبٍ وأَنَفَةٍ وغَيْرَةٍ، وحَمِيَ مِنَ الشَّيءِ -مِنْ باب رَضِيَ- حَمِيَّةً، ومَحْمِيَةً -بزِنَةِ مَنْزِلَةٍ- أيْ: أَخَذَتْهُ الحَمِيَّةُ.

(٧) ضُرُوب: أصناف، واحدُها ضَرْبٌ -بالفتح-، ويُجْمَعُ -أيضًا- على أَضْرُبٍ.

(٨) الزَّحْف: الجيش الكثير يَزْحَفُونَ إلى العَدُوِّ بِمَرَّةٍ، وهُوَ مِنَ التَّسْمية بالمَصْدَرِ، والجمعُ زُحُوفٌ.

(٩) الشَّنار -بالفتح-: أَقْبَح العَيْبِ والعارِ.

(١٠) المَنَعة -بالتَّحريكِ، والفَتْحِ، والكَسْرِ-: العِزَّة والقُوَّة والشِّدَّة.

فَسَعَوْا جاهدينَ لإخراجِ المرأةِ مِنْ خِدْرِهَا[١]، والتَّفريقِ بَيْنَ القبائلِ جَرْيًا على قاعدتِهِمُ المَشْئُومةِ: (فَرِّقْ تَسُدْ[٢])، وهذا أمرٌ مَعْلُومٌ لكُلِّ ذِي لُبٍّ[٣]، ويَعْرِفُ ذلك عُلَماؤُنا، والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ، ولَا بأْسَ مِنْ ضَرْبِ الأمثلةِ باليَمَنِ، فاليَمَنُ لم يَكُنْ لديها جيشٌ نِظاميٌّ، لكنَّها لديها أعظمُ جَيْشٍ احتياطيٍّ مِنَ القبائلِ في طُولِ اليَمَنِ وعَرْضِها، وكانتِ القبائلُ مَحَلَّ نِداءِ الخُلفاءِ والوُلَاةِ والأُمراءِ والأَئِمَّةِ الَّذين حَكَمُوا اليَمَنَ قُرُونًا، وَقَلَّ مِثْلُ ذلك في كثيرٍ مِنْ بِلادِ المُسلمينَ.

بَلْ كان الجيشُ الإسلاميُّ في جُلِّ[٤] الفُتُوحاتِ الإسلامِيَّةِ -إنْ لَمْ نَقُلْ: كُلّها- مُؤَلَّفًا ومُنَظَّمًا على أَساسٍ قَبَلِيٍّ، فكان أفرادُ كُلِّ قَبيلةٍ يُكَوِّنُونَ كَتيبةً مُسْتَقِلَّةً ذاتَ رايةٍ تُمَيِّزُها عَنْ غَيْرِها مِنَ الكَتائِبِ، مثل: كَتيبةِ هَمْدانَ، كَتيبةِ مُرادَ، كَتيبةِ كِنْدَةَ، كَتيبةِ حِمْيَرَ، وغَيْرِها، لكنْ كانتْ هُناكَ قبائِلُ لم يَحْضُرِ الفَتْحَ سِوى بَعْضِ عَشَائِرِها، أو كانتْ قَليلةَ العَدَدِ، لم يَكُنْ عَدَدُها كافيًا لتكوينِ كَتيبةٍ (أَيِ: اللِّواءَ العَسْكَرِيَّ بمُصْطَلَحِ أيَّامِنا)، ولم تَقْبَلْ تِلْكَ العَشائِرُ أَنْ تَقِفَ تَحْتَ رايةِ غَيْرِها، فكان القائِدُ العامُّ للفَتْحِ يَجْمَعُهُمْ معًا، ويَجْعَلُ لهم رايةً خاصَّةً بهم.

وقَدْ تكوَّنَتْ كَتيبةُ أَهْلِ الرَّايةِ مِنْ كُلٍّ مِنَ: الأَنْصارِ، وخُزَاعَةَ، وجُهَيْنَةَ، وقُضَاعَةَ، ودَوْسٍ، وعَبْسٍ، وجُرَشَ -هؤلاءِ يَمَانِيُّونَ قَحْطَانِيُّونَ- ومِنْ قُرَيْشٍ، وأَسْلَمَ، وغِفَارَ، ومُزَيْنَةَ، وثَقِيفٍ، وأَشْجَعَ، ولَيْثِ بَكْرٍ -هؤلاءِ عَدْنَانِيُّونَ-، وأَصْبَحُوا يُسَمَّوْنَ: (أَهْلَ الرَّايةِ).

---

(١) الخِدْر -بالكسر-: سِتْرٌ يُمَدُّ للجارية في ناحية البيتِ، ثُمَّ صارَ كُلُّ ما وَارَاكَ من بيتٍ ونَحْوِهِ خِدْرًا، والجمع خُدُورٌ، وأَخدارٌ، وأَخادِيرُ جَمْعُ الجَمْعِ.

(٢) تَسُدْ: مِنْ سَادَ قَوْمَهُ: إذا صارَ سَيِّدَهُمْ، وبابُهُ كَتَبَ، وسُودَدًا -أيضًا بالضَّمِّ-، وسَيْدُودَةً، وسُؤْدُدًا -بزِنَةِ قُنْفُذٍ-.

(٣) اللُّبُّ -بالضَّمِّ-: العَقْل، والجمع أَلْبابٌ، وأَلُبٌّ، وأَلْبُبٌ.

(٤) جُلُّ الشَّيءِ -بالضَّمِّ-: مُعْظَمُهُ.

وَقدْ تقدَّم دَليلُ تنظيمِ النَّبيِّ ﷺ الجَيْشَ في فَتْحِ مَكَّةَ على أَساسٍ قَبَليٍّ، واستمرَّ الحالُ على ذلك حَتَّى عَهْدٍ قَريبٍ، ولا يزالُ الاستنجادُ بالقبائِلِ قائمًا في بَعْضِ الدّولِ مِنْ قِبَلِ[1] حُكَّامِها، ومِنْها اليَمَنُ، ولِلَّهِ الحَمْدُ.

*** دَوْرُ القَبائِلِ في حِراسةِ الأَخْلاقِ:**

وكما للقبائلِ دَوْرٌ في حِراسةِ الإسلامِ، فَدَوْرُها في حِراسةِ الأخلاقِ والحِفاظِ على الفَضيلةِ -وَغَيْرِ ذلك مِنْ خِصالِ الحَمْدِ- لا يختلفُ فيه اثنانِ، ولا يتناطَحُ فيه كَبْشَانِ، فما مِنْ قَبيلةٍ سادَتْ في الجاهليَّةِ أو الإسلام، إلَّا كان كمالُ سُؤْدُدِها بمكَارمِ الأخلاقِ.

لذلك جاءتِ الأدلَّةُ في الثَّناءِ على القبائلِ، وأنَّ قَبيلةً خَيْرٌ مِنْ قَبيلةٍ، وقَبيلةً شَرٌّ مِنْ قَبيلةٍ، لم يَكُنْ ذلك إلَّا بقُرْبِها وبُعْدِها مِنْ مَكارِمِ الأخلاقِ، بَعْدَ استجابتِها للَّهِ ورَسُولِهِ، ودُخُولِها في الطَّاعةِ، ولُزُومِها للجماعةِ.

وللأخلاقِ شَأْنٌ في حِراسةِ الدِّينِ والحَسَبِ، ومَنْ سَاءَ خُلُقُهُ شَانَ دِيْنَهُ وحَسَبَهُ ومُرُوْءَتَهُ، كما قال الفُضَيْلُ بْنُ عِياضٍ[2].

وقال أبو الفَتْحِ البُسْتيُّ:

إذا ما اصْطَفَيْتَ امْرأً، فَلْيكُنْ ... شَرِيفَ النِّجارِ[3] زَكيَّ الْحَسَبْ
فَنَذْلُ الرِّجالِ كَنَذْلِ النَّبا ... تِ لا لِلثِّمَارِ ولا لِلْحَطَبْ[4]

لهذا حَرَصَ سَلَفُنا على مُعاشرَةِ صاحبِ الحَسَبِ لأَخْلاقِهِ ومُرُوءَتِهِ، وكانوا يستدِلُّونَ على الأُصُولِ بالأفعالِ، ومِنْ أَمْثالِهِمْ: «**إذا غاب عَنْكَ أَصْلُهُ، كان دليلَ**

(١) القِبَلُ -بزِنَةِ العِنَبِ-: الجِهَة.
(٢) «سِيَرُ أعلام النُّبلاءِ» (٨/ ٤٢٧).
(٣) النُّجار -بالكسر والضَّمِّ-: الأَصْل والحَسَب.
(٤) «ديوان أبي الفتح البُسْتيِّ» (ص١٠٦).

أَصْلِهِ فِعْلُهُ»، وقَدْ تقدَّمَ هذا ونَحْوُهُ.

ومِنْ دُرَرِ الإمامِ ابْنِ الجَوْزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للعاقلِ أنْ يَنْظُرَ إلى الأُصُولِ فِيمَنْ يُخالِطُهُ، ويُعاشِرُهُ، ويُشارِكُهُ، ويُصادِقُهُ، ويُزَوِّجُهُ، أو يتزوَّجُ إليه، ثُمَّ يَنْظُرُ بَعْدَ ذلِكَ في الصُّوَرِ؛ فإنَّ صَلاحَها دليلٌ على صَلاحِ الباطِنِ.

أمَّا الأُصُولُ فإنَّ الشَّيءَ يَرْجِعُ إلى أَصْلِهِ، وبَعيدٌ ممَّنْ لا أصلَ لَهُ أنْ يكونَ فيه مَعْنًى مُسْتَحْسَنٌ، وإنَّ المَرْأَةَ الحَسْناءَ إذا كانتْ مِنْ بَيْتٍ رَدِيءٍ فَقَلَّ أنْ تكونَ صَيِّنَةً، وكذلك -أيضًا- المُخَالِطُ، والصَّديقُ، والمُباضِعُ[١]، والمُعاشرُ، فإيَّاك أَنْ تُخالِطَ إلَّا مَنْ له أصلٌ يخَافُ عليه الدَّنَسَ، فالغالبُ السَّلامةُ، فإنْ وَقَعَ ذلك كان نادرًا، وقَدْ قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ لرَجُلٍ: أَشِرْ عليَّ فِيمَنْ أستعملُ. فقال: أَمَّا أَرْبابُ[٢] الدِّينِ فلا يُرِيْدُونَكَ، وأمَّا أَرْبَابُ الدُّنيا فلا تُرِيدُهُمْ، ولكنْ عليك بالأَشْرافِ؛ فإنَّهُمْ يَصُونُونَ شَرَفَهُم عمَّا لا يَصْلُحُ.

وقَدْ رَوَى أبو بَكْرٍ الصُّوليُّ قال: حدَّثَني الحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أبي إسحاقَ قال: دعاني المُعْتَصِمُ يومًا، فأَدْخَلَني مَعَهُ الحمَّامَ، ثُمَّ خَرَجَ فَخَلا[٣] بي، وقال: يا أبَا إسحاقَ، في نفسي شَيْءٌ أُريدُ أنْ أَسْأَلَكَ عنه، إنَّ أخي المَأْمُونَ اصْطَنَعَ قومًا[٤] فَأَنْجَبُوا[٥]، واصطنعتُ أنا مِثْلَهُم فلم يُنْجِبُوا، قلتُ: ومَنْ هُمْ؟ قال: اصْطَنَعَ طاهِرًا، وابْنَهُ، وإسحاقَ، وآلَ سَهْلٍ، فَقَدْ رأيتَ كَيْفَ هُمْ، واصطنعتُ أنا الأَفْشِيْنَ، فَقَدْ رأيتَ إلى ما آلَ[٦] أَمْرُهُمْ، وأساش فلم أَجِدْهُ شيئًا، وكذلك إيتاخ ووصيف. قُلْتُ: يا أميرَ المُؤْمنينَ، هاهُنا جوابٌ على أَمَانٍ مِنَ الغَضَبِ. قال: لَكَ

---

(١) باضَعَ المَرْأَةَ: تَزَوَّجها.

(٢) أرباب: أصحاب، واحدُهم رَبٌّ -بالفتح-، ويُجمع -أيضًا- على رُبُوبٍ.

(٣) خَلا بي خَلْوَةً، وخَلاءً: انْفَرَدَ واجتمع معي في خَلْوَةٍ.

(٤) اصطنع قومًا: رَبَّاهم وخرَّجَهُم.

(٥) أَنْجَبُوا: وَلَدُوا النُّجَباءَ، وهُمُ الكُرَماءُ ذَوُو الحَسَبِ إذا خَرجُوا خُرُوجَ آبائِهِمْ في الكَرَمِ.

(٦) آل إليه أَوْلًا، ومآلًا: رَجَعَ.

ذَاكَ. قلتُ: نَظَرَ أَخُوكَ إلى الأُصُولِ فاستعمَلَها؛ فَأَنْجَبَتْ فُرُوعُها، واستعملتَ فُرُوعًا لا أُصُولَ لها، فلم تُنْجِبْ. فقال: يا أبا إسحاقَ، مُقاساةُ ما مَرَّ بي طُولَ هِذهِ المُدَّةِ أَهْوَنُ عليَّ مِنْ هذا الجَوابِ»[1].

* * *

(١) «صيد الخاطر» (ص٢٠١).

أُصُولُ القبائلِ اليَمَانِيةِ

وقَبْلَ أَنْ أَذْكُرَ فَضائلَ القبائلِ -أيضًا- أُحِبُّ أنْ أَذْكُرَ أُصُولَها وهِجْرَتَها، ومَوْقِعَها في اليَمَنِ خاصَّةً.

لَقَد قَسَّمَ المُؤَرِّخون العَرَبَ إلى ثلاثةِ أَقْسامٍ -بحَسَبِ السُّلالاتِ الَّتي يَنْحَدِرون منها-:

١- **العَرَب البائدة:** وهمُ العرب القُدامى الَّذينَ لم يُمْكِنِ الحُصُولُ على تفاصيلَ كافيةٍ عَنْ تاريخِهِمْ، مثل، عادٍ، وثَمُودَ، وطَسْم، وجَدِيْسٍ، وعِمْلاقٍ، وجُرْهُمٍ، وأُمَمٍ آخَرِينَ لا يَعْلَمُهُمْ إلَّا اللَّهُ، كانوا قَبْلَ الخَلِيل ﷺ، وفي زمانهِ -أيضًا-.

٢- **العرب العارِبَة**[١]: وهمُ العَرَبُ المُنْحَدِرةُ مِنْ صُلْبِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ قَحْطانَ، وتُسَمَّى بالعربِ القَحْطانيَّةِ.

٣- **العرب المُسْتَعْرِبة**[٢]: وهمُ العَرَبُ المُنْحدرةُ مِنْ صُلْبِ إسماعيلَ ﷺ، وتُسَمَّى بالعَرَبِ العَدْنانيَّةِ.

أَمَّا العَرَبُ العارِبَةُ -وهي شَعْبُ قَحْطَانَ- فَمَهْدُها[٣] بِلادُ اليَمَنِ، ومِنْ

---

(١) العرب العاربة: هُمُ الخُلَّصُ منهم، أُخِذَ مِنْ لَفْظِهِ فَأُكِّدَ به كقولك: لَيْلٌ لائِلٌ، تقولُ: عَرَبٌ عارِبةٌ وعَرْباءُ وعَرِبةٌ: صُرَحاءُ، وهؤلاءِ هُمُ القَحْطانيُّونَ أبناءُ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ أبي اليَمَنِ كلِّهم؛ لأنَّهُ أوَّلُ مَنْ أَنْطَقَ اللَّهُ لسانَهُ بلُغَةِ العَرَبِ.

(٢) العرب المُتعرِّبة والمُسْتَعْرِبة: همُ الدُّخَلاءُ الَّذينَ دَخَلُوا في العَرَبِ مِنَ العَجَمِ، فتكلَّموا بلسانِهِمْ، وحَكَوْا هَيْئاتِهِمْ، ولَيْسُوا بصُرَحاءَ فيهم، وهؤلاءِ همُ العَدْنانيُّونَ أَبْناءُ نبيِّ اللَّهِ إسماعيلَ بْنِ إبراهيمَ ﷺ؛ لأنَّه صاهَرَ جُرْهُمَ الأُولى، فتعلَّمَ منهمُ العربيَّةَ، وأَخَذَها عنهم، فَسُمِّي أولادُهُ العَرَبَ المُسْتَعْرِبةَ.

قال حَسَّانُ رضي الله عنه:

تَعَلَّمْتُمُـو مِـنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْرُب ... أَبِينا، فَصِـرْتُمْ مُعْرِبينَ ذَوي نَجْرِ

وكُنْتُمْ -قديمًا- ما بِكُمْ غَيْرُ عُجْمَةٍ ... كلامًا، وكُنْتُمْ كالبَهَائِمِ في القَفْرِ

(٣) المَهْد -بالفتح-: الأرض، والجمع: مُهُودٌ.

قَحْطَانَ: حِمْيَرُ، وكَهْلَانُ، هاتانِ القبيلتانِ تَرْجِعُ إليهما جُلُّ قبائلِ اليَمَنِ، أو كلُّها على الصَّحيحِ.

فَحِمْيَرُ أَشْهَرُ بُطُونِها: زَيْدُ الجمهورِ، وقُضَاعةُ، والسَّكاسِكُ.

وكَهْلانُ أَشْهَرُ بُطُونِها: هَمْدَانُ، وأنْمَارُ، وطَيِّئٌ، ومَذْحِجُ، وكِنْدَةُ، ولَخْمٌ، وجُذَامُ، والأَزْدُ، والأَوْسُ، والخَزْرَجُ، وأولادُ جَفْنَةَ مُلُوكُ الشَّامِ. وهاجرتْ بُطُونُ كَهْلانَ عَنِ اليَمَنِ، وانتشرتْ في أنحاءِ الجزيرةِ والشَّامِ، وبَقِيَ جُلُّهُم في اليَمَنِ، فما مِنْ قبيلةٍ هاجرتْ مِنَ اليَمَنِ إلَّا ولها عشيرةٌ باقيةٌ في مَهْدِها.

*** القبائلُ الَّتي هاجرتْ مِنْ بُطُونِ كَهْلانَ:**

١- الأَزْدُ: وكانتْ هِجْرتُهم على رَأْيِ سيِّدِهم وكبيرِهم عِمْرانَ بْنِ عَمْرٍو مُزَيْقِيَاءَ[١]، فساروا يتنقَّلون في بلادِ اليَمَنِ، ويُرْسلونَ الرُّوَّادَ، ثُمَّ ساروا بَعْدَ ذلك إلى الشَّمال، وسكنوا بَعْضَ الأماكنِ، منها:

عَطَفَ[٢] ثَعْلَبَةُ بْنُ عَمْرٍو مِنَ الأَزْدِ نَحْوَ الحِجازِ، فأقام بَيْنَ الثَّعْلبيَّةِ[٣] وذي قَارٍ[٤]، ولمَّا كَبِرَ وَلَدُهُ، وقَوِيَ رُكْنُهُ[٥] سار نَحْوَ المدينةِ، فأقام بها واستوطَنَها[٦]، ومِنْ أبناءِ ثَعْلَبَةَ هذا: الأَوْسُ والخَزْرَجُ ابْنَا حارثةَ بْنِ ثَعْلبةَ.

وانتقل منهم حارثةُ بْنُ عَمْرٍو -وهُوَ خُزَاعةُ[٧]- وبَنُوهُ في رُبُوعِ[٨] الحجازِ، حتَّى

---

(١) مُزَيْقِيَاء: لَقَبُ عَمْرِو بْنِ عامرٍ مَلِكِ اليَمَنِ؛ لأنَّه كان يَلْبَسُ كُلَّ يومٍ حُلَّتَيْنِ، ويُمَزِّقُهما بالعَشِيِّ؛ يَكْرَهُ العَوْدَ فيهما، ويأْنَفُ أنْ يَلْبَسَهُما غَيْرُهُ.

(٢) عَطَفَ: مال، وبابُهُ: ضَرَبَ.

(٣) الثَّعْلَبِيَّة: موضع بطريق مكَّة.

(٤) ذُو قَار: موضع بَيْنَ الكُوفةِ وواسِطَ.

(٥) رُكْنُ الرَّجُلِ -بالضَّمِّ-: عَشِيرتُهُ الَّتي يَسْتندُ إليها كما يُسْتَنَدُ إلى الرُّكْنِ مِنَ الحائِطِ، والجمع أَرْكانٌ، وأَرْكُنٌ.

(٦) استوطنها: اتَّخذها وَطَنًا.

(٧) خُزَاعة -بالضَّمِّ-: حَيٌّ مِنَ الأَزْدِ، سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم لمَّا ساروا مَعَ قَوْمِهم مِنْ مَأْرِبَ، فانْتَهَوْا إلى مكَّةَ تَخَزَّعُوا عنهم في مَسِيرِهم (أَيْ: تَخَلَّفُوا)، فأقاموا وسار الآخَرُونَ إلى الشَّامِ.

(٨) الرُّبوع: الدِّيار، واحدُها رَبْعٌ -بالفتح-، ويُجمع -أيضًا- على رباعٍ، وأَرْبُعٍ، وأَرْباعٍ.

نَزَلُوا بمَرِّ الظَّهْرانِ[١]، ثُمَّ افتتحُوا الحَرَمَ، فقَطَنُوا مكَّةَ[٢]، وأَجْلَوْا سَكَّانَها الْجَراهمةَ.

ونَزَل عِمْرانُ بْنُ عَمْرٍو في عُمَانَ، واستوطنها هو وبَنُوهُ، وهُمْ أَزْدُ عُمَانَ.

وأقامتْ قبائلُ نَصْرِ بْنِ الأَزْدِ بِتِهامةَ، وهُمْ أَزْدُ شَنُوْءَةَ[٣].

وسار جَفْنَةُ بْنُ عَمْرٍو إلى الشَّام، فأقام بها هُوَ وبَنُوهُ، وهو أبو الغَسَاسِنَةِ نِسْبةً إلى ماءٍ في الحِجازِ يُعْرَفُ بغَسَّانَ، كانوا قَدْ نزلوا بها أوَّلًا قَبْلَ تَنَقُّلِهِمْ إلى الشَّامِ.

٢- **لَخْمٌ وجُذَامٌ**: وكان مِنَ اللَّخْمِيِّينَ نَصْرُ بْنُ رَبِيعةَ أبو المُلُوكِ المَنَاذِرةِ بالحِيْرَةِ[٤].

٣- **بَنُو طَيِّئٍ**: ساروا بَعْدَ مَسِيرِ الأَزْدِ، حتَّى نزلُوا بالجَبَلَيْنِ: أَجَإٍ، وسَلْمَى[٥]، وأقاموا هُناك، حتَّى عُرِفَ الجَبَلانِ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ.

٤- **كِنْدَةُ**: نَزَلوا بالبَحْرَيْنِ، ثُمَّ غادروها إلى حَضْرَمَوْتَ، ثُمَّ نزلوا نَجْدًا، وكوَّنوا هُناك حكومةً كبيرةَ الشَّأْنِ، لكنَّها سُرْعانَ ما فَنِيَتْ وذَهَبَتْ آثارُها.

٥- **قُضَاعةُ**: اسْتَوْطَنَتْ بادِيَةَ السَّماوَةِ[٦] مِنْ مشارِفِ العِراقِ[٧][٨].

---

(١) مَرُّ الظَّهْران -بفَتْحِ الميمِ وتشديدِ الرَّاءِ-: موضع بقُرْبِ مكَّةَ.

(٢) قَطَنُوا مكَّةَ: تَوَطَّنُوها، وبابُهُ دَخَلَ.

(٣) أَزْدُ شَنُوْءَةَ -بالهَمْزِ على فَعُولَةٍ-: همْ أصحُّ الأَزْدِ أَصْلًا وفَرْعًا، سُمُّوا بذلك لشَنَآنٍ كان بَيْنَهُمْ (أيْ: بُغْضٍ)، والنِّسْبةُ إليهم: شَنَائِيٌّ، وشَنَئِيٌّ، ورُبَّما قالوا: أَزْدَ شَنُوَّةَ -بالتَّشديدِ غير مهموزٍ-، والنِّسْبة: شَنَوِيٌّ.

(٤) الحِيْرَة -بالكَسْرِ-: بلد قُرْبَ الكُوفةِ، والنِّسْبة: حِيْرِيٌّ، وحارِيٌّ.

(٥) أَجَأٌ -بزِنَةِ جَبَلٍ، يُذَكَّرُ فَيُصْرَفُ، ويُؤَنَّثُ فَيُمْنَعُ-، وسَلْمَى -بزِنَةِ لَيْلَى-، والعَوْجاءُ -بزِنَةِ الهَوْجاءِ-: ثلاثةُ أَجْبُلٍ، وذلك أَنَّ أَجَأَ اسْمُ رَجُلٍ تعشَّقَ سَلْمَى، وجَمَعَتْهُما العَوْجاءُ، فَهَرَبَ أَجَأُ بَسَلْمَى، وذَهَبَتْ مَعَهما العَوْجاءُ، فَتَبِعَهُمْ زَوْجُ سَلْمَى، فأَدْرَكَهُمْ وقَتَلَهُمْ، وصَلَبَ أَجَأَ على أَحَدِ الأَجْبُلِ؛ فَسُمِّيَ أَجَأً، وصَلَبَ سَلْمَى على الجَبَلِ الآخَرِ؛ فَسُمِّيَ بها، وصَلَبَ العَوْجاءَ على الجَبَلِ الثَّالثِ؛ فَسُمِّيَ باسْمِها.

(٦) السَّماوة: موضع بَيْنَ الكُوفةِ والشَّامِ.

(٧) مَشَارِف العِراق: أعاليها.

(٨) «محاضرات في تاريخ الأُمَم» للخضريِّ (١/ ١١- ١٢)، و«قَلْب جزيرة العرب» (ص٢٣١- ٢٣٥)، و«الرَّحيق المختوم» (ص ١٢- ١٣).

خُلاصةُ القَوْلِ:

أنَّ قبائِلَ اليَمَنِ تَرْجعُ إلى أَصْلَيْنِ كريمَيْنِ، هما: (حِمْيَرُ، وكَهْلَانُ) ابنا سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطانَ بْنِ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ عليه السلام.

وقَدْ عُثِرَ على قِطْعةٍ نُحاسيَّةٍ فيها تَدَرُّجُ هذا النَّسَبِ[1].

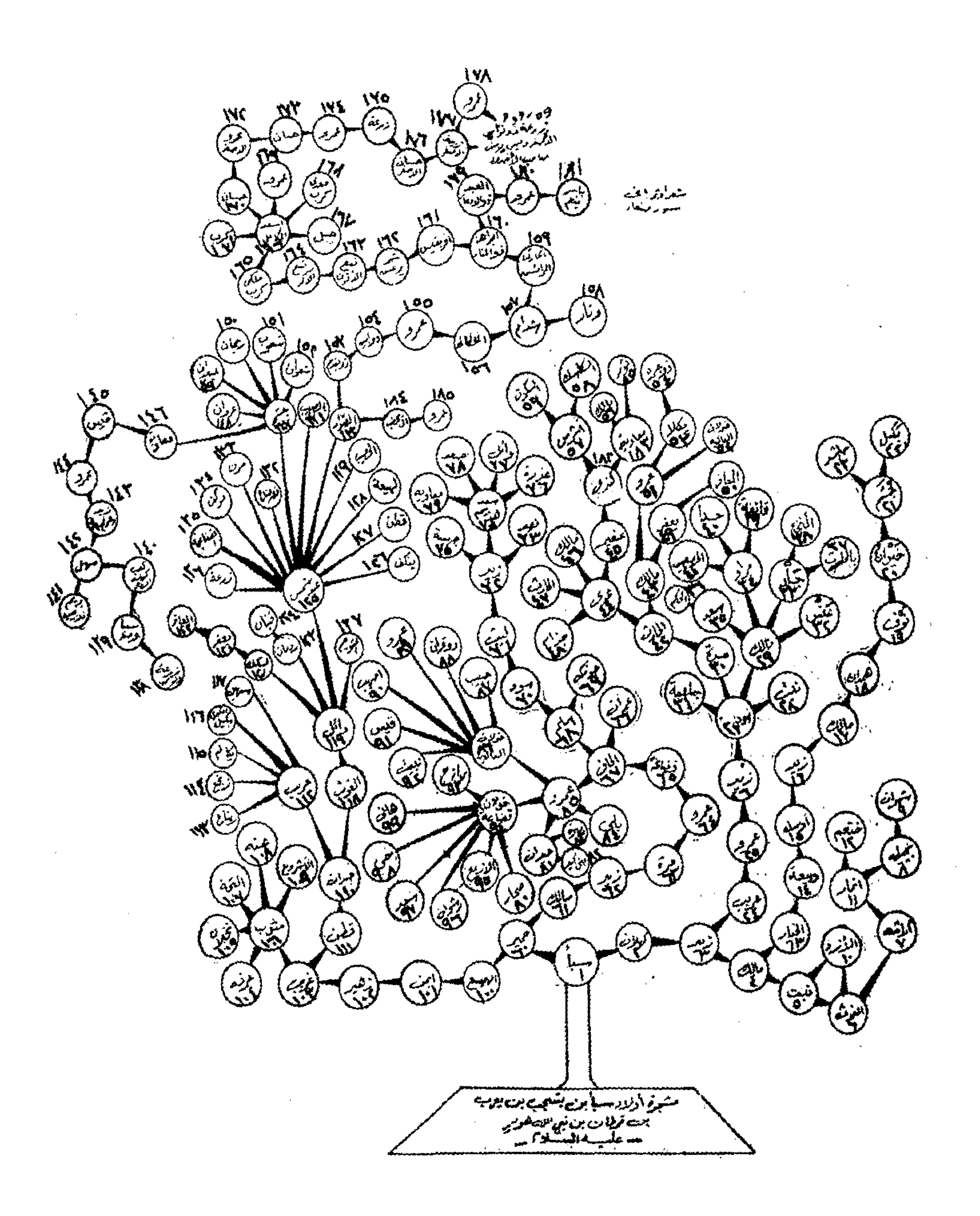
* * *

(١) انظر جواد علي (٢/ ١٠١)، و«الإكليل» (١/ ٩٣)، و«اليمن الخَضْراء» للقاضي محمَّدٍ الأكوع الحَواليّ (ص٩٧- ٩٨)، وقد أَحَالَ مَصْدَرَ هذِهِ الشَّجَرةِ إلى مَراجعَ، منها: الجزء الأوَّل والثَّاني والعاشر مِنَ «الإكليل»، و«طُرْفَة الأصحاب في معرفةِ الأنساب» للأشرفِ الرَّسُوليِّ، و«النَّسَب الكبير» لهشام بْنِ الكَلْبيِّ، ثُمَّ وُجِدَ ما يُؤَيِّدُ ذلك مِنْ صديقه العلَّامةِ مُحمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ القادرِ رحمه الله، وعُثُورِهِ على نَقْشٍ بخَطِّ المُسْنَدِ* في بَعْضِ مناطقِ اليَمَنِ، وفيه نَسَبُ بَعْضِ الأَقْيالِ** مُسَلْسلًا إلى قَحْطَانَ، وهذا يُؤَيِّدُ كلامَ لِسانِ اليَمَنِ الهَمْدانيِّ فيما نَقَلَهُ عَنْ شَيْخِهِ أبي نَصْرٍ، كما في «الإكليل» (١/ ٩٣).

* المُسْنَدُ: خَطٌّ لحِمْيَرَ مُخالِفٌ لخَطِّنا هذا، كانوا يَكْتبونَهُ أيَّامَ مُلْكِهِمْ فيما بَيْنَهُمْ.

** الأَقْيال: جَمْعُ قَيْلٍ -بالفَتْحِ-، وهُوَ المَلِكُ مِنْ مُلُوكِ حِمْيَرَ يَتَقَيَّلُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ مُلُوكِهِمْ (أَيْ: يُشْبِهُهُ)، ويُجْمَعُ -أيضًا- على قُيُولٍ.

شَجَرَةُ أَوْلَادِ سَبَإِ بْنِ يَشْجُبُ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ ـ عليه السَّلامُ ـ.



شَجَرَةُ أَوْلَادِ سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ عليه السلام

(١) سَبَأ -يُصْرَفُ ولا يُصْرَفُ، ويُمَدُّ ولا يُمَدُّ- : لَقَبُ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ يَشْجُبَ، يَجْمَعُ قبائلَ اليَمَنِ عامَّةً، وهو أَوَّلُ مَنْ تَتَوَّجَ، وأَوَّلُ مَنْ سَبَأَ مِنَ العَرَبِ؛ فَسُمِّيَ سَبأً، وأَوَّلُ مَنْ غَنِمَ في الغَزْوِ، فأَعْطَى قَوْمَهُ؛ فَسُمِّيَ الرَّائِش، والعَرَبُ تُسَمِّي المالَ رِيْشًا ورياشًا.

وقَدْ حكَى ابْنُ دِحْيَةَ في كتابه «التَّنوير في مولدِ البشيرِ النَّذير» عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهُ كان مُسْلِمًا، وبَشَّرَ برسولِ اللَّه ﷺ في زمانِهِ المُتقدِّمِ، وقال في هذا شِعْرًا:

سَيَمْلِكُ بَعْدَنا مُلْكًا عَظِيمًا ... نَبِيٌّ لا يُرَخِّصُ في الحَرامِ
ويَمْلِكُ بَعْدَهُ مِنْهُمْ مُلُوكًا ... يَدِيْنُونَ العِبادَ بِغَيْرِ ذَامِ
ويَمْلِكُ بَعْدَهُمْ مِنَّا مُلُوكٌ ... يَصِيرُ المُلْكُ فِيْنا باقْتِسامِ
ويَمْلِكُ بَعْدَ قَحْطَانَ نَبِيٌّ ... تَقِيٌّ جَبِينُهُ خَيْرُ الأَنامِ
يُسَمَّى أَحْمَدًا، يا لَيْتَ أَنِّي ... أُعَمَّرُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ بِعَامِ
فَأَعْضُدُهُ وأَحْبُوهُ بِنَصْرِي ... بِكُلِّ مُدَجَّجٍ وبِكُلِّ رامِ
مَتَى يَظْهَرْ فكُونُوا ناصِرِيْهِ ... ومَنْ يَلْقاهُ يُبَلِّغْهُ سَلامِي

انظر «البداية والنِّهاية» (٢/ ٥٤٣).

ومعنى يَدينون العبادَ: يَسُوسُونهم، وبابُهُ بَاعَ. والذَّام: العَيْب. والأَنَام -بزنَةِ سَحَابٍ-: الخَلْق. وأَعْضُدُهُ -مِنْ باب نَصَرَ-: أُعِيْنُهُ وأُساعِدُهُ.

وأَحْبُوهُ: أَحْمِيهِ وأَمْنَعُهُ. والمُدَجَّجُ: الفارس اللَّابس السِّلاحَ التَّامَّ، الَّذي قد دَخَلَ في سِلاحِهِ، كأنَّه قَدْ تَغَطَّى بِهِ.

(٢) كَهْلَانُ. (٣) زَيْدٌ. (٤) مالِكٌ. (٥) نَبْتٌ. (٦) الغَوْثُ. (٧) إِرَاشٌ.

(٨) بَجِيْلَةُ. (٩) شَهْدانُ. (١٠) الأَزْدُ. (١١)أَنْمَارُ. (١٢) خَثْعَمٌ. (١٣) الخِيَارُ.
(١٤) رَبِيعةُ. (١٥) أَوْسِلَةُ. (١٦) زَيْدِ. (١٧) مالِكُ. (١٨) هَمْدَانُ. (١٩) نَوْفٌ.
(٢٠)خَيْرانُ. (٢١) جُشَمُ. (٢٢) بَكِيلٌ. (٢٣) حاشِدٌ. (٢٤) عَرِيبٌ.
(٢٥) عَمْرٌو. (٢٦) زَيْدٌ. (٢٧) أُدَدٌ -كَعُمَرَ مَصْرُوفًا-. (٢٨) نَبْتٌ. (٢٩) مالِكٌ -
ولَقَبُهُ مَذْحِجٌ-. (٣٠) مُرَّةُ. (٣١) جَلْهَمَةُ -ولَقَبُهُ طَيِّئٌ-. (٣٢) عَنْسٌ -واسْمُهُ زَيْدٌ-
(٣٣)جَلْدٌ. (٣٤) مُرادٌ -واسْمُهُ يُحَابِرُ-. (٣٥) سَعْدُ العَشِيرةِ. (٣٦) الحَكَمُ.
(٣٧) بَلْحَارِثِ -وهو مِنْ شواذِّ التَّخْفيفِ، والأَصْلُ بَنُو الحارِثِ، فَحَذَفُوا النُّونَ،
وعلامةَ الإعرابِ، وأَلِفَ أَلْ، وكذلك يفعلون في كُلِّ قبيلةٍ تَظْهَرُ فيها لامُ المَعْرِفَةِ-
(٣٨) النَّخَعُ. (٣٩) قائفةُ. (٤٠) حَدَا. (٤١) المصعبين. (٤٢) الحارِثُ.
(٤٣) مالِكٌ. (٤٤) عَدِيٌّ. (٤٥) عُفَيْرٌ. (٤٦) مالِكٌ. (٤٧) الحارِثُ.
(٤٨) جُذَامٌ. (٤٩) يَعْفُرُ. (٥٠) مَعَافِرُ. (٥١) عَمْرٌو. (٥٢) خَوْلَانُ العاليةِ.
(٥٣) يكلا. (٥٤) ذُو جِرَّةٍ. (٥٥) ثَوْرٌ. (٥٦) مالِكٌ. (٥٧) أَشْرَسُ.
(٥٨) سَكْسَكٌ. (٥٩) السَّكُونُ. (٦٠) حِمْيَرٌ. (٦١) مالِكٌ. (٦٢) زَيْدٌ.
(٦٣) مُرَّةُ. (٦٤) عَمْرٌو. (٦٥) قُضَاعةُ. (٦٦) عِمْرانُ. (٦٧) الحَافُ.
(٦٨) أَسْلَمُ. (٦٩) حونكن. (٧٠) سُودٌ. (٧١) لَيْثٌ. (٧٢) زَيْدٌ. (٧٣) نَهْدٌ.
(٧٤) سَعْدُ هُذَيْمٍ. (٧٥) جُهَيْنَةُ. (٧٦) عُذْرةُ. (٧٧) وائِلٌ. (٧٨) صعرٌ.
(٧٩) مُعَاوِيَةُ. (٨٠) صُحَارٌ. (٨١) حَيْدانُ. (٨٢) بَنُو مَجِيدٍ. (٨٣) مَهْرَةُ.
(٨٤) بَلِيٌّ. (٨٥) عَمْرٌو. (٨٦) خَوْلَانُ العالين. (٨٧) حبيبٌ. (٨٨) دوقران.
(٨٩) عَمْرٌو. (٩٠) أَصْهَبُ. (٩١) قَيْسٌ. (٩٢) نَبِيتُ. (٩٣) رَازِحٌ. (٩٤) خَوْلَانُ
قُضَاعةَ. (٩٥) الأَزمعُ. (٩٦) رشوانُ. (٩٧)سَعْدٌ. (٩٨) حَيٌّ. (٩٩)هاني.
(١٠٠) الْهَمَيْسَعُ. (١٠١) أَيمنُ. (١٠٢) زُهَيْرٌ. (١٠٣) غريبٌ. (١٠٤) عُرْنَةُ.
(١٠٥) نَخْلَانُ. (١٠٦)مَثْوَبُ. (١٠٧) الثّجَّةُ. (١٠٨) عُنَّةُ. (١٠٩) الأَشْرُوعُ.
(١١٠) جيدانُ. (١١١) قَطَنٌ. (١١٢) عَرِيبٌ. (١١٣) ريناعٌ. (١١٤) زُنْجُعٌ.
(١١٥) يكالم. (١١٦) بَكِيلٌ الكُبْرَى. (١١٧) سُهَيْلٌ. (١١٨) الغَوْثُ.

(١١٩) وائِلٌ. (١٢٠) السَّكاسِكُ. (١٢١) يَعْفُرُ. (١٢٢) المَعَافِرُ. (١٢٣) رَدْمانُ. (١٢٤) قنيانُ. (١٢٥) عَبْدُ شَمْسٍ. (١٢٦) يَنْكَفُ. (١٢٧) قَطَنٌ. (١٢٨) لَهِيْعَةُ. (١٢٩)الحُصَيْبُ. (١٣٠) الصُّوَّارُ. (١٣١) الصُّهَيْبُ. (١٣٢) ذُو مَنَاخٍ. (١٣٣) مرنٌ. (١٣٤) مَوْكَنٌ. (١٣٥) القناعمه. (١٣٦) زُرْعَةُ. (١٣٧) التوجم. (١٣٨) زُرْعةُ -وهو حِمْيَرٌ-. (١٣٩) سَبَأُ الأَصْغَرُ. (١٤٠) كعب. (١٤١) يَرِيْمُ ذُو رُعَيْنٍ. (١٤٢) سَهْلٌ. (١٤٣) زَيْدٌ -وهو الجمهور-. (١٤٤) عَمْرٌو. (١٤٥) قَيْسٌ. (١٤٦) مُعَاوِيةُ. (١٤٧) جُشَمُ. (١٤٨) عَرْوانُ. (١٤٩) بَعْدَانُ. (١٥٠) رَيْحَانُ. (١٥١) شَعُوبٌ. (١٥٢) شعوانُ. (١٥٣) ذو يقدم. (١٥٤) دوابين. (١٥٥) عَمْرٌو. (١٥٦) المِلْطاطُ. (١٥٧) شدامٌ. (١٥٨) وتارٌ. (١٥٩) الحارِثُ الرَّائِشُ. (١٦٠) أَبْرَهَةُ ذُو المنارِ. (١٦١) إفريقيس. (١٦٢) شهر يرعن. (١٦٣) تُبَّعٌ الأقرنُ. (١٦٤) تُبَّعٌ الأَكْبَرُ. (١٦٥) مَعْدِيْكَرِبَ. (١٦٦) سَعْدُ الكاملِ. (١٦٧) جَبَلٌ. (١٦٨) مَعْدِيْكَرِبَ. (١٦٩) عَمْرٌو (١٧٠) حَسَّانُ. (١٧١) كَرِبُ. (١٧٢) عَمْرٌو الأَصْغَرُ. (١٧٣) حَسَّانُ. (١٧٤) عَمْرٌو. (١٧٥) زُرْعةُ. (١٧٦) حَسَّانُ الأَصْغَرُ. (١٧٧)زُرْعةُ الأَصْغَرُ. (١٧٨) عَمْرٌو. (١٧٩) العبْرُ ذُو الأدعار. (١٨٠) عَمْرٌو. (١٨١) ياسرُ يَنْعَمَ. (١٨٢) كِنْدَةُ -واسْمُهُ ثَوْرٌ-. (١٨٣) مَعاويةُ. (١٨٤) آلُ يَحْصُبَ. (١٨٥) عَمْرٌو.

❊ ❊ ❊

مَوْقِعُ القَبَائِلِ في اليَمَنِ

١- قَبيلةُ حِمْيَرَ:

تَنْزِلُ في المكانِ المَنْسُوبِ إليها، وهو (سَرْوُ حِمْيَرَ)[١] في جَنُوبِ شَرْقِ اليَمَنِ، وهُوَ ما يُسَمَّى اليومَ بيافِعٍ[٢] وما جاوَرَها، وهو يُتاخِمُ[٣] (سَرْوَ مَذْحِجٍ)، بَلْ هُناك تَدَاخُلٌ بَيْنَ مَنازِلِهِم، وتَصُبُّ أَوْدِيَةُ (سَرْوِ حِمْيَرَ) إلى منطقةِ (أَبْيَنَ) الَّتي كانتْ سُوقًا لبَعْضِ (مَذْحِجٍ) وهُمْ (مُرادُ)، بَيْنَما قَبيلةُ (الأصابحِ)[٤] -وهي حِمْيَرِيَّةٌ- كانتْ تَنْزِلُ (لَحْجًا)[٥] و(أَبْيَنَ)، كما أنَّ بَعْضَها مِنْ كِنْدَةَ كانوا يَنْزِلُونَ (سَرْوَ حِمْيَرَ)[٦].

٢- هَمْدَانُ:

هِيَ مِنَ القبائلِ الكبيرةِ في اليَمَنِ، وتَحْتَلُّ قِسْمًا كبيرًا مِنْ شَرْقِ صَنْعَاءَ وشَمالِها، وتمتدُّ حتَّى (صَعْدَةَ)[٧]، ويجُاورونَ (خَوْلَانَ) صاحِبةَ مدينةِ (صَعْدَةَ)، وتُعْتَبَرُ بِلادُ (هَمْدَانَ) مُنقسمةً إلى قِسْمَيْنِ: مِنَ الشَّمالِ في (صَعْدَةَ) إلى الجَنُوبِ في (صَنْعَاءَ) فَشَرْقِيُّهُ (لِبَكِيْلٍ) أَحَدِ فَرْعَيْ (هَمْدَانَ)، وغَرْبِيُّهُ (لحاشِدٍ)، وهُوَ الفَرْعُ الآخَرُ مِنْ (هَمْدَانَ)، وتَتَّصِلُ أَرْضُ (هَمْدَانَ) في الشَّمالِ الغَرْبِيِّ مِنْها بأَرْضِ حِمْيَرَ[٨] ومِنْ مَناطِقِ هَمْدَانَ المَشْهُورةِ (الجَوْفُ)[٩].

---

(١) السَّرْوُ -بفتحِ أَوَّلِهِ وسُكُونِ ثانيةٍ على وَزْنِ الغَزْوِ- مِنَ الجَبَلِ: ما ارْتَفَعَ عَنْ مَجْرَى السَّيْلِ وانْحَدَرَ، ومِنْهُ سَرْوُ حِمْيَرَ، وهو مَنازِلُهُمْ بأرضِ اليَمَنِ. ياقوت الحمويُّ، «مُعْجَم البُلْدان» (٣/ ٢١٧).

(٢) يافع: قَبيلةٌ مِنْ قَبائلِ حِمْيَرَ، وتَقَعُ مَنازِلُهم في سَرْوِ حَمِيَرَ، في إقليمِ جَنُوبِ شَرْقِ اليَمَنِ.

(٣) يُتاخِمُ: يُحَادُّ.

(٤) قبيلةٌ كبيرةٌ، وهي اليومَ تتفرَّعُ إلى أَرْبعِ قَبائِلَ في أَمَاكِنَ مُختلفةٍ، أَشْهَرُها: (الصَّبيحةُ)، ومنازِلُها مِنْ بابِ المَندَبِ غَرْبًا إلى قُرْبِ يافعٍ شَرْقًا. «الإكليل» (٢/ ١٤٣).

(٥) لَحْجُ: مِخْلافٌ باليَمَنِ، تُنْسَبُ إلى لَحجِ بْنِ وَائِلِ بْنِ حِمْيَرَ. «ياقوت»، «المُعْجَم» (٥/ ١٤).

(٦) «تاريخ الطَّبَريِّ» (٣/ ٢٣٠).

(٧) صَعْدَةُ: مدينةٌ في حُدُودِ السُّعُودِيَّةِ.

(٨) «صفة جزيرة العرب» (٢٣٩، ٢٤٧).

(٩) الجَوْفُ: منطقةٌ واسعةٌ تَصُبُّ فيها أربعةُ أَوْدِيَةٍ كبيرةٍ. «صفة جزيرة العرب» (١٥٢).

٣- مَذْحِجٌ:

هِيَ مُتَفَرِّقةٌ في مَنازِلِها بتفرُّقِ بُطُونِها، ولها سِيادةٌ على منطقةٍ كبيرةٍ مِنَ اليَمَنِ، إلَّا أنَّ مُعْظَمَهُمْ كانوا يَسْكُنُونَ (سَرْوَ مَذْحِجٍ)، الَّذي يمتدُّ مِنْ (تَثْليثَ) في الشَّمالِ، (فَنجْرَانَ)، (فَمأْرِبَ)، (فَدَثِينَةَ)، إلى (الكَوْرِ)[١] -أَيْ: يَشْمَلُ شَرْقَ أَرْضِ (هَمْدَانَ)، و(خَوْلانَ)، وجُزْءًا مِنْ شَرْقِ شَمالِ (حِمْيَرَ)-.

ومِنْ بُطُونِهِمْ: (مُرادُ، وسَعْدُ العَشِيْرَةِ، وزُبَيْدُ، وعَنْسٌ، والرُّهَاءُ، وبَنُو الحارِثِ، وصُدَاءُ)[٢]، فكانتْ (صُدَاءُ) يَسْكُنونَ بجِوارِ (بني الحارثِ بْنِ كَعْبٍ) بشَمالِ (نَجْرَانَ)، وَبيْنَهُمْ تَحالُفٌ[٣]، بَيْنَما بنو الحارِثِ كانتْ مَنازِلهُم (بنَجْرَانَ)، ورِياستُهُمْ في (عَبْدِ المَدَانِ).

وأمَّا (الرُّهَاءُ) فيسكنون (سَرْوَ مَذْحِجٍ) في المَناطِقِ الواقعةِ شَرْقَ محُافظةِ (البَيْضَاءِ) في عَصْرِنا الحاضِرِ[٤].

وأمَّا (عَنْسٌ) فكانوا يَنْزِلُونَ (رَدَاعَ)[٥] شَرْقَ (ذَمَارِ)[٦]، وهي أرضٌ واسعةٌ، وتُعْتَبَرُ بِلادُ (عَنْسٍ) رَأْسَ مخَاليفِ (ذَمَارِ).

وأَمَّا (زُبَيْدُ)[٧] فكانتْ تَسْكُنُ بَعْضَ (سَرْوِ مَذْحِجٍ) في الشَّمالِ خَاصَّةً في

---

(١) الكَوْرُ -بالفتح-: أرضٌ بنَجْدٍ.

(٢) «صفة جزيرة العرب» (ص٥٩) الهامش.

(٣) «جمهرة أنساب العرب» لابْنِ حَزْمٍ (ص ٤١٣).

(٤) «صفة جزيرة العرب» (ص١٨١)، وجُزْءٌ مِنْ سَرْوِ مَذْحِجٍ يُطْلَقُ عليه اليومَ (البَيْضَاءُ)، وهي مُحافظةٌ في شَرْقِ اليَمَنِ.

(٥) رَداع -بفَتْحِ الراءِ-: مدينةٌ عامِرَةٌ تقعُ بَيْنَ نَجْدِ حِمْيَرَ ونَجْدِ مَذْحِجَ، وسُكَّانُها خَليطٌ مِنْ حِمْيَرَ، وخَوْلانَ، ومَذْحِجَ. انظر «مُعْجَم البُلْدان» (٣/ ٣٩)، و«صفة جزيرة العرب» (ص ٨٠، ٨١).

(٦) ذَمار -بفتحِ الذَّالِ المُعْجَمَةِ وكَسْرِها مَعَ الإعْرَابِ، أَوْ بفَتْحِهَا والبِنَاءِ على الكسْر كَحَذَامِ-: مَدِينةٌ في جَنُوبِ صَنْعَاءَ.

(٧) زُبَيْدُ -بضَمِّ الزَّاي، وفَتْحِ الباءِ-: بَطْنٌ مِنْ سَعْدِ العَشِيرةِ مِنْ مَذْحِجٍ، وهي غَيْرُ مدينةِ زَبِيدَ -بفتح الزَّايِ، وكَسْرِ الباءِ-.
انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزمٍ (ص٤١١، ٤١٢).

(تَثْلِيثَ)، ومُتَدَاخِلَةً مَعَ بلادِ (خَوْلَانَ)[١].

وتُعْتَبَرُ (زُبَيْدُ) جُزْءًا مِنْ (سَعْدِ العَشِيرةِ)، إلَّا أنَّ هؤلاءِ يَنْزِلُونَ بِلادَ (تِهامَةَ) في نَواحي (جازَانَ)[٢]، وتُجاوِرُها (حَاشِدُ)[٣]، و(خَوْلَانُ)[٤].

وأمَّا (مُراد) فَيسكُنُونَ (الجَوْفَ) جَوْفَ هَمْدَانَ، وكانتْ سُوقُهُمُ التِّجاريَّةُ في (أَبْيَنَ) مِنْ أَرْضِ (حِمْيَرَ)[٥].

٤- كِنْدَةُ:

هي قبيلةٌ كبيرةٌ مِنْ قَبائِلِ (كَهْلَانَ)، ولها فُرُوعٌ في (الحِيْرَةِ) و(البَحْرَيْنِ)، ولكن فروعهم الَّتي في (البَحْرَيْنِ) نَزَحَتْ إلى (حَضْرَمَوْتَ)، ومِنْ بُطُونِهِمُ العظيمةِ: (الصَّدِفُ، تُجِيْبُ، العِبَادُ، بنو مُعاويةَ، السَّكَاسِكُ[٦]، والسَّكُوْنُ).

* ويَتَفَرَّعُ بنو كِنْدَةَ إلى فَرْعَيْنِ:

بنو مُعاويةَ، وبنو الأَشْرَسِ:

فأما بنو مُعاويةَ فإذا أُطْلِقَ اسْمُ (كِنْدَةَ) فَهُمُ المَقْصُودُونَ به بفَرْعَيْهِمْ: (بني وَلِيْعَةَ، وبني الحارِثِ)، أمَّا بنو الأَشْرَسِ بْنِ كِنْدَةَ فيذكرون باسْمِ قَبائِلِهِمْ: كَ(الصَّدِفِ، وتُجِيبَ، والسَّكاسِكِ، والسَّكُونِ)[٧]، وكانوا يَقْطُنونَ حَضْرَمَوْتَ إلى

(١) «صفة جزيرة العرب» (ص ٥٩، ٦٥، ٢٥٣».

(٢) جازان: مدينةٌ قَديمةٌ هِيَ الآنَ تقعُ ضِمْنَ منطقةٍ كبيرةٍ يُطْلَقُ عليها اسْمُ جِيْزَانَ -بالكسر-، وهي في السُّعُودِيَّةِ على الحُدُودِ مَعَ اليَمَنِ.

(٣) حاشد: بَطْنٌ عِظَيمٌ مِنْ هَمْدَانَ، تمتدُّ أراضيها مِنْ صَنْعَاءَ شَمالًا إلى بِلادِ صَعْدَةَ، وتَشْمَلُ جِبالَ لَاعَةَ، والأهنومَ، وظليمةَ، وعُذْرَ، وخارِفَ، والعَمَشِيَّةَ. . . . وغَيْرَ ذلك مِنَ المَناطقِ التَّي تنتظمُها اليومَ محُافظةُ عِمْرَانَ. «معجم البلدان» للمقحفيِّ (١/ ٣٨٩).

(٤) «تاج العَرُوسِ» للزَّبيديِّ (٨/ ٢٥٥).

(٥) «تاريخ مدينة صنعاء» للرَّازيِّ (ص١٤٤).

(٦) السَّكاسِكُ -بالفتح-: قبيلةٌ عَظيمةٌ تنتسبُ إلى سَكْسَكِ بْنِ أَشْرَسَ بْنِ ثَوْرٍ، وهو كِنْدَةُ، ويُنسبُ إليه. انظر «صفة جزيرة العرب» (ص١٦٨).

(٧) «تاريخ حضرموت» لصالح العَلَويِّ (١/ ٢١).

بَلَدِ المَهَرَةِ.

***وأَرْضُ (كِنْدَةَ) محصورةٌ في وادِيَيْنِ بحَضْرَمَوْتَ:**

وادي (عين)، ووادي (دَوْعَنٍ)[1]، فأَعْلاهُما الحُصُونُ، وأَسْفَلُهما الزَّرْعُ والنَّخْلُ، وفيهما حِصْنُ (النُّجَيْرِ)، وحِصْنُ (تَرِيْمَ) مَقَرُّ المُلُوكِ مِنْ بني عَمْرِو بْنِ مُعاوِيةَ[2].

كذلك يسكُنُ بَطْنُ (تُجِيبَ) الكِنْدِيَّةِ (كِسْرَ قَشَاقِش) في وَسَطِ حَضْرَمَوْتَ[3].

ويتبيَّنُ مِنْ هذا: أنَّ (كِنْدَةَ) تَسْكُنُ أَعَاليَ بلادِ حَضْرَمَوْتَ أيْ: (شمَالَ الإقليمِ وشَمالَ غَرْبِهِ)، وتُجاورُ قَبيلةَ حَضْرَمَوْتَ الَّتي كانتْ تَسْكُنُ أَسْفَلَهُ مُطِلَّةً على البَحْرِ، وكان هُناكَ مَنازِلُ كِنْدَةَ في أواسِطِ حَضْرَمَوْتَ.

٥- قَبيلةُ مَهَرَةَ[4]:

قبيلة مَهَرَةَ بْنِ حَيْدانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الحاف بْنِ قُضَاعَةَ، وهِيْ بَيْنَ حَضْرَمَوْتَ وعُمَانَ على ساحلِ بَحْرِ العَرَبِ مِنْ ناحيةِ اليَمَنِ.

٦- قَبيلةُ حَضْرَمَوْتَ:

هي ما بَيْنَ (مَهَرَةَ)، وقَبيلةِ (كِنْدَةَ) شَرْقِيَّ وادي حَضْرَمَوْتَ، ابتداءً مِنْ مَدِينةِ شِبَامَ الَّتي تُعْتَبَرُ أَوَّلَ بَلَدِ حِمْيَرَ[5]، وتَمْتَدُّ شَرْقًا حتَّى نهايةِ حَضْرَمَوْتَ.

---

(١) وادي دَوْعَنَ -بفتحٍ وسُكونٍ-: هو الوادي الرَّئيسُ في حَضْرَمَوْتَ. «صفة جزيرة العرب» (ص١٧١).

(٢) «الإكليل (٨/ ٩٠)، وتَرِيم -بفتحِ التاءِ، وكَسْرِ الرَّاءِ-: إحدى مَدِيْنَتَيْ حَضْرَمَوْتَ؛ لأنَّ حَضْرَمَوْتَ اسْمٌ للمحافظةِ كُلِّها، ومدينتاها شِبَام، وتَرِيمُ، وهُما قَبيلتانِ، سُمِّيتِ المدينتانِ باسميهما.
انظر «المعجم» لياقوت (٢/ ٢٨)، وتَرِيمُ نِسْبَةٌ إلى تَرِيمَ بْنِ حَضْرَمَوْتَ بْنِ سَبَإٍ الأَصْغَرِ.
انظر «مُعْجَمُ ما اسْتَعْجَمَ» للبَكْرِيِّ (١/ ٣١١).

(٣) انظر «صفة جزيرة العرب» (ص١٧٥)، و«معجم البلدان» لياقوت الحمويِّ (٤/ ٤٦٠).

(٤) مَهَرَة: بالتَّحرِيكِ، ويَنْطِقُها العامَّةُ: (مَهْرَةُ) بتسكينِ الهاءِ. انظر «معجم البلدان» (٥/ ٢٣٤) لِياقُوتٍ الحمويِّ.

(٥) «صفة جزيرة العرب» (١٧٢).

٧- قَبائلُ بِلادِ السَّرَاةِ:

(السَّراةُ) عُمُومًا هي: جِبالٌ مُتَّصلةٌ على نَسَقٍ واحدٍ ما بَيْنَ أَقْصَى اليَمَنِ والشَّامِ[١]، ثُمَّ خُصِّصَتْ بالجبالِ المُطِلَّةِ على تِهَامَةَ ممَّا يَلِي اليَمَنَ، فأَوَّلُها (هُذَيْل)[٢] -وهي تَلِي السَّهْلَ[٣] مِنْ تِهَامَةَ-، وثانيتُها -وهي الوُسْطَى- لـ(بَجِيْلَةَ)[٤]، وتُشارِكُهُمْ (ثَقِيفٌ)[٥] في ناحيةٍ منها، ثُمَّ سَرَاةُ (الأَزْدِ)[٦] أَزْدِ شَنُوْءَةَ[٧]، فَغَرْبَ السَّراةِ إلى البَحْرِ بِلادُ (الأَشْعَرِيِّيْنَ، وَعَكٍّ)، وفي شَرْقِها (نَجْدٌ)[٨]. وَقَدْ حُدِّدَتِ القَبائلُ القاطِنةُ في حُدُودِ سَرَواتِ اليَمَنِ، وهي: (خَثْعَمُ) و(بارِقُ)، و(الأَزْدُ)، و(دَوْسٌ)، و(غَامِدُ)، و(بَجِيلَةُ)، و(غامِقُ)[٩].

* * *

(١) «صفة جزيرة العرب» (ص٩٩).

(٢) هُذَيْل: بَطْنٌ مِنْ مُدْرِكَةَ بَنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ مِنَ العَدْنانيَّةِ، ودِيارُهُمْ بالسَّرَوَاتِ مُتَّصلة بالطَّائِفِ. انظر «مُعْجَم قبائلِ العرب» لكحالةَ (٣/ ١٢١٣).

(٣) السَّهْل -بالفتح-: ضِدُّ الجَبَلِ، والجَمْعُ سُهُولٌ.

(٤) بَجِيلة -بزِنَةِ سَفِينةٍ-: قَبيلةٌ مِنْ وَلَدِ أَنْمارِ بْنِ قَحْطَانَ ومُعْظَمُهم بنَجْرَانَ انظر «جمهرة أنساب العرب» (٣٨٧).

(٥) بَطْنٌ مُتَّسِعٌ مِنْ هَوَازِنَ مِنَ العَدْنانيَّةِ، ومَوْطِنُهُمْ بالطَّائف. انظر «معجم قبائل العرب» (١/ ١٤٨).

(٦) الأَزْد -بالفتح وأَسْدٌ بالسِّينِ أَفْصَحُ مِنَ الزَّايِ- هو: ابْنُ الغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مالكِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ أبو حَيٍّ باليَمَنِ، ومِنْ أَوْلادِهِ الأَنْصَارُ جَمِيعًا. قال الشَّاعِرُ:

ونَحْنُ بَنُو النَّبْتِ بْنِ غَوْثِ بْنِ مالِكٍ ... ابْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَان، وأَهْلُ المَفَاخِرِ

يَمَانُـونَ تَدْعُـونا سَبَـاءُ فَنُجِيبُهَا ... إلى الجَوْهَرِ المَكْنُونِ خَيْرِ الجَوَاهِرِ

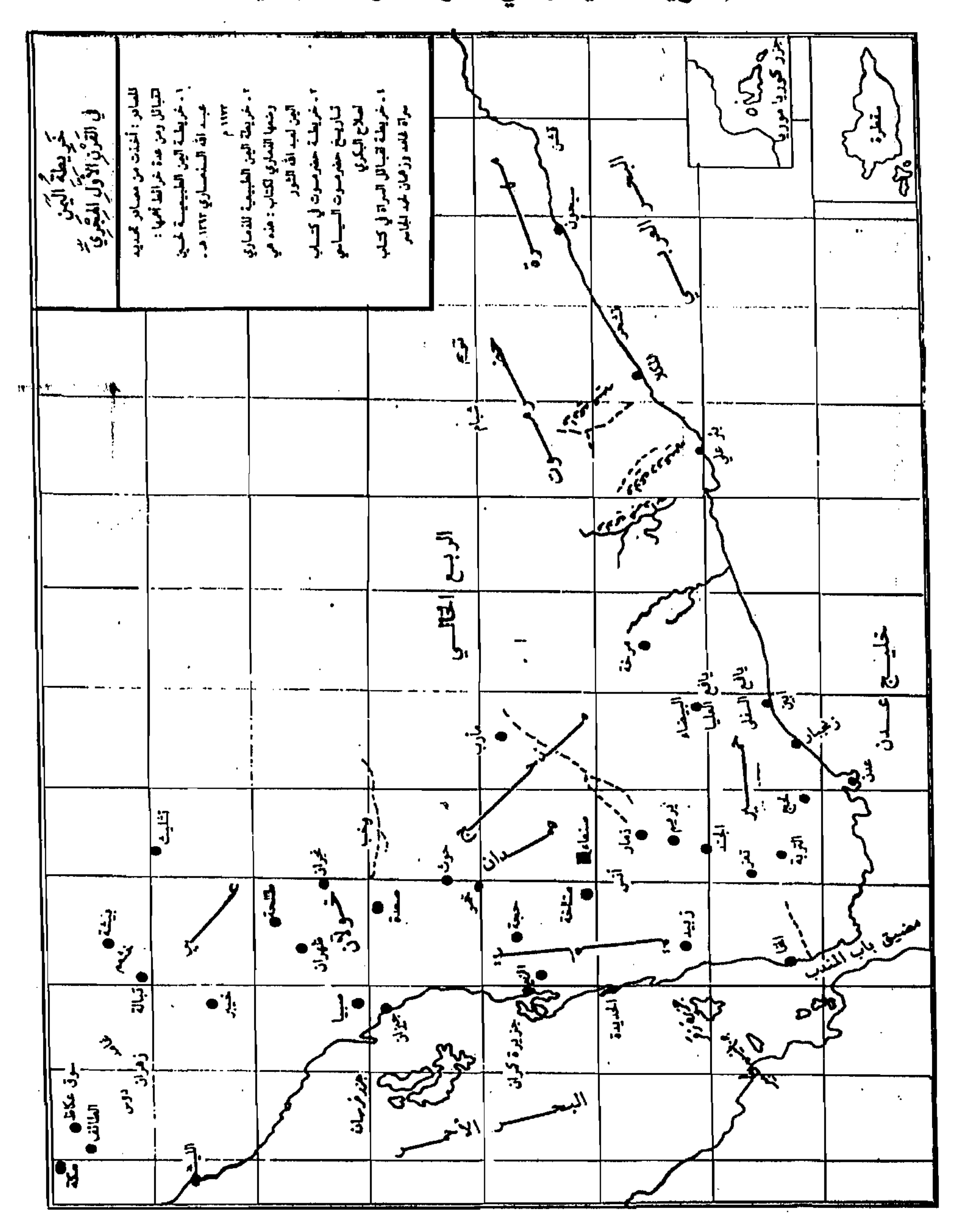
انظر «يمانيُّون في مَوْكِبِ الرَّسُولِ» لمَحَمَّدِ بْنِ حُسَين الفرح (ص٣٠٤).

(٧) انظر «معجم البلدان» لياقوت (٣/ ٢٠٤).

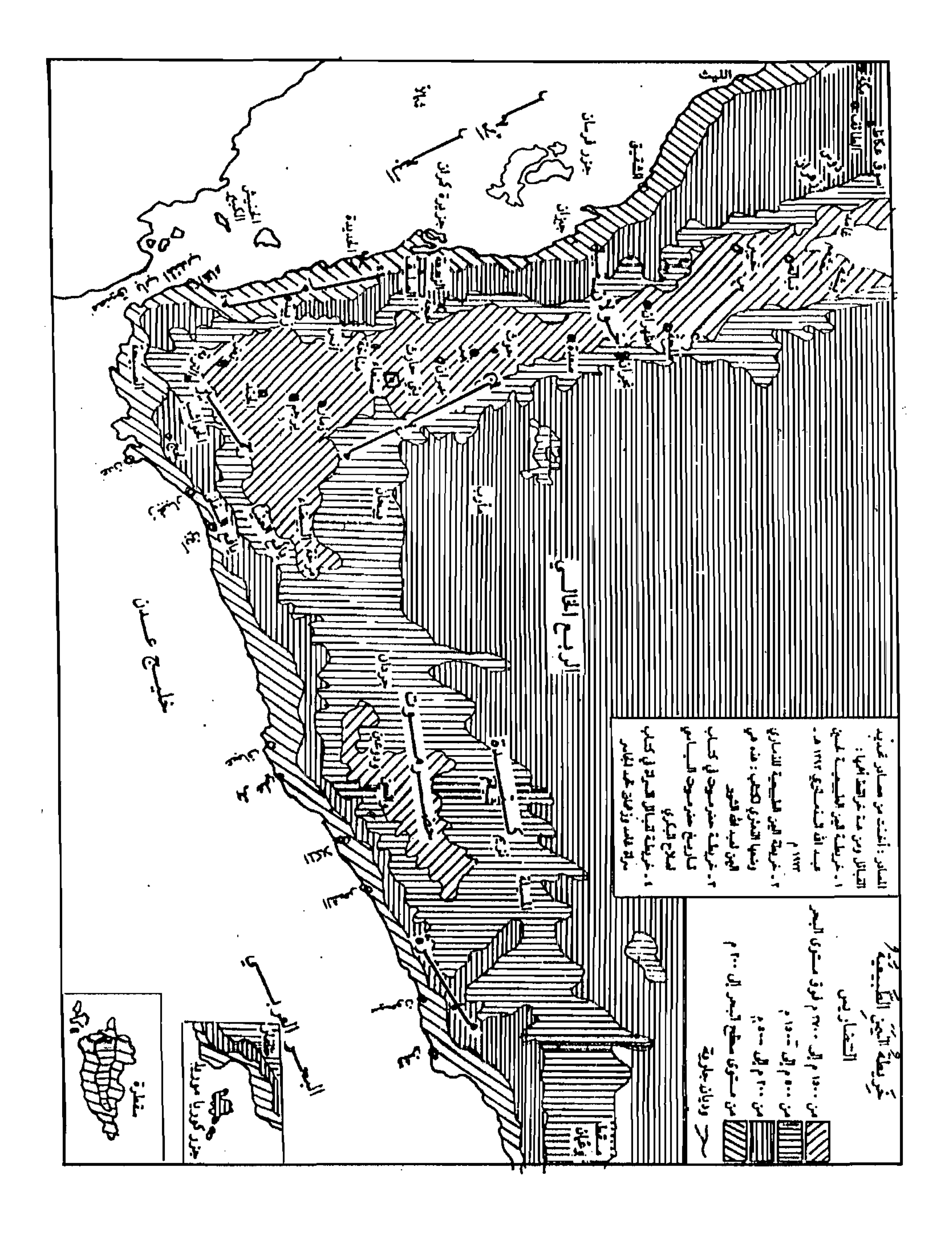
(٨) «مُعْجَم ما اسْتَعْجَمَ» للبَكْرِيِّ (١/ ٩).

(٩) «صفة جزيرة العرب» (ص١١٦، ١٢٠)، «معجم القبائل» لكحالةَ (١/ ٣٣)، «اليمن في صدر الإسلام» للشجاع (٢٩، ٥٤).

(خريطة اليمن في القرن الأول الهجري)



(خريطة اليمن الطبيعية)



فَضْلُ حِمْيَرَ[(١)]

عن ذِيْ مِخْبَرٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**كان هذا الأَمْرُ في حِمْيَرَ، فَنَزَعَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وجَعَلَهُ في قُرَيْشٍ، وسَيَعُودُ إِلَيْهِمْ**»[(٢)].

فَضْلُ هَمْدَانَ[(٣)]

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عازِبٍ ﷺ قال: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوليدِ إلى أَهْلِ اليَمَنِ يَدْعُوهُمْ إلى الإسلامِ، فَلَمْ يُجِيبوهُ، ثُمَّ إنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عليَّ بْنَ أبي طالبٍ، وأَمَرَهُ أَنْ يُقْفِلَ[(٤)] خالِدًا ومَنْ كانَ مَعَهُ، إلَّا رَجُلًا مِمَّن كانَ مَعَ خَالِدٍ أَحَبَّ أَنْ يَبْقَى مَعَ عليٍّ ﷺ،

---

(١) حْمِيَر -بكَسْرٍ فسُكونٍ ففتحٍ-: قبائلُ عديدةٌ تنتمي إلى حِمْيَرَ بْنِ سَبَإٍ -واسْمُهُ عَبْدُ شَمْسٍ- بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ، قيل: أنَّ اسْمَهُ (العِرَنْجُ)، وإنَّما سُمِّيَ حِمْيَرًا لكَثْرَةِ لباسِهِ الأَحْمرَ مِنَ الحُلَلِ والمشهورُ مِنْ قَبائِلِ حْمِيَرَ: قُضَاعةُ، الأصابحُ، المَعَافِرُ، الكَلَاعُ، الشَّراعِبُ، ذُو أَبْيَنَ، ذُو مَنَاخٍ يَحْصُبُ، ذُو رُعَيْنٍ، سَيْبَانُ، السَّكاسِكُ، ذُو أَقْيَانٍ ذُو حَوَالٍ، ذُو يَهْرٍ المُقْرِيُّونَ، حَضُورُ، ذُو سَحَرٍ، ذُو خَيْلِيلٍ، التَّراخِمُ، وغيرُها. انظر «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٥١٣).

(٢) صحيح: أخرجه الإمام أحمدُ في «مسنده» (٤/ ٩١)، والبخاريُّ في «التاريخ» (٢/ ٢٤١)، والطَّبَرانيُّ (١/ ٢٠٣)، وابن أبي عاصمٍ في «السُّنَّة» (١٠١٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٤٤٦٣)، و«الصَّحيحة» (٢٠٢٢).

(٣) هُمْدَان -بزِنَة سَلْمَانَ-: مِنْ أُمَّهاتِ القبائلِ اليمنيَّةِ، ومِنْ أشدِّها بَأْسًا، وممَّن سارَعتْ إلى الإسلامِ وثَبَتَتْ عليه، فلم يَرْتَدَّ منهم أَحَدٌ، وقَدْ فَشَا فيهمُ الإسلامُ قَبْلَ الهِجْرةِ النَّبَوِيَّةِ، وهَمْدَانُ هي قَبائلُ بَكِيل وحاشِد جميعُها، فحاشد وبكيل: هما قَبِيلا هَمْدَانَ العَظيمانِ، وهَما: ابْنَا جُشَمَ بْنِ خَيْرَانَ بْنِ نَوْفِ بْنِ هَمْدَانَ بْنِ مالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَوْسِلَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الخِيارِ بْنِ مالكِ بْنِ زَيْدِ بِنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ. وهَمْدَانُ يُضْرَبُ بها المَثَلُ في الأخلاقِ والمُرُوءةِ، والنَّجْدَةِ والغَيْرةِ الشَّديدةِ على الأَعْراضِ والدِّماءِ، ولا يزالون يتوارثون ذلك كابِرًا عَنْ كابِرٍ حتَّى يَوْمِنا هذا، وهُمُ الَّذينَ عَنَاهُمُ الشَّاعِرُ بقَوْلِهِ:

نادَيْتُ هَمْدَانَ والأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ ... ومِثْلُ هِمْدَان سَنَى فُتْحَةِ البَابِ

كالهُـنْـدُوانِيِّ لَمْ تُفْلَلْ مَضَارِبُهُ ... وَجْهٌ جَمِيلٌ وقَلْبٌ غَيْرُ وَجَّـابِ

وممَّا يُنْسَبُ للإمام عليٍّ ﷺ:

لِهمْدانَ أَخْلَاقٌ، ودِينٌ يَزِينُهُم ... وأُنْسٌ -إذا لَاقَوْا- وحُسْنُ كَلامِ

فَلَوْ كُنْتُ بوَّابًا على بابِ جَنَّةٍ ... لقُـلْـتُ لهَمْـدانَ: ادْخُلُوا بسَلَامِ

(٤) أَقْفَلَهُ: أَرْجَعَهُ.

فَلْيُعَقِّبْ[١] معه .

قال البَرَاءُ : فكنتُ مِمَّنْ عَقَّبَ مَعَهُ ، فلمَّا دَنَوْنا مِنَ القَوْمِ خَرَجوا إلينا ، فصلَّى بنا عليُّ بْنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه ، وصفَّنا صفًّا واحدًا ، ثُمَّ تقدَّم بَيْنَ أَيْدِينا ، فَقَرَأَ عليهم كتابَ رسولِ اللَّه ﷺ ، فأسلمتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا ، فَكَتَبَ عليٌّ رضي الله عنه إلى رَسُولِ اللَّه ﷺ بإسْلَامِهِمْ ، فلمَّا قَرَأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الكِتَابَ خَرَّ[٢] ساجِدًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فقال : «**السَّلامُ على هَمْدَانَ ، السَّلامُ على هَمْدَانَ**»[٣] .

فَضْلُ مَذْحِجَ[٤]

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبسَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه في حديثِهِ الطَّويلِ ، وفيه : قال رسولُ اللَّه ﷺ :

---

(١) التَّعقِيب : أنْ تَعْمَلَ عَمَلًا ، ثُمَّ تَعُودُ إليهِ ثانيةً .

(٢) خَرَّ : سَقَطَ ، وبابُهُ ضَرَبَ ، ودَخَلَ .

(٣) صحيح : أَخْرَجَهُ البيهقيُّ (٢/ ٣٦٩) بإسنادٍ صحيحٍ على شَرْطِ البُخاريِّ ، وأخرج البُخاريُّ صَدْرَ هذا الحديثِ في «صحيحِهِ» (٤٣٤٩) ، وصحَّحه المُنذريُّ في «مختصر السُّنَّةِ» (٤/ ٨٦) ، وابن الهمام في «فتح القدير» (١/ ٤٢٥) ، وابنُ القَيِّم في «الزَّاد» (١/ ٣٤٩) ، وقال : إسنادُهُ على شَرْطِ البُخاريِّ ، وأَقَرَّهُ شُعيبٌ الأرناؤوط ، وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (٢/ ٢٢٩) رقم (٤٧٤) .

(٤) مَذْحِجُ -بزِنَةِ مَسْجِدٍ- : قَبيلةٌ عظيمةٌ تُنْسَبُ إلى مَذْحِجِ بْنِ أُدَدِ بْنِ زيد بن عَمْرو بْنِ عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلانَ ابْنِ سَبَإٍ ، واسْمُ مَذْحِج مالِكٌ ، ومَذْحِجٌ لَقَبٌ له ولأخيه طَيِّئٍ -واسْمُهُ جَلْهَمَةُ- ؛ لأنَّ أُمَّهما مُدِلَّةَ لمَّا هَلَكَ بَعْلُها أَذْحَجَتْ «أَيْ : أقامَتْ» على ابْنَيْهَا مالكٍ وجَلْهَمَةَ هذَيْنِ ، فَلَمْ تتزوَّجْ بَعْدَ أُدَدٍ .
وقَدْ وَلَدَ مَذْحِجٌ أَرْبَعَةً : جَلْدًا ، وسَعْدَ العَشِيرةِ ، ومُرادًا -وكانَ اسْمُهُ يُحابِرَ فَتَمَرَّدَ ؛ فَسُمِّيَ مرادًا- وعَنْسًا -واسْمُهُ زَيْدٌ- .
* والقَبائلُ المشهورةُ المُتفرِّعةُ مِنْ مَذْحِجٍ : الحَارِثِيُّونَ -وهُمْ مُلُوكُ نَجْرانَ- ، بَنُو الحارِثِ بْنِ كَعْبٍ -ومنهم عَبْدُ المَدَانِ- ، وبنو الدَّيَّانِ ، وبنو مُسْلِيَة ، والنَّخَعُ -ومنهم إبراهيمُ والأَشْتَرُ النَّخَعِيَّانِ- ، وجَنْبٌ ، ودُهاءُ ، وصداءُ ، ومُنَبِّهٌ ، والحارِثُ ، والعلاءُ ، وهِفَّانُ ، وشمرانُ ، وسِنْحَانُ ، وكُلُّ هؤلاءِ في جَنْبٍ ، وبنو عَبِيدَةَ مِنْ مَذْحِجٍ ؛ -وعَبيدةُ هي ابْنَةُ مُهَلْهِلٍ التَّغْلبِيِّ ، تزوَّجَتْ في جَنْبٍ فَنُسِبَ وَلَدُها إليها- منهم أصحابُ الجَوْفِ ، ومنهم شَهْوَانُ .
* وأَمَّا سَعْدُ العَشِيرةِ مِنْ مَذْحِجٍ فَمِنْ أولادِهِ : حَكَمٌ ، وصَعْبٌ ، وجُعْفِيٌّ ، وحُرَبُ .
* ومِنْ بُطُونِ حَكَمٍ -الَّذي هُوَ مِنْ سَعْدِ العَشِيرةِ- : قِذْحٌ ، وهيس ، وحِدَأَةُ ، وبُنْدُقَةُ ، ونَمِر ، وعَبْسٌ في حَكَم -وهم أصحابُ الواديين بالهَلْيَةِ- ، وعَبْسٌ في خَوْلَانَ ، وعَبْسٌ في الرَّكْبِ بْنِ أَشْعَرَ -وهم تَحْتَ شَمِير- ، =

«شَرُّ قَبيلَتَيْنِ فِي العَرَبِ: نَجْرَانُ، وبَنُو تَغْلِبَ، وأَكْثَرُ القَبائِلِ فِي الجنَّةِ: مَذْحِجُ»(١).

فَضْلُ الأَشْعَرِيِّينَ(٢)

١ - مُواساتُهُمْ فيما بَيْنَهُمْ:

عَنْ أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﵁ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا

= وعَبْسُ بَغِيضٍ في مُضَرَ بْنِ عَدْنانَ، وعَبْسٌ في عَكِّ بْنِ عُدْثانَ.

* ومِنْ مَذْحِجٍ: زُبَيْدُ، وأَوْدُ -ومنهمُ الأَفْوَهُ الأَوْديُّ الشَّاعِرُ- ومَازِنُ قَبيلةٌ مِنْ زُبَيْدَ.

* ومِنْ بُطُونِ مُرادِ بْنِ مَذْحِجٍ: غُطَيْفٌ، وسَلْمَانُ، وقَرَن -ومنهم أُوَيْسٌ القَرَنيُّ-، وجَمَل، وزاهِرُ، وأعلى، وأَنْعُمُ، وبَنُو سيفٍ الَّذينَ يتحاربون هُمْ والرَّكْبُ فيما بَيْنَ تَعِزَّ وزَبِيْدَ.

* ومِنْ بُطُونِ عَنْسِ بْنِ مَذْحِجٍ: بَنُو يام -وهم غَيْرُ يام الَّذينَ هُمْ مِنْ هَمْدانَ-، وبنو صَعْبٍ، وبنو القِرِّيَّةِ، والجحافلُ مِنْ مَذْحِجٍ يُدْعَوْنَ بآلِ سِنَانٍ نِسْبةً إلى جَدٍّ لهم يُسَمَّى سِنَانًا، وفي حَضْرَمَوْتَ منهم خَلْقٌ كثيرٌ.

وبنو نَهِيكٍ مِنْ مَذْحِجٍ -وقيل: مِنْ حِمْيَرَ-، وفي مَذْحِجَ قبيلةٌ تُسَمَّى الرَّبيعةَ -بالألف واللَّامِ-، وهي غَيْرُ رَبِيعةَ الَّتي مِنْ مُضَرَ. انظر «طُرْفَةُ الأصحاب في مَعْرِفةِ الأنْسَابِ» لعَمْرِو بْنِ رَسُولٍ (ص٦٥) وقال المقحفيُّ في كتابه: «مُعْجَمُ البُلْدانِ والقبائلِ اليمنيَّةِ» (٢/ ١٤٧٢): «فمَذْحِجُ -بفَتْحٍ فَسُكُونِ الذَّالِ-: حِلْفٌ قَبَليٌّ واسعٌ، يَضُمُّ عَدَدًا مِنَ القبائلِ داخِلَ اليَمَنِ وخَارِجَهُ، أشهرُ هذا: مُرادُ، عَنْسٌ، الحَدَا، بنو الدَّيَّانِ، بَنُو عَبِيدةَ، النَّخَعُ، بنو مُسْلِيةَ، زُبَيْدُ، جُعْفِيٌّ، وغَيْرُهَا، ومَرْكِزُ قَبائِلِ مَذْحِجَ اليومَ في نَواحِي ذَمَارٍ، وفي دَثِينَةَ مِنْ أَبْيَنَ، وفي مُدِيْرِيَّةِ الزَّاهِرِ مِنْ بلادِ البَيْضَاءِ، وكانتْ تُعْرَفُ هذِهِ المِنطقةُ باسْمِ سَرْوِ مَذْحِجَ -أَيْ: مَوَاطِنِهِم-» اهـ.

(١) صحيح: أخرجه أحمدُ في «المسند» (١٩٤٥، ١٩٤٦)، واللَّفظُ له، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٢٦٠٦، ٣١٢٧).

(٢) الأَشْعَرُ: لَقَبُ نَبْتِ بْنِ أُدَدٍ أخي مَذْحِجٍ وطَيِّئٍ، لُقِّبَ به؛ لأنَّه وُلِدَ وعليه شَعَرٌ، وقبيلةُ الأَشْعَرِ قبيلةٌ مشهورةٌ معروفةٌ إلى اليوم، تسكنُ جَبَلَ راسٍ وزَبِيدَ، والسُّهُولَ المُوازية لشَرْعَبَ ومَقْبَنَةَ، وقَدْ تفرَّعَتْ عنها بُطونٌ عديدةٌ، أَشْهَرُها: الجَماهِرُ، ناجِيَةُ، الحتيكُ، بُرَعُ، مَجِيد، بَجِيْلَةُ، عامِر، ناعِم، ناجُ، حَمَّاد، شِهْلَةُ، الرَّكْبُ.

والأَشْعَرِيُّ يُجْمَعُ بحذف ياءِ النَّسَبِ وإثباتِها، يُقالُ: جاءَتْكَ الأَشْعَرونَ والأَشْعَرِيُّونَ، كما يقالُ: قومٌ يَمَانُونَ ويَمَانِيُّونَ.

انظر «طُرْفَةُ الأصحاب في معرفة الأنسابِ» للملك الأشرف عَمْرِو بْنِ رَسُولٍ (ص٤٩)، و«مُعْجَمُ البُلْدانِ والقبائلِ اليمنيَّةِ» (١/ ٦٧، ٦٨).

أَرْمَلُوا[١] فِي الْغَزْوِ -أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ- جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ؛ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ[٢]»[٣].

٢- قَوْمٌ أَرَقُّ قُلُوبًا لِلإسلامِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مالكٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ قَومٌ أَرَقُّ قُلُوبًا للإسلامِ مِنْكُمْ».

فَقَدِمَ الأَشْعَرِيُّونَ -وفيهم أبو مُوسَى- فكانوا أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ المُصافحةَ في الإسلامِ، فَجعلُوا -حِينَ دَنَوْا المَدِينةَ- يَرْتَجِزُونَ[٤] ويقولُونَ:

غَدًا نَلْقَى الأَحِبَّهْ مُحَمَّدًا وحِزْبَهْ[٥]

٣- قَوْمٌ نَدِيَّةٌ أَصْواتُهُمْ[٦] بالقُرآنِ:

عَنْ أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ[٧] إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ -

---

(١) أرملوا: نَفِدَ زادُهُمْ.

(٢) قال ابْنُ حجرٍ في «الفتح» (٥/ ٤٢٧): «قولُهُ: «فَهُمْ منِّي وأنا مِنهُمْ» أيْ: هم مُتَّصلون بي، وتُسَمى (مِنْ) هُنا الاتِّصاليَّةَ. وقِيل: المُرادُ: فَعَلُوا فِعْلي في هذه المُواساةِ. وقال النَّوَويُّ: مَعْناهُ: المُبالغةُ في اتِّحادِ طريقِهما، واتِّفاقِهما في طاعةِ اللَّه -تعالى-»اهـ.

(٣) رواه البُخاريُّ (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠).

(٤) يرتجزون: يُنْشِدُون أُرْجُوزةً، وهي قصيدةُ الرَّجَزِ مِنَ الشِّعْرِ، سُمِّيَ رَجَزًا؛ لأَنَّ أجزاءَهُ مُتقاربةٌ، وحروفه قليلةٌ.

(٥) صحيح: أخرجه أحمدُ (٣/ ١٥٥)، (٢٢٣)، وابْنُ حِبَّانَ في «صحيحه» (٢٢٦٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٥٢٧).

(٦) نَدِيَّةٌ أصواتُهُمْ: مُرْتفعةٌ بَعِيدةُ المَذْهَبِ.

(٧) حكيم: اسْمُ رَجُلٍ من الأَشْعَرِيِّين.

أَوْ قَالَ: الْعَدُوَّ- قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ[(١)]»[(٢)].

فَضْلُ المَعَافِرِ[(٣)]

عن أبي ثَوْرٍ الفَهْمِيِّ ﵁ قال: كُنَّا عِنْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومًا، فَأُتِيَ بِثَوْبٍ مِنْ

(١) قال ابْنُ حجرٍ (٨/ ٢٦٨، ٢٦٩): «أيْ: تَنْتظروهم، مِنَ الانتظار، ومعناه: أنَّه لفَرْطِ شَجَاعَتِهِ كان لا يَفِرُّ مِنَ العَدُوِّ، بَلْ يُواجِهُهُمْ، ويقولُ لهم إذا أرادوا الانصرافَ -مَثَلًا- انتظروا الفُرْسانَ حتَّى يأتُوكُم؛ لِيُثَبِّتَهُمْ على القِتالِ، هذا بالنِّسبةِ إلى الشِّقِّ الثَّاني -وهُوَ قَوْلُهُ: «أَوْ قَالَ: العَدُوَّ»-، وأمَّا على الشِّقِّ الأَوَّلِ -وهُوَ قَوْلُهُ: «إذا لَقِيَ الخَيْلَ»- فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بها: خَيْلَ المسلمينَ، ويُشِير بذلك إلى أنَّ أصحابَهُ كانوا رَجَّالَةً، فكان هو يَأْمُرُ الفُرْسانَ أنْ ينتظروهم؛ ليسيروا إلى العَدُوِّ جميعًا، وهذا أَشْبَهُ بالصَّوابِ» اهـ.

(٢) رواه البخاريُّ (٤٢٣٢)، ومسلم (٢٤٩٩).

(٣) المَعَافِر -بفَتَحَاتٍ-: قَبيلةٌ مشهورةٌ مِنْ كَهْلَانَ، هُمُ المَعَافِرُ بْنُ يَعْفُرَ بْنِ مالكِ بْنِ الحارِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ.

وهؤلاءِ يُمَثِّلُونَ جُزْءًا كبيرًا مِنَ القَبائِلِ السَّاكنةِ بالمنطقةِ المعروفةِ اليومَ باسْمِ (الحُجَرِيَّةِ) في جَنُوبِ مدينةِ تَعِزَّ، وقَدْ عُرِفَتْ هذِهِ القَبيلةُ بتفوُّقِ أبنائِهَا في مجَالِ صناعةِ الثِّيابِ المَعَافِرِيَّةِ الَّتي اشْتَهَرَتْ بها في الأَزْمنةِ القديمةِ، ولا يزالُ أبناءُ المَعَافِرِ يَمْتازونَ إلى اليومِ بِمَقْدِرَاتِهِمُ الإنتاجيَّةِ والتِّجاريَّةِ في عُمُومِ مَناطِقِ اليَمَنِ وخَارِجِها، وممَّا يُذْكَرُ عَنْ قَبائِلِ المَعَافِرِ أنَّها اشتركَتْ في الفُتُوحِ الإسلاميَّةِ، ولَعِبَ أبناؤُها دَوْرًا بارِزًا في فَتْحِ مِصْرَ، وكانوا -كما ذكرهُمُ المقريزيُّ- عشْرِيْنَ أَلْفًا، اشْتَهَرَ منهم عَدَدٌ مِنَ القادةِ، نَذْكُرُ مِنْهُمْ:

أ- عَبْدَ الرَّحْمَنِ المَعَافِرِيَّ: الَّذي عُرِفَ بلَقَبِ كاسِرِ المُدَى؛ لما كسر تحدِّيًا مِنْ مُدَى الخَليفةِ هِشامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ.

ب- عُبَيْدَ بْنَ مُخَمَّرٍ المَعَافِرِيَّ: الَّذي كان أَوَّلَ مَنْ أَقْرَأَ أَهْلَ مِصْرَ القُرْآنَ الكَريمَ.

ج- طَرِيفَ بْنَ مالكٍ المَعَافِرِيَّ: الَّذي قَادَ أَوَّلَ حَمْلَةٍ استطلاعيَّةٍ ضِدَّ الأَسْبَانِ في الأَنْدلُسِ. وقَدْ مَهَّدَتْ هذِهِ الحَمْلَةُ للفَتْحِ الإسلاميِّ في البلادِ.

د- مُحمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أبي عامِرٍ المَعَافِرِيَّ: المَشْهُورَ بالحاجبِ المَنْصُورِ، الَّذي دَوَّخَ مَمْلَكَةَ ليون (٩٨١هـ)، وأَشْعَلَ الحرائقَ في كوهبو ستيلا، الَّتي تُعْتَبَرُ ثالثَ المواضعِ الَّتي يَقْصِدُها الحُجَّاجُ بَعْدَ بيتِ المَقْدِسِ ورُوما.

واعتنى بجمعِ ما عَلِق بِهِ مِنَ الغُبارِ في غَزَوَاتِهِ ومَوَاطِنِ جِهادِهِ، حتَّى اجْتَمَعَ له مِنْهُ صُرَّةٌ ضَخْمَةٌ، عَهِدَ بتَضْبِيرِها في حَنُوطِهِ.

وهُوَ القائِلُ:

رَمَيْتُ بنَفْسي هَوْلَ كُلِّ عَظيمةٍ ... وخاطَرْتُ، والحُرُّ الكَرِيمُ يُخاطِرُ =

ثِيَابِ المَعَافِرِ، فقال أبو سُفْيانَ: لَعَنَ اللَّهُ هذا الثَّوْبَ، ولَعَنَ مَنْ يُعْمَلُ لَهُ. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا تَلْعَنْهُمْ؛ فإنَّهُمْ مِنِّي وأَنَا مِنْهُمْ**»(١).

فَضْلُ النَّخَعِ(٢)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: «شَهِدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو لهذا الحيِّ مِنَ النَّخَعِ -أَوْ قال: يُثْنِي عليهم- حتَّى تمنَّيْتُ أَنِّي رَجُلٌ مِنْهُمْ»(٣).

= وما صَاحِبِي إلَّا جَنَانٌ مُشيَّعٌ ... وأَسْمَرُ خَطِّيٌّ وأَبْيَضُ باتِرُ
فَسُدْتُ بنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيادةٍ ... وفَاخَرْتُ، حتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ أُفاخِرُ
وماشِدْتُ بُنْيانًا، ولَكِنْ زِيادةٌ ... على ما بَنَى عَبْدُ المَلِكِ وعَامِرُ
رَفَعْنَا المَعالِيَ بالعَوالي حَدِيثةً ... وأَوْرَثَنَاها في القَدِيمِ مَعَافِرُ

لَعَلَّ مُرادَهُ: أنَّهم كانوا قادةً في الإسلام، ومُلُوكًا في الجاهليَّةِ، لا يشقُّ لهم غبار، وفيهم يقولُ الشَّاعرُ الجاهليُّ أَعْشَى قَيْسٍ:

ونَادَمْتُ فَهْدًا بالمَعَافِرِ حِقْبَةً ... وفَهْدٌ سَماحٌ لم تَشِبْهُ المَوَاعِدُ
ووالِدُهُ النُّعْمَانُ مِنْ حَفَدَاتِهِ ... رُعَيْنٌ، وهُمْ قَوْمٌ مُلُوكٌ أَمَاجِدُ

انظر «مُعْجَمُ البُلْدانِ والقبائلِ اليمنيَّةِ» (٢/ ١٥٦) للمقحفيِّ.

(١) حسن: أخرجه أحمدُ في «المسند» (١٨٧١٩)، وابن الأثير في «أُسْد الغابة» (٦/ ٤٥)، والطَّبَرانيُّ في «الكبير» (٢٢/ ٧٨٧)، والهيثميُّ في «المجمع» (١٠/ ٥٦)، وحسَّنه شيخُنا الوادعيُّ رحمه الله في «رياض الجنَّة» (ص١١٦).

(٢) النَّخَع -مُحَرَّكَةً-: بَطْنٌ مِنْ مَذْحِجٍ، وهُمْ بَنُو النَّخَعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُلَةَ بْنِ جَلْدِ بْنِ مَذْحِجٍ -واسْمُهُ مالكٌ- ابْنِ أُدَدٍ، مَنازِلُهمُ الأَصْليَّةُ في جَنُوبِ شَرْقِ البَيْضَاءِ، فيما بَيْنَ مدينةِ (لَوْدَر) شَمالًا، ومدينةِ (شُقْرَة) جَنُوبًا، في وادٍ يُعْرَفُ -اليوم- باسْمِ (وادي نخعن).
وكانتْ منطقتُهُمْ في اليَمَنِ تمتدُّ -قديمًا- إلى بِيْشَةَ، ومِنْ بَيْنِ أَهَمِّ مراكِزِهِمُ -اليوم- أَمْصُرَّةُ، القرينُ، المِسهالُ، جُودَةُ، الوادي، الفَيْضُ، الغَوْرُ، الحمرةُ، آلُ أحمدَ صالح، العَبْدُ، الطوُّ. وهي قُرًى تَتْبَعُ مُدِيْرِيَّةَ (لَوْدَر) مِنْ أَعْمالِ محُافظةِ أَبْيَنَ. ومِنْ قَبائِلِهِمْ -اليَوْمَ- آلُ مُقَفَّعٍ.
وكانتْ قَبيلةُ (النَّخَعِ) قَدْ أسهمتْ بنصيبٍ في نَشْرِ الدَّعْوةِ الإسلاميَّةِ، وكان اشتراكُهُمْ فاعلًا في مَعْرَكَتَي القادِسِيَّةِ واليَرْمُوكِ، كما اشتركتْ نساؤُهُمْ في هاتَيْنِ المَعْرَكَتَيْنِ.
انظر «مُعْجَمُ البُلْدانِ والقبائلِ اليمنيَّةِ» (٢/ ١٧٢٨).

(٣) حَسَنٌ: أخرجه الإمامُ أحمدُ في «مسنده» (٣٨٢٦)، والبزَّارُ في «زوائده» (٢٨٣٠)، والهيثميُّ في «المجمع» (١٠/ ٥١)، وحسَّنه الحافظُ ابْنُ حجرٍ في «الفتح» (٨/ ١٠٠). وقال الأرناؤوطُ في تعليقِهِ على «المُسْنَدِ» (٦/ ٣٧٦): حسن.

وعَنْ عَلْقَمَةَ قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ فجاء خَبَّابٌ، فقال: يا أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ (يَعْني ابْنَ مَسْعُودٍ)، أَيَسْتَطِيعُ هؤلاءِ الشَّبَابُ أَنْ يَقْرَءُوا كَما تَقْرَأُ؟ قال: أَمَا إِنَّكَ لَوْ شِئْتَ أَمَرْتُ بَعْضَهُمْ يَقْرَأُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: أَجَلْ. قال: اقْرأْ يا عَلْقَمَةُ. فقال زَيْدُ بْنُ حُدَيْرٍ -أَخُو زِيادِ بْنِ حُدَيْرٍ-: أَتَأْمُرُ عَلْقَمَةَ أَنْ يَقْرَأَ ولَيْسَ بِأَقْرَئِنا؟! قال: أَمَا إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بما قال النَّبيُّ ﷺ في قَوْمِكَ وقَوْمِهِ[1].

قال الحافِظُ: «**كأنَّهُ يُشِيرُ إلى ثَناءِ النَّبيِّ ﷺ على النَّخَعِ؛ لأنَّ عَلْقَمَةَ نَخَعِيٌّ**»[2].

فَضْلُ لَخْمٍ وجُذَامَ[3]

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ قال: أَقْبَلَ أَنَسُ بْنُ مالكٍ إلى مُعاوِيَةَ بْنِ أَبي سُفْيانَ وهُوَ بِدِمَشْقَ، قال: فَدَخَلَ عليه، فقال لَهُ مُعاوِيةُ: حَدِّثْني بحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ نبيِّ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ فيهِ أَحَدٌ.

قال: قال أَنَسٌ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**الإيمانُ يَمَانٍ** -هكذا إلى لَخْمٍ وجُذامَ-»[4].

فَضْلُ جُهَيْنَةَ[5]

عَنْ أبي أَيُّوبَ الأَنْصاريِّ ؓ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَسْلَمُ، وغِفَارُ،**

---

(١) «صحيح البُخاريِّ» (٤٣٩١).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٢٦٦).

(٣) لَخْمٌ وجُذَامُ: قبيلتانِ مِنْ قَبائِلِ اليَمَنِ، وقَدْ تقدَّم التَّعريفُ بهما.

(٤) صحيح: أخرجه أحمدُ (١٣٣٤٦)، وأخرجه الطَّبَرانيُّ في «مسند الشاميِّينَ» (١/ ٢٩٧)، والضِّياءُ المقدسيُّ في «المختارة» (٢٣٢٤)، وعَلَّقه البُخاريُّ في «التَّاريخ» (٣/ ٨٧)، ووَصَلَهُ الدُّولابيُّ في «الكُنَى» (١/ ١٦٣)، وأبو نُعَيْم في «أخبار أَصْبَهَانَ» (١/ ١٥٦)، وابْنُ عَسَاكِرَ (١٠/ ٤٣٤)، ورِجالُهُ رِجالُ الصَّحيحِ غَيْرَ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، فَقَدْ رَوَى له أَصْحَابُ السُّنَنِ غَيْرَ التِّرْمِذِيِّ، وهُوَ ثِقَةٌ مِنْ أَهْلِ الأُرْدُنِّ، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣١٢٦).

(٥) جُهَيْنة: قبيلةٌ يَمانيَةٌ مشهورةٌ، والنِّسْبةُ إليها: (جُهَنِيٌّ) تُنْسَبُ إلى جُهَيْنَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ سُودِ بْنِ أَسْلَمَ=

وأَشْجَعُ، ومُزَيْنَةُ، وجُهَيْنَةُ، ومَنْ كَانَ مِنْ بَنِي كَعْبٍ- مَوَالِيَّ دُونَ النَّاسِ، واللَّهُ ورَسُولُهُ مَوْلَاهُمْ»(١).

وعَنْ أبي هُرَيْرَة ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وشَيْءٌ مِنْ مُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ، خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ -أَوْ قَالَ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ- مِنْ أَسَدٍ، وتَمِيمٍ، وَهَوَازِنَ، وَغَطَفَانَ»**(٢).

فَضْلُ أَهْلِ عَدَنِ أَبْيَنَ(٣)

عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ»**(٤).

= ابْنِ الحافِ بْنِ قُضَاعَةَ بْنِ مالكِ بْنِ حِمْيَرَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ بْنِ زَيْدِ مالكِ بْنِ حِمْيَر.
انظر «كتاب العرب وديوان المبتدأ والخبر» لابن خَلْدُونَ (٢/ ٢٤٤).
قال عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ الجُهَنِيُّ -وهُوَ صَحَابِيٌّ لَهُ حَدِيثَانِ-:

يا أَيُّها الدَّاعي، ادْعُنَا وأَبْشِرِ ... وكُنْ قُضَاعيًّا، ولا تُنْزِرِ
نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الهِجَانِ الأَزْهَرِ ... قُضَاعةُ بْنُ مالِكِ بْنِ حِمْيَرِ
النَّسَبُ المَعْرُوفُ غَيْرُ المُنْكَرِ ... في الحَجَرِ المَنْقُوشِ تَحْتَ المِنْبَرِ

انظر «البداية والنِّهاية» (٢/ ٥٤١). وقولُهُ: ولا تُنْزِر أَيْ: ولا تَنْتَسِبْ إلى نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنانَ. والهِجان -بزِنَةِ كتابٍ-: كريمُ الحَسَبِ نَقِيُّهُ.
والأَزْهَرُ: الأبيض المُسْتنير الحَسَنُ.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤١٧)، والحاكم (٤/ ٨٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٩٧٦)، و«الصَّحيحة» (١٤٥٥).

(٢) رواه البخاريُّ (٣٥٢٣)، ومسلم (٢٥٢١).

(٣) أَبْيَن -بفتحِ الهمزةِ والياءِ التَّحتانيَّةِ، بَيْنَهُما باءٌ مُوَحَّدَةٌ ساكنةٌ-: مِخْلافٌ مَشْهُورٌ يَقَعُ شَمالَ شَرْقِ عَدَنَ، وإليه تُنْسَبُ عَدَنُ، فيقالُ: عَدَنُ أَبْيَنَ، للتَّمييزِ بَيْنَها وبَيْنَ عَدَنِ لَاعَةَ، وتقعُ هذِه في بلادِ لَاعَةَ مِنْ أعمالِ حَجَّةَ في غَرْبِ شَمالِ صَنْعاءَ، وعَدَنُ لَاعَةَ -اليَوْمَ- خَرائبُ وأَطْلالٌ، ومَكَانُها معروفٌ. انظر «البلدان اليمانية عند ياقوت الحمويِّ» (ص١٦) للقاضي إسماعيل الأكوع.
وقال العلَّامةُ المقحفيُّ: «أَبْيَنُ: صُقْعٌ في الأَطْرافِ الشَّرْقِيَّةِ لمدينةِ عَدَنَ، سُمِّيَ نِسْبةً إلى أَبْيَنَ بْنِ حِمْيَر بْنِ سَبَإٍ» «معجم البلدان والقبائل اليمنية»(١/ ٢١).

(٤) صحيح: أخرجه أحمدُ في «مسنده» (٣٠٧٩)، وابن أبي حاتمٍ في «الجَرْح والتَّعْديل» (٨/ ٢٤٢)،=

فَضْلُ دَوْسٍ[1]

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتَ أَلَّا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ، أو أنصاريٍّ، أو ثقفيٍّ، أَوْ دَوْسيٍّ**»[2].

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَدِمَ الطُّفَيْلُ وأَصْحَابُهُ فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وأَبَتْ؛ فادْعُ اللَّه عليها.

فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ.

فقال: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَأْتِ بِهِمْ**»[3].

فَضْلُ الأَزْدِ[4]

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**نِعْمَ القَوْمُ الأَزْدُ؛ طَيِّبَةٌ**

= والطَّبرانيُّ (١١٠٢٩)، والهيثميُّ في «المجمع» (١٠/ ٥٥)، ورجالُهُ رِجالُ الصَّحيحِ غَيْرَ مُنْذِرِ بْنِ عَدِيٍّ، وهُوَ ثِقَةٌ، قاله شيخُنا الوادعيُّ رحمه الله في «الجامع الصَّحيح» (٤/ ٣٠٥).

(١) دَوْس -بالفتح-: قبيلةٌ مِنَ الأَزْدِ، تَسْكُنُ منطقَةَ السَّراةِ بِأعالي اليَمَنِ، قال الهَمْدانيُّ: «أَرْضُ السَّراةِ منها: سَراةُ بني عليٍّ، وفَهْمٍ، ثُمَّ سَراةُ بَجِيلةَ والأَزْدِ بْنِ سَلَامانَ بْنِ مُفْرِجٍ، والمعَ، وبارق، ودَوْسٍ، وغامد، والحَجْرِ إلى جُرَشَ. انظر «صفة جزيرة العرب» للحسن بن أحمد الهَمْدانيِّ (ص ٢٥٨).

ودَوْسٌ هو ابْنُ عُدْثَانَ -بضَمِّ المُهْمَلَةِ، وبَعْدَ الدَّالِ السَّاكنة مُثَلَّثَةٌ- ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَهْرانَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الحارِثِ بْنِ مالكِ بْنِ نَصرِ بْنِ الأَزْدِ بْنِ الغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مالكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ.

انظر «اليمن في تاريخ ابْنِ خَلْدُونَ» (ص١٢٣).

(٢) أخرجه أحمدُ (٢/ ٢٤٧، ٢٩٢)، والنَّسائيُّ (٦/ ٢٨٠)، والحاكم (٢/ ٣٦).

(٣) رواه البخاريُّ (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤).

(٤) الأَزْد: هي إحدى كُبْرَيَاتِ قَبائلِ كَهْلَانَ، تُنْسَبُ لأَزْدِ بْنِ الغَوْثِ بن نَبْتِ بْنِ مالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَرِيبِ بْنِ كَهْلَانَ، ومَوْطِنُ الأَزْدِ الأَصْلِيُّ: مَأْرِبُ في اليَمَنِ مِنْ أَرْضِ سَبَإٍ، وتتفرَّعُ الأَزْدُ إلى أربعةِ فُرُوعٍ عَظِيمةٍ، هي:

١- أَزْدُ شَنُوءَةَ: ومنازِلُهُم بالسَّراةِ في أَوْدِيَةِ تُرْبَةَ وبِيْشَةَ.

٢- أَزْدُ غَسَّانَ: هاجَرُوا إلى الشَّامِ، وأسَّسوا بها مُلْكًا. =

أَفْوَاهُهُمْ، بَرَّةٌ أَيْمانُهُمْ[١]، نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ»[٢].

وهذا الثَّناءُ العَظِيمُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ لهذِهِ القبيلةِ لِيُنْبِئُ عَنْ دَوْرِها في نُصْرَةِ الإسلام.

والأَنْصَارُ منها -وسَيأْتي ذِكرُ بَعْضِ فَضَائِلِهِمْ- وهُمْ مِنْ أَزْدِ شَنُوْءَةَ، وتَسْمِيَتُهُمْ في الأَصْلِ: الأَوْسُ والخَزْرَجُ، فسمَّاهُمُ اللَّهُ: الأَنْصَارَ؛ لِنُصْرَتِهِمْ رسولَ اللَّهِ ﷺ.

قال اللَّهُ تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قِيلَ لأَنَسِ بْنِ مالكٍ الأَنْصَاريِّ رضي الله عنه: «**أَرَأَيْتَ اسْمَ الأَنْصَارِ، كُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ، أَمْ سَمَّاكُمُ اللَّهُ؟**». قال: «**بَلْ سمَّانَا اللَّهُ**»[٣].

وقال حَسَّانُ بْنُ ثابتٍ الأَنْصَاريُّ شاعرُ رَسُولِ اللَّه ﷺ:

= ٣- أَزْدُ السَّرَاةِ: ومنازِلُهُمْ في جِبَالِ السَّرَاةِ.

٤- أَزْدُ عُمَانَ: وهُمُ العَتِيْكُ، ولذلك يقالُ لهم: أَزْدُ عُمَانَ؛ للتَّفْرِقَةِ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ أَزْدِ شَنُوْءَةَ الَّذينَ نَزَلُوا جِبالَ السَّرَاةِ بِشَمالِ الجزيرةِ العربيَّةِ، وهَبَطَ فريقٌ مِنْهُمْ بِتِهَامَةَ إلى (جَنْبِ شَقِيْقَتِهِمْ (عَكٍّ)، وسُمُّوا: (أَزْدَ الجَيْشِ)، بَيْنَما أخَذَ بَعْضُهُمْ في الجِبالِ المُشْرِفَةِ على تِهَامَةَ، وسُمُّوا: (أَزْدَ نَجْدٍ)، ولقبائِلِ الأَزْدِ بقيَّةٌ إلى اليوم فِي جِبالِ (رَازِح) غَرْبيَّ صَعْدَةَ، يسكنونَ جَبَلًا يَحْمِلُ اسْمَهُمْ (جَبَلَ الأَزْدِ)، ومِنْ محلَّاتِهِ: (رَأْسُ الجَبَلِ)، (أَرْحَبُ)، (غَيْلَانُ)، (دهوانُ) (بَنُو مالكٍ)، كما أنَّ منهم قبائلَ في المَهَرَةِ في الطَّرَفِ الشَّرْقِيِّ مِنَ اليَمَنِ. انظر «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٥٧).

(١) بَرَّةٌ أَيْمانُهُم: صَادِقَةٌ، وقَدْ بَرَّتْ يمينُهُ تَبِرُّ -بالفتحِ والكَسْرِ- بِرًّا -بالفتح والكَسْرِ-، وبُرُورًا.

(٢) صحيح: أخرجه أحمدُ في «المسند» (٢/ ٣٥١)، والهيثميُّ (١٠/ ٤٩)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٠٣٩).

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب مناقب الأنصار (٣٧٧٦).

سَمَّاهُمُ اللَّهُ أَنْصارًا بِنَصْرِهِمُ دِيْنَ الهُدَى، وعَوَانُ[١] الحَرْبِ تَسْتَعِرُ[٢]

وقد تقدَّم أنَّهم -أَي: الأَنْصارَ- مِنْ أَزْدِ شَنُوْءَةَ.

قال أَنَسُ بْنُ مالكٍ رضي الله عنه: «إنْ لَمْ نكُنْ مِنَ الأَزْدِ فَلَسْنَا مِنَ النَّاسِ»[٣].

وقال حَسَّانُ بْنُ ثابتٍ رضي الله عنه:

أَمَا سَأَلْتَ عنَّا؟ فإنَّا مَعْشَرٌ[٤] نُجُبٌ[٥] الأَزْدُ نِسْبَتُنا والماءُ غَسَّانُ[٦].

ومَنَاقِبُ الأنصارِ أكثرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وأشهرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، وأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَخُطَّها بَنَانٌ، أو يَعَبِّرَ عنها لِسَانٌ.

وهُمْ في خَيْرِيَّةِ بُيُوتِهِمْ -على التَّرْتِيبِ-: بَنُو النَّجَّارِ، وهُمْ أَخْوَالُ النَّبيِّ ﷺ مِنْ جِهَةِ جَدِّهِ، وقَدْ نَزَلَ النَّبيُّ ﷺ عليهم حِيْنَ قَدِمَ المدينةَ.

قال أبو قَيْسٍ صِرْمَةُ بْنُ أبي أَنَسٍ النَّجَّاريُّ -يَذْكُرُ ما خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نُزُولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمْ، ونُصْرَتِهِمْ له-:

ثَوَى[٧] في قُرَيْشٍ بِضْعَ[٨] عَشْرَةَ حِجَّةً[٩] يُذَكِّرُ[١٠]، لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا[١١]

---

(١) العَوَانُ -بِزِنَةِ سَحَابٍ- مِنَ الحُرُوبِ: الَّتي قُوْتِلَ فيها مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، كأنَّهُمْ جَعَلُوا الأُولى بِكْرًا.

(٢) تَسْتَعِرُ: تَشْتَعِلُ وتَنْتَشِرُ.

(٣) صحيح موقوف: رواه التِّرْمِذِيُّ (٤٢١٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٣٠٨٨).

(٤) المَعْشَرُ -بفتحِ الشِّينِ-: كُلُّ جَماعةٍ أَمْرُهُمْ واحِدٌ، والجَمْعُ مَعاشِرُ.

(٥) نُجُب: جَمْعُ نَجِيبٍ، وهُوَ الكريمُ الحَسِيبُ، ويُجْمَعُ -أيضًا- على أَنْجابٍ، ونُجَبَاءَ.

(٦) قال الملك المُظَفَّرُ عَمْرُو بْنُ رَسُولٍ: «قَدِ اخْتُلِفَ في غَسَّانَ: فقيل: ماءٌ بَيْنَ زَبِيد ورِمَع، وزَبِيد ورمع واديان للأشعريِّيْنَ، حَطُّوْا عليه يومَ نُزُولِهِمْ مِنَ السَّدِّ، فَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ وشَرِبَ مِنْهُ فهو غَسَّانيٌّ، ومَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ فَلَيْسَ بغَسَّانيٍّ، وقيل: هُوَ اسْمُ نَصِيبِهِمْ مِنْ عُيُونِ السَّدِّ»

انظر «طُرْفَةُ الأصحاب في معرفة الأنساب» (ص٥٧).

(٧) ثَوَى فيهم -مِنْ بابِ رَمَى- ثَوَاءً، وثُوِيًّا -بالضَّمِّ-: أَقَامَ.

(٨) البَِضْعُ -بالكَسْرِ ويُفْتَحُ-: مِنَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ.

(٩) الحِجَّةُ -بالكَسْرِ-: السَّنَة، والجَمْعُ حِجَجٌ.

(١٠) يُذَكِّرُ: يَعِظُ ويَنْصَحُ.

(١١) مُوَاتِيًا: مُطاوِعًا، وأَصْلُها الهَمْزَة (مُؤَاتيًا)، فَقُلِبَتْ واوًا تَخْفِيفًا، مِنْ آتاهُ على الأَمْرِ مُؤَاتاةً: إذا وافقَهُ وطَاوَعَهُ.

فَلَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِيْنَهُ فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بطَيْبَةَ[١] راضِيَا
فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ واحِدًا قَرِيبًا، ولا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نائِيَا[٢]
بَذَلْنا لَهُ الأَمْوَالَ مِنْ حِلٍّ[٣] مالِنَا وأَنْفُسَنا عِنْدَ الوَغَى[٤] والتَّآسِيَا[٥]
نُعادِي الَّذي عادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ جَميعًا، وإنْ كَانَ الحَبِيبَ المُصَافِيَا[٦][٧].

ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الحارثِ بْنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ.

فعن أبي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «**خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ: بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ**»[٨].

فَضْلُ الأَنْصَارِ

١- ثناءُ اللَّه ﷻ عَلَيْهِمْ:

لا تُوجدُ قبيلةٌ نالتْ مِنَ الشَّرَفِ العظيمِ، والثَّناءِ البالِغِ مِنَ اللَّه ﷻ في كتابه الكريمِ، ومِنَ الرَّسُولِ ﷺ كقبيلةِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ (الأَنْصارِ).

فَقَدِ امْتَدَحَهُمُ اللَّهُ ﷻ وأثنى عليهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

(١) طَيْبَة -بالفتح-: مِنْ أَسْمَاءِ المدينةِ النَّبويَّةِ، سمَّاها به النَّبيُّ ﷺ.
(٢) نائيًا: بَعيدًا أَجْنَبيًّا، وبابُهُ سَعَى.
(٣) الحِلُّ -بالكَسْرِ-: الحلال.
(٤) الوَغَى -بزِنَةِ الفَتَى-: الحَرْب؛ لما فيها مِنَ الصَّوتِ والجَلَبَةِ.
(٥) تَآسَوْا تآسِيًا: آسَى بَعْضُهم بَعْضًا، مِنَ المُؤاساةِ، وهي المُشاركةُ والمُساهمةُ في المَعاشِ والرِّزْقِ.
(٦) المُصَافِيَا: الصَّادق الإخاءِ المُخْلِص الوُدِّ، والأَلِفُ مَزِيدةٌ لإِطْلاقِ حَرَكَةِ الرَّوِيِّ (أَيْ: حَرْفِ القافِيَةِ الَّذي تُبْنَى عليهِ القَصِيدةُ، وإِلَيْهِ تُنْسَبُ).
(٧) «سيرة ابْنِ هِشَام» (٣/ ٢٨).
(٨) رواه البخاريُّ (٣٧٨٩)، ومسلم (٢٥١١).

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١] [الحشر: ٩].

٢- حُبُّ النَّبيِّ ﷺ الْعَيْشَ مَعَهُمْ:

عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا[٢]، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ**»[٣].

٣- حُبُّهُمْ إيمانٌ وبُغْضُهُمْ نِفاقٌ:

عَنِ البَراءِ بْنِ عازِبٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، ولا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنافِقٌ؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، ومَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّه**»[٤].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**آيةُ[٥] الإيمانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وآيَةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[٦].

٤- هُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: جاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ومَعَها صَبِيٌّ لها، فَكَلَّمَها رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**» مَرَّتَيْنِ[٧].

٥- الأَنْصَارُ خاصَّةُ النَّبيِّ ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: صَعِدَ رَسُولُ اللَّه ﷺ الْمِنْبَرَ -ولم يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذلِكَ اليَوْمِ-

---

(١) الخَصَاصة -بالفتح-: الحاجةُ والفَقْرُ وسُوء الحالِ، مَأْخُوذةٌ مِنْ خَصَاصِ البيتِ، وهِي الفُرَجُ الَّتي تكونُ فيه؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا انْفَرَجَ وَهَى وَاخْتَلَّ.

(٢) الشِّعْبُ -بالكسر-: الطَّريقُ في الجَبَلِ، والجمعُ شِعابٌ.

(٣) رواه البخاريُّ (٣٧٧٩).

(٤) رواه البخاريُّ: (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

(٥) الآية: العلامة، والجمعُ آياتٌ، وآيٌ، وآيَايُ، وآياءٌ جَمْعُ الجَمْعِ، نادِرٌ.

(٦) رواه البُخاريُّ (٣٧٨٤)، ومسلم (٧٤).

(٧) رواه البُخاريُّ (٣٧٨٦)، ومسلم (٢٥٠٩).

فَحَمِدَ اللَّه، وأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: «أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ؛ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي[١]، وَعَيْبَتِي[٢]، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ[٣]، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ[٤]»[٥].

* * *

(١) كَرِشي أَيْ: بِطانتي وخَاصَّتي الَّذينَ أَثِقُ بهم، وأعتمِدُهم في أُمُوري، ضَرَبَ المَثَلَ بالكَرِشِ؛ لأَنَّهُ مُسْتَقَرُّ غِذَاءِ الحَيَوانِ الَّذي يَكُونُ بِهِ بَقَاؤُهُ.

(٢) العَيْبَة -بالفَتْحِ-: وِعاءٌ يَحْفَظُ فيهِ الرَّجُلُ نَفِيْسَ ثِيابِهِ وفَاخِرَ مَتاعِهِ، والجَمْعُ عَيْبَاتٌ، وعِيَبٌ، وعِيَابٌ، وعَيْبَةُ الرَّجُلِ: مَوْضِعُ سِرِّهِ وأَمَانَتِهِ على المَثَلِ.

(٣) وقَدْ قَضَوا الَّذي عليهم: يُشيرُ ﷺ إلى ما وَقَعَ لهم لَيْلَةَ العَقَبَةِ مِنَ المُبايعةِ، فإنَّهم بايَعُوهُ على أنْ يُؤْوُوهُ ويَنْصُرُوهُ على أنَّ لَهُمُ الجنَّةَ، فَوَفَّوا بذلِكَ.

(٤) تجاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهم: أَغْضُوا واعْفُوا.

(٥) رواه البُخاريُّ -واللَّفْظُ له- (٣٧٩٩)، ومُسْلِمٌ (٢٥١٠).

بَعْضُ الصَّحابَةِ اليَمَانِيْنَ

زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الكَلْبِيُّ[١]

هُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الأَمِيرُ الشَّهيدُ النَّبويُّ، المُسَمَّى في سُورةِ الأَحْزَابِ، أبو أُسَامةَ الكَلْبِيُّ، مِنَ السَّابقينَ إلى الإسلامِ، وَحِبُّ[٢] رَسُولِ اللَّه ﷺ وأبو حِبِّهِ، وما أَحَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلَّا طَيِّبًا، ولم يُسَمِّ اللَّهُ -تعالى- في كتابِهِ صَحَابيًّا باسْمِهِ إلَّا زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ[٣].

---

(١) زَيْدُ بْنُ حارِثَةَ: هُوَ زَيْدُ بْنُ حارِثَةَ بْنِ شَرَاحِيلَ بْنِ عَبْدِ العُزَّى -وهُوَ كَعْبٌ- ابْنِ عامِرِ بْنِ النُّعْمان بْنِ عامِرِ بْنِ عَبْدِ وُدِّ بْنِ عَوْفِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عامِرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ رُفَيْدَةَ بْنِ كَلْبٍ الكَلْبِيُّ.

وكَلْبٌ هو: كَلْبُ بْنُ وَبَرَةَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الحافِ بْنِ قُضَاعَةَ بْنِ مالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مالكِ بْنِ حِمْيَرَ بْنِ سَبَإٍ.

انظر «اليمن في تاريخ ابن خَلْدُونَ» لمحمَّد الفرح (ص١١٥- ١٢٠).

وكانتْ كَلْبٌ مِنَ القبائلِ القُضَاعِيَّةِ الحِمْيَرِيَّةِ الكبيرةِ الَّتي انتشرتْ في العَصْرِ الحِمْيَرِيِّ للسَّيْطَرةِ على الطُّرقِ التِّجاريَّةِ وتأْمِينِهَا بَيْنَ اليَمَنِ والشَّامِ، فَسَكَنَتْ فِرْقَةٌ مِنْ كَلْبٍ في تَبُوكَ ودُوْمَةِ الجَنْدَلِ بَيْنَ الحِجازِ والشَّامِ فَحَكَمُوها، وفي ذلك قال ابنُ خَلْدُونَ: -«فكانتْ لكَلْبٍ دُوْمَةُ الجَنْدَلِ وتَبُوكُ»-.

انظر «اليمن في تاريخ ابن خَلْدُونَ» لمحمَّد الفرح (١١٥، ١٢٠).

وانتشرتْ فِرْقَةٌ مِنْ كَلْبٍ ما بَيْنَ الدَّهْنَاءِ ورَمْلَةِ عَالِجٍ إلى تَدْمُرَ بالشَّامِ، وفيهم قال شاعرٌ جاهليٌّ:

وكَلْبٌ لها ما بَيْنَ رَمْلَةِ عالِجٍ ... إلى الحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ مِنْ أَرْضِ تَدْمُرِ

انظر «صفة جزيرة العرب» (ص١٣٠).

وَمَكَثَتْ فِرْقَةٌ مِنْ كَلْبٍ بمنطقتِهِمْ في اليَمَنِ، وهي منطقةُ صَعْدَةَ وما يَلِيْهَا، ومنهم: بنو عَوْفٍ عَشِيرةُ زَيْدِ بْنِ حارِثَةَ.

انظر «الإكليل» للْهَمْدانيِّ (١٠/ ١٣٦).

(٢) الحبُّ -بالكسر-: المحبوب، والجمع أَحْبابٌ، وحِبَّانٌ، وحُبُوبٌ، وحِبَبَةٌ، وحُبٌّ -بالضَّمِّ- مِنَ الجمعِ العَزِيزِ، أوِ اسْمٌ للجمع.

(٣) «السِّيَر» (١/ ٢٢٠).

* صِفاتُهُ:

كان أَبْيَضَ شديدَ البَيَاضِ، وكان ابْنُهُ أُسامةُ أَسْودَ؛ ولذلِكَ أُعْجِبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بقَوْلِ مُجَزِّرٍ القائِفِ[1]: «إِنَّ هذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ[2]»[3].

* سَبَبُ قُدُومِ زَيْدٍ إلى مَكَّةَ:

رَغِبَتْ أُمُّ زَيْدٍ[4] في زيارةِ أَهْلِها، فَأَعَدَّ لها حارِثَةُ الرَّاحِلَةَ والمَتَاعَ، فسافرتْ مَعَ ابْنِهَا زَيْدِ بْنِ حارِثَةَ في قافلةٍ مِنْ صَعْدَةَ[5] إلى دِيارِ بَني مَعْنٍ أَخْوَالِ زَيْدٍ، وبَعْدَ فَتْرَةٍ عادتْ أُمُّ زَيْدٍ مَعَ بَعْضِ أقارِبِهَا بدُونِ زَيْدٍ، وأَخْبَرَتْ زَوْجَها حارثةَ بما حَدَثَ لزيدٍ، ففي أثناءِ مُكُوثِها مَعَ ابْنِهَا زيدٍ في دِيارِ بَني مَعْنٍ أَغَارَتْ عِصابةٌ على دِيارِ بَني مَعْنٍ، وكان زَيْدٌ مَعَ بَعْضِ الأَوْلَادِ في ضَواحِي الدِّيارِ[6]، فاخْتَطَفَتْهُمُ العِصابةُ، وأَخَذَتْهُمْ سَبْيًا[7]، فَلَمَّا عَلِمَ حارِثةُ بذلِكَ أصابه حُزْنٌ شديدٌ، وخَرَجَ في فُرْسَانٍ مِنْ كَلْبٍ

---

(١) القائف: الَّذي يَعْرِفُ شَبَهَ الرَّجُلِ بأَبيه وأَخِيهِ، سُمِّيَ: قائفًا؛ لأنَّه يَقْفُو الآثارَ (أَيْ يَتَتَبَّعُها)، فكَأَنَّهُ مَقْلُوبٌ مِنَ القافي، والجَمْعُ قَافَةٌ.

(٢) إنَّما أُعْجِبَ -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- بما قاله القائفُ مُجَزِّزٌ -وهُوَ مِنْ بني مُدْلِجٍ، وكانتِ القِيَافَةُ فيهم وفي بَني أَسَدٍ، تَعْتَرِفُ لَهُمُ العَرَبُ بذلك-؛ لأنَّ الجاهليَّة كانتْ تَقْدَحُ في نَسَبِ أُسامةَ؛ لكَوْنِهِ أَسْوَدَ شَديدَ السَّوادِ، وكان زَيْدٌ أَبْيَضَ، فلمَّا قَضَى هذا القائفُ بإلحاقِ نَسَبِه مَعَ اخْتلافِ اللَّوْنِ -وكانتِ الجاهليَّةُ تعتمدُ قَوْلَ القائفِ- فَرِحَ النَّبيُّ ﷺ؛ لكَوْنِهِ زاجرًا لهم عَنِ الطَّعْنِ في النَّسَبِ.

(٣) رواه البخاريُّ (٢٥٥٥)، ومسلم (١٤٥٩).

(٤) أُمُّ زيدٍ: هي سُعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أَفْلَتَ، مِنْ بني مَعْنٍ مِنْ طَيِّئٍ. انظر «الاستيعاب» للقُرْطُبيِّ (ص٥٤٥).
وقَدِ انتقلتْ وانتشرتْ طَيِّئُ في العَصْرِ الحِمْيَرِيِّ مِنْ منطقتِها بالجَوْفِ إلى جَبَلَيْ أَجَإٍ وسَلْمَى بنَجْدٍ والدَّهْناءِ وتُخُومِ العِراقِ، ومنهم كانتْ سُعْدى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ والدةُ زَيْدِ بْنِ حارِثَةَ
انظر «يمانيُّونَ في مَوْكِبِ الرَّسُول» لمحمَّد الفرح (ص٦٢).

(٥) صَعْدَة: مدينةٌ حِمْيَرِيَّةٌ قديمةٌ، يَرْجِعُ تاريخُ خَرابِها إلى القَرْنِ الثَّالثِ الهِجْريِّ في الحَرْبِ الَّتي دارتْ بَيْنَ أَحْفَادِ الهادي يحيى بْنِ الحُسَيْنِ وأخيه الحَسَنِ بْنِ النَّاصرِ، ودامتِ الحَرْبُ مِنْ سَنَةِ (٣٢٥هـ) إلى سَنَةِ (٣٣٠هـ)، وتَقَعُ في شَمالِ اليَمَنِ على حُدُودِ السُّعُودِيَّةِ. انظر «مُعْجَمَ البُلْدان» (١/ ٩٠٦).

(٦) ضَوَاحي الدِّيارِ: نَواحِيها البارزة الظَّاهرة الَّتي لا يَسْتُرُها مِنْكَ حائطٌ ولا غَيْرُهُ.

(٧) سَبَى العَدُوَّ وغَيْرَهُ سَبْيًا، وسِباءً -بالكَسْرِ-: أَسَرَهُ وأَخَذَهُ عَبْدًا، فهو سَبِيٌّ ومَسْبِيٌّ، وَهِيَ سَبِيٌّ -أيضًا-=

يَبْحَثُونَ عَنْ زَيْدٍ، فَقَدْ كان أَوَّلَ شَخْصٍ يُخْطَفُ أَوْ يُسْبَى مِنْ قَبيلةِ كَلْبِ العَتِيْدَةِ، ومِنْ سُلَالَةِ حِمْيَر بْنِ سَبَإٍ مُلُوكِ اليَمَنِ والعَرَبِ القُدَماءِ، فكان حارِثَةُ يَشُدُّ الرِّحالَ مِنْ منطقةٍ إلى أُخْرَى، في نَجْدٍ إلى الحِيْرَةِ[1] وغَيْرِهَا؛ عَسَى أَنْ يَجِدَ زَيْدًا فَيَفْدِيْهِ، أو يَجِدَ أَثَرًا يَدُلُّ عليه، ومَضَتِ الشُّهورُ وما زَالَ حارِثةُ يَبْحَثُ عَنْ زَيْدٍ، فَسَأَلَتْهُ قبيلةُ كَلْبٍ أَنْ يَكُفَّ عَنْ ذلِكَ، فقال حارِثةُ أَبْياتًا -ذكرها القُرْطُبِيُّ في «الاستيعاب» عَنِ المُؤَرِّخِ هِشَامِ بْنِ الكَلْبيِّ وهُوَ مِنْ نَفْسِ عَشِيرةِ ومنطقةِ زَيْدِ بْنِ حارِثَةَ[2]- هِيَ:

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ، ولَمْ أَدْرِ ما فَعَلْ ... أَحَيٌّ يُرَجَّى[3] أَمْ أَتَى دُونَهُ[4] الأَجَلْ؟
فَوَاللَّهِ، ما أَدْرِي، وإنِّي لَسائِلُ: ... أَغَالَكَ بَعْدي السَّهْلُ، أَمِ الجَبَلْ؟
تُذَكِّرُنِيْهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا ... وتَعْرِضُ[5] ذِكْرَاهُ إذا غَرْبُها[6] أَفَلْ[7]
وإنْ هَبَّتِ الأَرْوَاحُ[8] هَيَّجْنَ ذِكْرَهُ ... فيا طُوْلَ ما حُزْني عَلَيْهِ، ويا وَجَلْ[9]!
سَأُعْمِلُ نَصَّ[10] العِيْسِ[11] في الأَرْضِ جَاهِدًا ... ولا أَسْأَمُ التَّطْوَافَ، أَوْ تَسْأَمُ الإِبِلْ

= وسَبِيَّةٌ ومَسْبِيَّةٌ مِنْ نِسْوَةٍ سَبَايا، وقَوْمٌ سَبْيٌ -وَصْفٌ بالمَصْدَرِ-، والجَمْعُ سُبِيٌّ.

(١) الحِيرة -بالكسر-: بلد قُرْبَ الكُوفةِ، والنِّسْبة: حِيْرِيٌّ، وحارِيٌّ على غَيْرِ قِياسٍ.

(٢) «تَارِيخ ابنِ خلْدُونَ» (٢/ ٢٤٨).

(٣) يُرَجَّى: يُؤَمَّلُ.

(٤) دُونَهُ: عَلَيْهِ.

(٥) تَعْرِض: تظهر وتَبْرُزُ، وبابُهُ ضَرَبَ.

(٦) غَرْبُها -بالفتح-: مَغْرِبُها (أَيْ: وَقْتُ مَغِيبِها).

(٧) أَفَل: غاب وذَهَبَ، وبابُهُ ضَرَبَ، ودَخَلَ.

(٨) الأَرْوَاح: مِنْ جُموعِ الرِّيحِ، وهو نَسِيمُ الهواءِ، جاء الجَمْعُ بالواوِ؛ لأنَّ أَصْلَ الرِّيحِ الواوُ، وإنَّما جاءتْ بالياءِ لانكسارِ ما قَبْلَها.

(٩) الوَجَل -مُحرَّكةً-: الفَزَع والخوف، وقَدْ وَجِلَ -بالكَسْرِ- يَوْجَلُ، ويَاجَلُ، يِيْجَل -بفتحِ أَوَّلِهِ وكَسْرِهِ-، والأَمْرُ منه: ايْجَلْ -بقَلْبِ الواوِ ياءً لكَسْرَةِ ما قَبْلَها-.

(١٠) النَّصُّ: السَّير السَّريع والحثُّ، وقَدْ نَصَّ ناقَتَهُ -مِنْ بابِ رَدَّ-: إذا حرَّكها؛ حتَّى يستخرج أَقْصى ما عِنْدَها مِنَ السَّير.

(١١) العِيس -بالكسر-: الإبل البِيض يُخالِطُ بياضَها شُقْرَةٌ، وهُوَ أَعْيَسُ، وهِيَ عَيْسَاءُ.

حَيَاتِيَ أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي[١] وكُلُّ امْرِئٍ فَانٍ، وإِنْ غَرَّهُ الأَمَلْ
سَأُوصِي بِهِ قَيْسًا وعَمْرًا كِلَيْهِما وأُوصِي يَزِيدًا[٢]، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ جَبَلْ[٣][٤]

وفي أَحَدِ مَوَاسِمِ الحَجِّ الَّتي حَجَّ فيها ناسٌ مِنْ كَلْبٍ في الجاهليَّةِ[٥]، رَأَوْا زَيْدًا بمكَّةَ، فَعَرَفُوه وعَرَفَهُمْ، وأَخْبَرُوهُ أَنَّ أَباه ما فَتِئَ يَبْحَثُ عَنْهُ مُنْذُ اخْتِطَافِهِ مِنْ دِيارِ بَني مَعْنٍ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا بِبِلادِ طَيِّئٍ ونَجْدٍ، فَأَخْبَرَهُمْ زَيْدٌ بأَنَّ الَّذينَ خَطِفُوهُ مِنْ دِيارِ بني مَعْنٍ جاءُوا به إلى سُوقِ حُبَاشَةَ -وهو سُوقٌ بناحيةِ مكَّةَ، كان مَجْمَعًا للعَرَبِ يتسوَّقونَ بهِ كُلَّ سَنَةٍ[٦]- فباعُوهُ لحَكِيمِ بْنِ حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ، اشْتَرَاهُ مِنْهُم لعمَّتِهِ خَدِيجةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَوَهَبَتْهُ خَدِيجةُ لزَوْجِها محمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فهو مَوْلَى[٧] مُحَمَّدٍ الَّذي يُعامِلُهُ خَيْرَ مُعاملةٍ، ويَرْعاهُ ويَعْطِفُ عليه أَكْرَمَ عَطْفٍ وأَكْرَمَ رِعايةٍ.

فَأَخْبَرُوه بِلَوْعةِ[٨] أَهْلِهِ، وبالشِّعْرِ الَّذي قَالَهُ أَبُوهُ، وأَنَّ أَباه وإِخْوَتَهُ ما فَتِئُوا يَشُدُّونَ الرِّحالَ بَحْثًا عنه.

فقال زَيْدٌ: أَبْلِغُوا أَهْلي هذِهِ الأَبياتَ:

أَحِنُّ إِلى قَوْمي، وإِنْ كُنْتُ نائِيًا فإِنِّي قَعِيدُ البَيْتِ[٩] عِنْدَ المَشَاعِرِ[١٠]

---

(١) المنيَّة -بزِنَةِ السَّجِيَّة-: الموت؛ لأنَّه قُدِّرَ علينا، مُشتقَّةٌ مِنْ مُنِيَ لَهُ أَيْ: قُدِّرَ.

(٢) يزيد: هو يَزِيدُ بْنُ كَعْبٍ أَخُو زَيْدٍ لأُمِّهِ.

(٣) جَبَل: هُوَ جَبَلَةُ بْنُ حارِثَةَ.

(٤) «الاستيعاب» (ص٥٤٥).

(٥) كان اليمانيُّونَ -على تَعَدُّدِ الآلِهَة واخْتِلَافِ أَسْمائِهَا- يَعْبُدُونَ اللَّهَ -أيضًا-، ويَحُجُّون بَيْتَ اللَّهِ الحرام بَمكَّةَ، ويَقْصِدُونَ مَكَّةَ للتِّجارةِ والحجِّ في المَوَاسِمِ.

(٦) «الاستيعاب» (ص٥٤٧).

(٧) المَوْلى: المُعْتَقُ، والجمع المَوَالي.

(٨) اللَّوْعة -بالفتح-: ما يَجِدُهُ الإنسانُ لوَلَدِهِ وحَمِيْمِهِ مِنَ الحُرْقةِ وشِدَّةِ الحُبِّ.

(٩) قعيد البيت: مُقاعِدُهُ.

(١٠) المشاعر: مَعَالِم العِبادةِ ومواضعها الَّتي نَدَبَ اللَّهُ إليها، وأَمَرَ بالقيام عليها ومنه سُمِّيَ المَشْعَرُ الحرامُ -بفتح الميم وكَسْرِها-.

فَكُفُّوْا مِنَ الوَجْدِ[١] الَّذي قَدْ شَجَاكُمُ[٢] ولا تُعْمِلُوا في الأَرْضِ نَصَّ الأَبَاعِرِ[٣]
فإنِّي -بحَمْدِ اللَّهِ- في خَيْرِ أُسْرَةٍ كِرامِ مَعَدٍّ[٤] كابرًا بَعْدَ كابِرِ[٥].

وقال لهم: أَخْبِرُوا أبي أنِّي هُنا مَعَ أَكْرَمِ والِدٍ. فلمَّا عادَ أُولئكَ الكَلْبِيُّونَ إلى منطقتِهِمْ، أَخْبَروا أباه بأَمْرِ زَيْدٍ، فَشَدَّ أَبُوهُ حارثةُ بْنُ شَرَاحِيلَ وعَمُّهُ كَعْبُ بْنُ شَرَاحِيلَ رِحالَهُما إلى مَكَّةَ، ومَعَهما مالٌ جَزِيلٌ[٦] لفِدَاء زَيْدٍ، فَلَمَّا وَصَلَا مَكَّةَ سَأَلَا عَنْ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، فلمَّا دَخَلَا عَلَيْهِ قالَا لَهُ: يابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، يا ابْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وجِيْرانُهُ، تَفُكُّونَ العَانِيَ[٧]، وتُطْعِمُونَ الأَسِيرَ. . . جِئْناكَ في وَلَدِنا، فامْنُنْ عَلَيْنا[٨]، وأَحْسِنْ في فِدَائِهِ. فقال مُحمَّدٌ: مَنْ هُوَ؟ قالا: زَيْدٌ. فقال: فَهَلَّا غَيْرُ ذلك؟ فقالا: ما هُوَ؟ فقال مُحمَّدٌ: أَدْعُو زَيْدًا فَأُخْبِرُهُ، فإنِ اخْتارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ بغَيْرِ فِداءٍ، وإنِ اختارني فواللَّهِ ما أنا بالَّذي أَخْتارُ على مَنِ اختارني فِدَاءً.

فقالا: قَدْ زِدْتنَا على النَّصَفِ[٩] وأَحْسَنْتَ. ثُمَّ بَعَثَ مَنْ يَدْعُو زَيْدًا، فلمَّا أتى سَأَلَهُ: هَلْ تَعْرِفُ هؤلاءِ؟. قال زيدٌ: نَعَمْ، هذا أبي، وهذا عمِّي كَعْبٌ. فعانق زيدٌ أباه وعمَّهُ، وأَخْبَرَهُ مُحمَّدٌ بما قاله لهما، وقال محمَّدٌ لزَيْدٍ: اخْتَرْني أوِ اخْتَرْهُما. قال زيدٌ: ما أنا بالَّذي أَخْتارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أنت مِنِّي مكانَ الأَبِ والعَمِّ.

---

(١) الوَجْد: الحزن، وقد وَجَدَ به -بالكسر والفتح- يَجِدُ -بالكسر- وَجْدًا -بالفَتح-.

(٢) شَجَاكم: حَزَنَكُمْ، وبابُهُ عَدَا.

(٣) الأباعر: جَمْعُ بَعِيرٍ -بفتح الباءِ أَفْصَح مِنْ كَسْرِها-، وهو الجَمَلُ -أو النَّاقةُ- إذا دَخَلَ في السَّنةِ الخامسةِ، ويُجْمَعُ -أيضًا- على أَبْعِرَةٍ، وأباعِير، وبُعْران -بالضَّمِّ والكسر-، وقيل: أباعِرُ جَمْعُ أَبْعِرَةٍ لا بَعيرٍ.

(٤) مَعَدّ -بفتحتين-: هو مَعَدُّ بْنُ عَدْنانَ أبو العَرَبِ.

(٥) كابرًا بَعْدَ كابرٍ أَيْ: كبيرًا شريفًا بَعْدَ كبير شَرِيفٍ.

(٦) جزيل: ككثيرٍ زِنَةً ومَعْنًى.

(٧) العاني: الأسير، والجمعُ عُناةٌ.

(٨) امْنُنْ علينا: أَنْعِمْ، وبابُهُ رَدَّ.

(٩) النَّصَف -مُحرَّكةً-: العَدْل وإعطاء الحقِّ.

فقال أَبوهُ وعمُّه: وَيْحَكَ[١] -يا زَيْدُ- أتختارُ العُبُوديَّةَ على الحُرِّيَّةِ، وعلى أبيك وعَمِّكَ؟!. قال زيدٌ: نَعَمْ، قَدْ رأيتُ مِنْ هذا الرَّجُلِ شَيْئًا؛ ما أنا بالَّذي أختارُ عليه أَحَدًا أَبَدًا.

حِيْنَئِذٍ أَخَذَ مُحمَّدٌ بيدِ زَيْدٍ وخَرَجَ بهِ إلى فِناءِ الكَعْبَةِ[٢]، ونادى في النَّاسِ، فاجتمعوا إليه، فقال مُحمَّدٌ: يا مَنْ حَضَرَ، اشْهَدُوا أنَّ زَيْدًا ابْني، يَرِثُني وأَرِثُهُ، فلمَّا رَأَى ذلِكَ أَبُوهُ وعمُّهُ طابتْ نَفْساهما، وعادا إلى اليَمَنِ، وكان ذلك قَبْلَ البعثةِ بِنَحْوِ ثَماني سَنَواتٍ[٣]، فَأَصْبَحَ زَيْدٌ لا يُسَمَّى إلَّا زَيْدَ بْنَ مُحمَّدٍ، حتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥][٤].

فَأَصْبَحَ يُدْعَى زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ.

لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ زَيْدٌ -حِيْنَ اخْتارَ مُحمَّدًا على أُمِّهِ وأبيهِ- أَيَّ غُنْمٍ غَنِمَهُ، ولم يَكُنْ يَدْري أَنَّ سَيِّدَهُ الَّذي آثَرَهُ على أَهْلِهِ وعَشِيرتِهِ هُوَ سَيِّدُ الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ، ورسولُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وما خَطَرَ لَهُ ببالٍ[٥] أَنَّهُ هُوَ نَفْسَهُ سيكونُ اللَّبِنَةَ[٦] الأُولَى في البِناءِ، ولَمْ يَكُنْ

---

(١) وَيْحٌ: كلمةُ تَرَحُّم وتوجُّع، تُقال لمَنْ تَنْزِلُ به بَلِيَّةٌ لا يستحقُّها، فَيُتَرَحَّمُ بها عليه، ويُدْعى لهُ بالتَّخلُّصِ منها، إنْ أُضِيفَتْ، نحو: وَيْحَهُ، وَجَبَ نَصْبُها بإضْمارِ فِعْلٍ، والتَّقْدير: أَلْزَمَهُ اللَّهُ وَيْحًا ونَحْوُ ذلِكَ، وإنْ لم تُضَفْ جازَ النَّصْبُ علَى المَصْدَرِ، والرَّفْعُ على الابتداءِ مَعَ التنوينِ فيهما.

(٢) فِناء الكعبة -بالكسر-: ما اتَّسَعَ مِنْ أمامِها، والجمع أَفْنِيةٌ، وفُنِيٌّ.

(٣) «الإصابة» (٥٦٣)، وانظر «يمانيُّونَ في مَوْكِبِ الرَّسُولِ» لمحمَّد الفرح (ص٦٤، ٦٥).

(٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قال: ما كُنَّا نَدْعُو زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ، فنزلتْ: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [الأحزاب: ٥].
رواه البخاريُّ (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

(٥) البال: القَلْب.

(٦) اللَّبِنة: ما يُعْمَلُ مِنَ الطِّيْنِ مُرَبَّعًا ويُبْنى به، والجمع لَبِنٌ مثل كَلِمةٍ وكَلِمٍ، ويجوزُ التَّخفيفُ، فيُقالُ: لِبْنةٌ ولِبْنٌ مثل لِبْدَةٍ ولِبْدٍ.

شيءٌ مِنْ ذلِكَ يَدُورُ في خَلَدِ[١] زَيْدٍ.

وإنَّما هُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشَاءُ، واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العظيمِ، ذلك أنَّه لم يَمْضِ على حادثةِ التَّخْييرِ هذِهِ إلَّا بِضْعُ سِنينَ، حتَّى بَعَثَ اللَّهُ نبيَّهُ محمَّدًا بدينِ الهُدَى والحقِّ، فكان زيدُ بْنُ حارثةَ أوَّلَ مَنْ آمَنَ به مِنَ الرِّجالِ، وأَصْبَحَ -فيما بَعْدُ- أمينًا لسرِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقائدًا لبُعُوثِهِ[٢] وسَرَايَاهُ[٣]، وأَحَدَ خُلَفائِهِ على المدينةِ إذا غادرها النَّبيُّ ﷺ، وكان خَلِيقًا[٤] للإمارةِ[٥].

*** فَضَائِلُهُ:**

كما أَحَبَّ زَيْدٌ النَّبِيَّ ﷺ وآثَرَهُ على أُمِّهِ وأبيهِ، فَقَدْ كان مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إليه ﷺ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ في إمارَتِهِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنْ تَطْعَنُوا[٦] فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُون فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّه. إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**»[٧].

---

(١) الخلَد -مُحرَّكةً-: البال والقَلْب، والجمع أَخْلادٌ.

(٢) البُعُوث: الجيوش، واحدُها بَعْث -بالفَتْحِ ويُحَرَّكُ-.

(٣) السَّرايا: جَمْعُ سَرِيَّةٍ -بزنَةِ سَجِيَّةٍ-، وهي طائفةٌ مِنَ الجيشِ تَخْرُجُ مِنْهُ تُغِيرُ وتَرْجِعُ إليه، ويَبْلُغُ أَقْصاها أَرْبَعَمِائَةٍ، سُمِّيَتْ سَرِيَّةً؛ لأنَّها تَسْرِي لَيْلًا في خُفْيَةٍ؛ لئلَّا يَنْذَرَ بهمُ العَدُوُّ، فيحذروا أو يمتنعوا، فَهِيَ فَعيلةٌ بمعنى فاعِلَةٍ، يُقالُ: سَرَى وأَسْرَى: إذا سار ليلًا، وتُجمعُ السَّرِيَّةُ -أيضًا- على سَرِيَّاتٍ.

(٤) خَليقًا للإمارةِ: جَديرًا بها مُسْتَحِقًّا لها، وقَدْ خَلُقَ للشَّيْءِ -مِنْ بابِ كَرُمَ- كأنَّهُ ممَّنْ يُقَدَّرُ فيه ذاك، وتُرَى فيه عَلاماتُهُ.

(٥) انظر «صُوَرٌ مِنْ حياةِ الصَّحابةِ» لعبد الرحمن بن رأفت الباشا رحمه الله (ص ١٢٥، ١٢٦) بتصرُّفٍ.

(٦) طَعَنَ في إمارتِهِ: إذا عابَهُ وقَدَحَ فيه، وإنَّما طَعَنُوا في إمارةِ زَيْدٍ؛ لكَوْنِهِ مَوْلًى.

يُقالُ: طَعَنَ في الإمارةِ، والعِرْضِ، والنَّسَبِ، ونَحْوِها يَطْعَنُ -بالفتح- طَعْنًا، وطَعَنَانًا، وطَعَنَ بالرُّمْحِ، وإِصْبعِهِ، وغَيْرِها -يَطْعُنُ- بالضَّمِّ- طَعْنًا، هذا هو المشهور، وقيل: لُغَتانِ فيهما.

(٧) رواه البخاريُّ (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لزَيْدٍ: «**أَنْتَ أَخُونا ومَوْلَانا**»[1].

لَقَدْ شَاعَ أَمْرُ حُبِّ النَّبيِّ ﷺ لزَيْدٍ بَيْنَ المُسلمينَ واستفاض[2]؛ فَدَعَوْهُ بـ(زَيْدِ الحِبِّ)، وأطلقوا عليه لَقَبَ حِبِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وَلقَّبُوا ابْنَهُ أُسامةَ مِنْ بَعْدِهِ بحِبِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ وابْنِ حِبِّهِ.

وفي السَّنةِ الثامنةِ مِنَ الهِجْرَةِ شاءَ اللَّهُ -تَباركتْ حِكْمَتُهُ- أنْ يَمْتَحِنَ الحبيبَ بفِراقِ حَبيبِهِ، ذلك أنَّ الرَّسول ﷺ بَعَثَ الحارثَ بْنَ عُمَيْرٍ الأَزْدِيَّ بكتابٍ إلى مَلِكِ بُصْرَى[3]، يَدْعُوهُ فيه إلى الإسلامِ، فلمَّا بَلَغَ الحارِثُ (مُؤْتَةَ) بشَرْقِيِّ الأُرْدُنِّ، عَرَضَ أَحَدُ أُمراءِ الغَسَاسِنَةِ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو، فأَخَذَهُ وشَدَّ عليه وِثاقَهُ، ثُمَّ قدَّمَهُ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ.

فاشتدَّ ذلك على النَّبيِّ ﷺ؛ إذْ لَمْ يُقْتَلْ له رسولٌ غَيْرُهُ، فَجَهَّزَ جَيْشًا مِنْ ثَلاثةِ آلافِ مُقاتِلٍ لغَزْوِ مُؤْتَةَ، وولَّى على الجَيْشِ حَبِيبَهُ زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ، وقال: «**إنْ أُصِيبَ زيدٌ فَتَكُونُ القِيادةُ لجَعْفَرِ بْنِ أبي طالِبٍ، فإنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ كانتْ إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، فإنْ أُصِيبَ عَبْدُ اللَّهِ فَلْيَخْتَرِ المُسلمونَ لأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا منهم**».

مَضَى الجَيْشُ حتَّى وَصَلَ إلى (مَعَانَ) بشَرْقِيِّ الأُرْدُنِّ، فَهَبَّ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ على رَأْسِ مِائَةِ أَلْفِ مُقاتِلٍ للدِّفاعِ عَنِ الغَسَاسِنَةِ، وانْضَمَّ إليه مائةُ أَلْفٍ مِنْ مُشْرِكي العَرَبِ، ونَزَلَ هذا الجَيْشُ الجَرَّارُ[4] غَيْرَ بَعيدٍ مِنْ مَوَاقِعِ المُسلمينَ.

باتَ المُسلمونَ في (مَعَانَ) لَيْلَتَيْنِ يتشاورون فيما يصنعونَ، فقال قائلٌ: نَكْتُبُ إلى رَسُولِ اللَّهِ، ونُخْبِرُهُ بعَدَدِ عَدُوِّنا، وننتظرُ أَمْرَهُ. وقال آخَرُ: واللَّهِ -يَا قَوْمِ- إنَّنا لا نُقاتِلُ بعَدَدٍ ولا قُوَّةٍ ولا كَثْرَةٍ، وإنَّما نُقاتِلُ بهذا الدِّيْنِ، فانْطَلِقُوا إلى ما خَرَجْتُمْ

(١) رواه البخاريُّ (٢٦٩٩)، ومسلم (١٧٨٣).

(٢) استفاض: ذاع وانتشر.

(٣) بُصْرَى -بزِنَةِ حُبْلَى-: بَلَد بالشَّامِ، والنِّسْبةُ: بُصْريٌّ.

(٤) جيشٌ جَرَّارٌ: ثقيلُ السَّيرِ لكَثْرَتِهِ.

له، وقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ لكمُ الفَوْزَ بإحْدَى الحُسْنَيَيْنِ: إمَّا الظَّفَرِ، وإمَّا الشَّهَادَةِ. ثُمَّ التقى الجَمْعَانِ[1] عَلى أَرْضِ (مُؤْتَةَ) فقاتلَ المُسلمونَ قِتالًا أَذْهَلَ الرُّومَ، ومَلَأَ قُلُوبَهُمْ هَيْبَةً لهذِهِ الآلافِ الثَّلاثةِ الَّتي تَصَدَّتْ لجيشِهِمُ البالغِ مِائَتَيْ أَلْفٍ، وجَالَدَ[2] زَيْدُ بْنُ حارِثَةَ عَنْ رايةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ جِلَادًا لم يَعْرِفْ لَهُ تارِيخُ البُطُولاتِ مَثِيلًا، حَتَّى خَرَّقَتْ جَسَدَهُ مِئَاتُ الرِّماحِ؛ فَخَرَّ صَرِيعًا[3] يَسْبَحُ في دِمَائِهِ، فَتناوَلَ مِنهُ الرَّايةَ جَعْفَرُ بْنُ أبي طالِبٍ، وطَفِقَ[4] يَذُودُ عَنْهَا أَكْرَمَ الذَّوْدِ، حتَّى لَحِقَ بصاحِبِهِ، فتناوَلَ مِنْهُ الرَّايةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فنَاضَلَ عَنْها أَبْسَلَ النِّضالِ، حتَّى انتهى إلى ما انتهى إليه صاحِبَاهُ، فَأَمَّرَ النَّاسُ عليهم خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ -وكان حديثَ إسلامٍ[5]- فانْحازَ بالجَيْشِ، وأَنْقذَهُ مِنَ الفَناءِ المُحَتَّمِ.

وبَلَغَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَنْباءُ مُؤْتَةَ، ومَصْرَعُ قادِتِه الثَّلاثَةِ؛ فَحَزِنَ عليهم حُزْنًا لَمْ يَحْزَنْ مِثْلَهُ، ونَعَاهُمْ[6] قَبْلَ أَنْ يَصِلَ خَبَرُهُمْ[7].

فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وجَعْفَرًا، وابْنَ رَوَاحةَ للنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فقال: «**أَخَذَ الرَّايةَ زَيْدٌ فأُصِيبَ، ثُمَّ أَخذَ جعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ** -وعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ- **حتَّى أَخَذَ الرَّايةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**»[8].

(١) الجَمْعانِ: الجيشان.
(٢) جَالَدَ: باطَلَ وضَارَبَ بالسَّيف.
(٣) الصَّريع: المَصْرُوع، وهو المَطْرُوحُ أَرْضًا، والجمع صَرْعَى.
(٤) طَفِقَ يَفْعَلُ كذا: جَعَلَ يَفْعَلُ وأَخَذَ، خاصٌّ بالإثباتِ؛ لا يُقالُ: ما طَفِقَ، وبابُه فَرِحَ، ومن بابِ جَلَسَ لُغةٌ رَديئةٌ.
(٥) حديث إسلامٍ أيْ: قريب عَهْدٍ به، وهو فَعِيلٌ بمعنى فاعِلٍ.
(٦) نَعَاهُمْ: أَخبرَ بمَوْتِهِمْ، وبابُهُ سَعَى، ونَعِيًا -أيضًا بالفتح-، ونُعْيانًا -بالضَّمِّ-.
(٧) انظر «صور من حياة الصحابة» (ص١٢٧، ١٣١).
(٨) رواه البخاريُّ (٤٢٦٢).

أُسامةُ بْنُ زَيْدٍ الكَلْبيُّ

هُوَ أُسامةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ شَرَاحِيلَ، المَوْلَى الأميرُ الكَبيرُ، حِبُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ومَوْلَاه، وابْنُ مَوْلَاهُ.

* صِفاتُهُ:

كان شديدَ السَّوادِ، خَفِيفَ الرُّوحِ، شُجاعًا[١]، شديدَ الشَّبهِ بأُمِّهِ الحَبَشِيَّةِ[٢]، رَبَّاهُ النَّبيُّ ﷺ وأَحَبَّهُ كَثيرًا.

* فَضائِلُهُ:

عَنْ عائشةَ ﵂: أنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُوميَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقالوا: مَنْ يُكلِّمُ فيها رسولَ اللَّه ﷺ، فقالوا: ومَنْ يَجْتَرِئُ[٣] عَلَيْهِ إلَّا أُسامةُ حِبُّ

(١) «السِّيَر» (٢/ ٤٩٨).

(٢) أُمُّ أُسامةَ: هي بَرَكَةُ الحَبَشِيَّةُ، المُكَنَّاةُ بأُمِّ أَيْمَنَ، كانتْ مملُوكةً لآمنة بِنْتِ وَهْبٍ أُمِّ النَّبيِّ ﷺ، فَرَبَّتْهُ في حَياتِها، وحَضَنَتْهُ بَعْدَ وَفاتِها، وقِيلَ: وَرِثَها مِنْ أبيهِ، ثُمَّ أَعْتَقَها عِنْدَما تَزَوَّجَ بخَدِيجةَ، وكانتْ مِنَ المُهاجراتِ الأُوَلِ، وقَدْ تَزَوَّجها عبيدُ بْنُ الحارثِ الخَزْرَجيُّ، فَوَلَدَتْ له أَيْمَنَ، ولأَيْمَنَ هِجْرةٌ وجِهادٌ، استشهدَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، ثُمَّ تزوَّجها زَيْدُ بْنُ حارثةَ ليالِيَ بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ، فولدتْ له أسامةَ بْنَ زيدٍ حِبَّ النَّبيِّ ﷺ. انظر «السِّيَر» (٢/ ٢٢٤).

وفضائلُها كثيرةٌ؛ فهي حاضنةُ النَّبيِّ ﷺ، فَعَنْ حَرْمَلَةَ مَوْلَى أُسامةَ بْنِ زَيْدٍ: أنَّهُ بَيْنَما هُوَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﵄ إذْ دَخَلَ الحجَّاجُ بْنُ أَيْمَنَ فَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهُ ولا سُجُودَهُ، فقال: أَعِدْ، فلمَّا وَلَّى، قال لِيَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ هذا؟ قُلْتُ: الحجَّاجُ بْنُ أَيْمَنَ بْنِ أُمِّ أَيْمَنَ. فقال ابْنُ عُمَرَ: لَوْ رَأَى هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ لأَحَبَّه. فَذَكَرَ حُبَّهُ وما وَلَدَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ.

قال -أي: البُخاريُّ-: وحدَّثني بَعْضُ أصحابي عَنْ سُلَيْمانَ: وكانتْ حَاضِنَةَ النَّبيِّ ﷺ. رواه البُخاريُّ (٣٧٣٧)، وفي «صحيح مسلم» (٢٤٥٤) عَنْ أَنَسٍ قال: قال أبو بَكْرٍ ﵁ بَعْدَ وَفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ لعُمَرَ: انْطَلِقْ بنا إلى أُمِّ أَيْمَنَ، نَزُورُها كما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُها. فلمَّا انتهَيْنا إليها بَكَتْ، فقالا لها: ما يُبْكِيكِ؟! ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لرسُولِه ﷺ. فقالتْ: ما أَبْكِي ألَّا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لرسولِهِ ﷺ، ولكنْ أَبْكِي أنَّ الوَحْيَ قَدِ انقطعَ مِنَ السَّماءِ. فهيَّجَتْهُما على البُكاءِ، فَجَعلا يَبْكِيان مَعَها.

وقدْ تُوُفِّيَتْ بَعْدَهُ ﷺ بخمسة أَشْهُرٍ، وقيل: بستَّةِ أَشْهُرٍ.

(٣) يَجْتَرِئ أيْ: يتجاسرُ عليه بطريقِ الإدْلالِ.

رسولِ اللَّهِ ﷺ[١]؟

وعَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالت: أراد النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُنَحِّي[٢] مُخاطَ أُسامةَ، قالتْ عائشةُ: دَعْني حتَّى أَكُونَ أنا الَّذي أَفْعَلُ. قال: «**يا عائشةُ، أَحِبِّيهِ؛ فإنِّي أُحِبُّهُ**»[٣].

وعَنْ أُسامةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما حَدَّثَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّهُ كان يَأْخُذُهُ والحَسَنَ، فيقولُ: «**اللَّهُمَّ أَحِبَّهُما؛ فإنِّي أُحِبُّهُما**»[٤].

وعَنْ عائشةَ رضي الله عنها قَالتْ: عَثَرَ أُسامةُ بِعَتَبَةِ الباب، فَشُجَّ[٥] في وَجْهِهِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمِيطي[٦] عَنْهُ الأَذَى**».

فَتَقَذَّرْتُهُ، فَجَعَلَ يَمُصُّ عَنْهُ الدَّمَ ويَمُجُّهُ[٧]، ثُمَّ قال: «**لو كَانَ أُسامةُ جارِيةً لَحَلَّيْتُهُ[٨] وَكَسَوْتُهُ؛ حتَّى أُنَفِّقَهُ**»[٩][١٠].

*** جِهادُهُ:**

كانتْ نَفْسُ أُسامةَ تَتُوقُ للجِهادِ في سَبيلِ اللَّهِ ففي يَوْمِ أُحُدٍ جاء أُسامةُ بْنُ زَيْدٍ مَعَ نَفَرٍ[١١] مِنْ صِبْيانِ الصَّحابة، يُريدونَ الجهادَ في سبيلِ اللَّهِ، فأخذ الرسولُ ﷺ مَنْ أَخَذَ، وردَّ مِنْهُمْ مَنْ رَدَّ لصِغَرِ أَعْمارِهِمْ، فكان في جُمْلَةِ المَرْدُودِينَ أُسامةُ بْنُ

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٧٣٢)، ومسلمٌ (١٦٨٨).
(٢) يُنَحِّي: يُزيلُ.
(٣) حَسَنٌ: أَخْرَجَهُ الترمذيُّ (٤٠٨٩)، وحسنه الألبانيُّ في «المشكاة» (٦١٦٧).
(٤) رواه البخاريُّ (٣٧٣٥).
(٥) شُجَّ: جُرِحَ، وقَدْ شَجَّهُ مِنْ بابِ رَدَّ.
(٦) أميطي: أَبْعِدي.
(٧) يَمُجُّهُ: يَرْمي به مِنْ فِيْهِ، وبابُهُ رَدَّ.
(٨) لَحَلَّيْتُهُ: لَأَلْبَسْتُهُ حَلْيًا، والحَلْيُ: ما يُزَيَّنُ به مِنْ مَصُوغِ المَعْدِنِيَّاتِ أو الحِجارةِ.
(٩) أُنَفِّقه: أُرَوِّجه.
(١٠) صحيح: أخرجه ابْنُ ماجَهْ (١٩٧٦)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٠١٩).
(١١) النَّفَر -مُحرَّكةً-: ما دُونَ العَشَرَةِ من الرِّجالِ، والجمع أَنْفارٌ.

زَيْدٍ، وفي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ أَجازَهُ النَّبيُّ ﷺ وهُوَ ابْنُ خَمسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وفي يوم حُنَيْنٍ حِيْنَ انهزَمَ المُسلمونَ، ثَبَتَ أُسامةُ بْنُ زَيْدٍ مَعَ العبَّاسِ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، وأبي سُفْيانَ بْنِ الحارِثِ، ونَفَرٍ مِنَ الصَّحابةِ، وفي يَوْمِ مُؤْتَةَ جَاهَدَ أُسامةُ تَحْتَ لِواءِ أَبيهِ وسِنُّهُ دُونَ الثَّامنةَ عَشْرَةَ، فرَأَى بعَيْنَيهِ مَصْرَعَ أَبيهِ فَلَمْ يَهِنْ، وإنَّما ظَلَّ يقاتلُ تَحْتَ لِواءِ جَعْفَرٍ، ثُمَّ تَحْتَ لِواءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحةَ، ثُمَّ تَحْتَ لِواءِ خَالدِ بْنِ الوَلِيدِ، وفي السَّنةِ الحاديةَ عَشْرَةَ للْهِجْرَةِ أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بتجهيزِ جَيْشٍ لغَزْوِ الرُّومِ، وَأَمَّرَ على الجَيْشِ أُسامةَ بْنَ زَيْدٍ، وهُوَ لم يُجاوِزِ العِشْرِينَ بَعْدُ[1]؛ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ في إمارتِهِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّه، إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**»[2].

وبَيْنَما كان الجَيْشُ يتجهَّزُ مَرِضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، ولمَّا اشتدَّ عليه المَرَضُ توقَّفَ الجيشُ عَنِ المَسيرِ، انتظارًا لما تُسْفِرُ عنه حالُ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال أُسامةُ: «لمَّا ثَقُلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وقَدْ أَصْمَتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ ويَرْفَعُهُمَا، فَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي»[3].

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ فَارَقَ الرَّسُولُ ﷺ الحياةَ، وتمَّتِ البَيْعَةُ لأبي بَكْرٍ، فَأَمَرَ بإنفاذِ بَعْثِ أُسامةَ، فأَغارُوا على أُبْنَى[4] مِنْ ناحيةِ البَلْقَاءِ[5].

وقَدْ أَصَابَتْهُمْ ضَبَابةٌ شَديدةٌ فَسَتَرَتْهُمْ، حتَّى أَغَارُوا وأَصَابُوا حاجَتَهُمْ، فَقَدِمَ

---

(١) قال الذَّهبيُّ في «السِّيَر» (٢/ ٥٠٠): «قُلْتُ: لمَّا أَمَّرَهُ النَّبيُّ ﷺ على ذلك الجَيْشِ، كان عُمْرُهُ ثماني عَشْرَةَ سَنَةً».

(٢) تقدَّم تخريجُهُ.

(٣) حسن: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (٤٠٨٨)، وحَسَّنه الألباني في «المشكاة» (٦١٦٦).

(٤) أُبْنَى -بضمِّ الهمزةِ والقَصْرِ-: اسمُ مَوْضِعٍ مِنْ فِلَسْطِيْنَ بَيْنَ عَسْقَلانَ والرَّمْلَةِ، ويُقالُ لها: يُبْنَى -بالياءِ-.

(٥) «السِّير» (٢/ ٤٩٧).

على هِرَقْلَ مَوْتُ النَّبيِّ ﷺ، وإغارةُ أُسامةَ على أَرْضِهِ في آنٍ واحدٍ، فقالتِ الرُّومُ: ما بَالُ هؤلاءِ يَمُوتُ صاحِبُهُمْ وأن أغاروا على أَرْضِنا؟!![1].

وقَدِ اعْتَزَلَ أُسامةُ القتالَ بَيْنَ عليٍّ وعائشةَ في وَقْعَةِ (الجَمَلِ)، وبَيْنَ عليٍّ ومُعاويةَ في وَقْعَةِ (صِفِّينَ[2])؛ لأَنَّهُ قَدْ أَعْطى اللَّهَ عَهْدًا أَلَّا يُقاتِلَ رَجُلًا يقولُ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ. أَبَدًا.

فَعَنْ أُسامةَ رضي الله عنه قال: بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ في سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنا الحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا، فقال: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ. فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ في نَفْسي مِنْ ذلِكَ، فَذَكَرْتُهُ للنَّبيِّ ﷺ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**قال: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وقَتَلْتَهُ؟!**». قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّما قالها خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ. قال: «**أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؛ حتَّى تَعْلَمَ أَقَالَها[3] أَمْ لا؟!**». فما زالَ يُكَرِّرُها، حتَّى تمنَّيْتُ أنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ[4][5].

وَقدْ سَكَنَ أُسامةُ المِزَّةَ[6] مُدَّةً، ثُمَّ رَجَعَ إلى المدينةِ فمات بها[7]، وماتَ في آخِرِ خِلافةِ مُعاويةَ[8].

---

(١) «تهذيب ابن عَساكِرَ» (٢/ ٣٩٧)، و«السِّير» (٢/ ٥٠٣).

(٢) صِفِّين -بزنَةِ سِجِّينٍ-: مَوْضِع قُرْبَ الرَّقَّةِ بشاطئِ الفُراتِ.

(٣) أقالها: أَيْ: أقالها القَلْبُ واعتقدَها؟.

(٤) تمنَّى أن يكونَ ذلك اليومُ أَوَّلَ دخولِهِ في الإسلام؛ لأنَّ الإسلامَ يَجُبُّ ما قَبْلَهُ، وفيه إشعارٌ باستصغارِهِ ما سَبَقَ له قَبْلَ ذلك مِنْ عملٍ صالحٍ في مُقابلةِ هذِهِ الفَعْلَةِ؛ لما سَمِعَ مِنَ الإنكارِ الشَّديدِ عليها.

(٥) رواه البخاريُّ (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

(٦) المِزَّة -بالكسر-: قريةٌ في جَنُوبِ غَرْبيِّ دِمَشْقَ، تَبْعُدُ عنها ثلاثةَ أميالٍ تَقْرِيبًا، وقدِ اتَّصلتِ الآنَ بِدِمَشْقَ، وأصبحتْ منطقةً سَكَنِيَّةً.

(٧) «السِّير» (٢/ ٤٩٧).

(٨) «طبقات ابن سَعْدٍ» (٤/ ٧٢).

عَمَّارُ بْنُ ياسِرٍ العَنْسيُّ[(١)]

مِنْ كِبارِ الصَّحابةِ، ومِنَ السَّابقينَ للإسلام، كان طَوِيلًا، أَشْهَلَ، بَعِيدَ ما بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ[(٢)(٣)] آدَمَ[(٤)] اللَّوْنِ، رَجِلًا[(٥)]، لا يُغَيِّرُ شَيْبَهُ رضي الله عنه[(٦)].

قَدِمَ والدُ عمَّارٍ ياسرُ بْنُ عامرٍ العَنْسيُّ وأَخَوَاهُ الحارثُ ومالكٌ مِنَ اليَمَنِ من منطقتِهِمْ ناحيةَ عَنْسٍ بمُحافظةِ ذَمَارٍ، يَطْلُبُونَ أخًا لهم ظَلَّ شارِدًا، فَرَجَعَ أَخَوَاهُ، وأقام ياسرٌ، وحَالَفَ أبا حُذَيْفةَ بْنَ المُغِيرةِ، فزوَّجَهُ أَمَةً له اسْمُها سُمَيَّةُ، فَوَلَدَتْ لَهُ عمَّارًا، فَأَعْتَقَهُ أبو حُذَيْفَةَ ثُمَّ مَاتَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ أَسْلَمَ عمَّارٌ، وأَبُوهُ ياسِرٌ، وأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ، حتَّى قِيلَ: لم يُسْلِمْ أبوا أَحَدٍ مِنَ السَّابقين المُهاجرينَ

---

(١) هُوَ عمَّارُ بْنُ ياسِرِ بْنِ عامِرِ بْنِ مالِكِ بْنِ كِنانةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الوَذِيمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ حارثةَ بْنِ عامِرِ الأَكْبَر ابْنِ يامِ بْنِ عَنْسٍ العَنْسيُّ أبو اليَقْظانِ.
أورد ذلك الذَّهبيُّ في «السِّير» (١/ ٤٠٦).
وقال عَقِبَ ذلك: «**قرأتُ هذا النَّسَبَ على شَيْخِنا الدِّمْياطيِّ، ونقلتُهُ مِنْ خَطِّهِ، قال: قرأتُهُ على يَحْيَى بْنِ قميرةَ، عن شُهدةَ، عَنْ أبي طَلْحَةَ، عَنْ أبي عُمَرَ بْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ محمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ شَيْبَةَ، حَدَّثَنا جَدِّي، فذكره**».
قلتُ: أَلَا يَدُلُّ ما ذكره الذَّهبيُّ، وكَيْفَ أَخَذَ نُسَبَ عمَّارٍ كابِرًا عَنْ كابِرٍ، ألا يَدُلُّ ذلك على أَهَمِّيَّةِ عِلْمِ النَّسَبِ الَّذي أصبح في عَصْرِنا عِنْدَ أنصافِ المُتعلِّمين عِلْمًا لا يَنْفَعُ؟! فاللَّهُمَّ نشكو إليك هذا الغُثاءَ.
(٢) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ص٤٧٧).
(٣) كانتْ تلك الصِّفةُ مِنْ ضَخامةِ الأجسامِ مِنْ سِماتِ بَعْضِ عَشَائِرِ وقَبائِلِ مَذْحِجٍ باليَمَنِ، والَّتي يُنْسَبُ إليها عمَّارُ بْنُ ياسرٍ رضي الله عنه وذلك في الجاهِلِيَّةِ، ومنهم بنو عَبْدِ المَدَانِ بْنِ الدَّيَّانِ، وفيهم قال حسَّانُ بْنُ ثابتٍ:

وقَدْ كُنَّا نَقُولُ -إذا رَأَيْنا ... لِذي جِسْمٍ يُعَدُّ وذي بَيَانِ-
كَأَنَّكَ -أَيُّها المُعْطَى بَيَانًا ... وجِسْمًا- مِنْ بَنِي عَبْدِ المَدَانِ

وكان بنو عَبْدِ المَدَانِ بْنِ الدَّيَّانِ مِنْ أَقْيالِ مَذْحِجٍ، وفيهم قال الشَّاعِرُ:

والبَيْتُ بَيْتُ بَني الدَّيَّانِ نَعْرِفُهُ ... في آلِ مَذْحِجٍ مِثْلَ الجَوْهَرِ الغالي

انظر «فتوح البُلْدان» للبلاذيِّ (ص٩٧١).
(٤) الآدم: الأَسْمَرُ، والجمع أُدْمٌ.
(٥) الرَّجِلُ: ضِدُّ الفارسِ، يُقالُ: رَجِلَ -مِنْ باب فَرِحَ- فَهُو رَجِلٌ: إذا لم يكن له ظَهْرٌ يَرْكَبُهُ.
(٦) «البداية والنِّهاية» لابْنِ كثيرٍ (٧/ ٣١٠).

سِوَى عمَّار، وذاقَ هو وأبواه مرارة العَذَابِ؛ فَأَمَّا أَبَوَاهُ فمَاتَا تَحْتَ تَعْذِيبِ المُشرِكينَ فِي مَكَّةَ، وَأَمَّا عمَّارٌ فَقَدْ عَاشَ وأُنْعِمَ بصُحْبةِ النَّبيِّ ﷺ، وقام مَعَهُ في إرساءِ[١] قَواعِدِ الدِّيْنِ، وشَهِدَ المَشَاهِدَ[٢] كُلَّها، وشَارَكَ في فَتْحِ الفُتُوحِ، وفَضَائِلُهُ جَمَّةٌ[٣] غَزِيرةٌ.

*** فَضائِلُ عمَّارٍ:**

عَنْ عليِّ بْنِ أبي طالِبٍ رضي الله عنه قال: جاء عمَّارُ بْنُ ياسرٍ يَسْتَأْذِنُ على النَّبيِّ ﷺ فقال: «**ائْذنُوا لَهُ، مَرْحَبًا[٤] بالطَّيِّبِ المُطَيَّبِ**»[٥].

وعَنْ حُذَيْفةَ رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ فقال: «**إنِّي لا أَدْرِي ما قَدْرُ بقائي فِيكُمْ، فاقْتَدُوا باللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدي -وأَشَارَ إلى أَبي بَكْرٍ، وعُمَرَ- واهْتَدُوا بهَدْيِ عَمَّارٍ[٦]، وما حَدَّثَكُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ**»[٧].

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَبُو اليَقْظَانِ عَلَى الفِطْرَةِ[٨]، لا يَدَعُها حَتَّى يَمُوتَ، أَوْ يَمَسَّهُ الْهَرَمُ**»[٩].

وعَنْ خالدِ بْنِ الوَلِيدِ رضي الله عنه قال: كان بَيْني وبَيْنَ عَمَّارِ بْنِ ياسرٍ كلامٌ في شَيءٍ، فَشَكاني إلى رَسُول اللَّه ﷺ، فقال: «**يا خَالِدُ، لا تُؤْذِ عَمَّارًا؛ فإنَّهُ مَنْ يُبْغِضْ عمَّارًا يُبْغِضْهُ اللَّهُ، ومَنْ يُعادِ عمَّارًا يُعادِهِ اللَّهُ**». قال: فعرضت له بَعْد ذلك، فسللت ما

---

(١) إرساء: تثبيت.
(٢) شَهِدَ المَشَاهِدَ -مِنْ بابِ سَمِعَ- شُهُودًا: حَضَرَها.
(٣) جَمَّة -بالفتح-: كثيرة.
(٤) مَرْحَبًا أَيْ: صادَفْتَ رَحْبًا (أَيْ: سَعَةً).
(٥) صحيح: أخرجه التِّرْمِذيُّ (٤٠٦٧)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابْنِ ماجَهْ» (١٤٦).
(٦) واهْتَدُوا بهَدْيِ عمَّارٍ أَيْ: سِيْرُوا بسِيرَتِهِ، وتَهَيَّأُوا بهَيْئَتِهِ.
(٧) صحيح: أخرجه التِّرْمِذيُّ (٤٠٦٩)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابْنِ ماجَهْ» (٩٧).
(٨) الفِطْرة -بالكَسْرِ-: أراد دِينَ الإسْلامِ.
(٩) صحيح: أخرجه البزَّارُ (٢٦٨٦)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٢١٦).

فِي نَفْسِهِ[(١)].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَدْ مُلِئَ عمَّارٌ إِيْمانًا مِنْ قَدَمِهِ إلى مُشَاشِهِ**[(٢)]»[(٣)].

وعَنْ عَلْقَمَةَ قال: قال لي أبو الدَّرْدَاءِ: «**أَلَيْسَ فِيكُمْ -أَوْ مِنْكُمْ- الَّذي أَجَارَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نبيِّهِ ﷺ** (يعني: مِنَ الشَّيطانِ، يعني: عمَّارًا)؟ قُلْتُ: بَلَى»[(٤)].

وعَنْ عَائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**ما خُيِّرَ عمَّارٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا**»[(٥)].

وقَدْ عَاشَ عمَّارٌ رضي الله عنه طَوِيلًا، قال أبو عاصِمٍ: «**عاشَ عمَّارٌ ثَلاثًا وتِسْعِين سَنَةً، وكان لا يَرْكَبُ سَرْجًا**[(٦)]، ويَرْكَبُ راحِلَتَهُ».

فلمَّا كانتْ مَعْرَكَةُ (صِفِّينَ) بَيْنَ عليٍّ ومُعاويةَ رضي الله عنهما خَرجَ عمَّارٌ فِي جَيْشِ عليٍّ، فقاتَلَ مَعَهُ حتَّى قُتِلَ، وتَحقَّقَتْ فِيْهِ نُبُوْءَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ حيثُ قال: «**تَقْتُلُ عمَّارًا الفِئَةُ**[(٧)] **الباغِيَةُ**»[(٨)].

فعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: أَمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بِبنَاءِ المَسْجِدِ، فَجَعَلْنا نَنْقُلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وكانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَتَتَرَّبَ رَأْسُهُ، فَحَدَّثَني أَصْحابي -ولَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ-: أَنَّهُ جَعَلَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ، ويقولُ: «**وَيْحَكَ -يابْنَ سُمَيَّةَ-**

---

(١) حَسَنٌ: رواه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (٣٨٣٥)، والحاكم (٣/ ٣٩٠).

(٢) المُشاش -بالضَّمِّ-: رُءُوسُ العظام اللَّيِّنة: كالمِرْفَقَيْن، والكفَّين، والمَنْكِبَيْنِ، والرُّكْبَتَيْنِ، واحدتُهُ مُشَاشَةٌ.

(٣) صحيح: أخرجه النَّسائيُّ (٢/ ٢٩٦)، والحاكم (٣/ ٣٩٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٨٠٧).

(٤) رواه البخاريُّ (٣٧٤٢)، ومسلم (٨٢٤).

(٥) صحيح: أخرجه التِّرمذِيُّ (٤٠٦٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابْنِ ماجَهْ» (١٤٨).

(٦) السَّرْج -بالفتح-: الرَّحْل (مَرْكَبٌ للدَّابَّة)، والجمع سُرُوجٌ.

(٧) الفِئَة -بكَسْرٍ ففتحٍ-: الطَّائفة والفِرْقة، والجمع فِئَاتٌ، وفِئُونَ.

(٨) الباغية: الظَّالمة الخارجة عَنْ طاعةِ الإمامِ العادِلِ، وقد بَغَى عليه مِنْ بابِ رَمَى.

تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَةُ!»[١].

وتحقَّقَتْ فيه -أيضًا- نُبوءَتُهُ ﷺ حيثُ قال: «**إنَّ آخِرَ شَرْبةٍ يَشْرَبُها مِنَ الدُّنْيا شَرْبَةُ لَبَنٍ**».

فعن أبي البَخْتَرِيِّ قال: قال عمَّارٌ يَوْمَ (صِفِّينَ): ائْتُوني بشَرْبَةِ لَبَنٍ، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**آخِرُ شَرْبةٍ تَشْرَبُها مِنَ الدُّنيا شَرْبَةُ لَبَنٍ**». فأُتِيَ بشَرْبةِ لَبَنٍ فَشَرِبَها، ثُمَّ تقدَّمَ فَقُتِلَ[٢] وفي رِوايةٍ عَنْ إبراهيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبيهِ، عَنْ جَدِّهِ قال: سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ ياسِرٍ بـ(صِفِّينَ) في اليَوْمِ الَّذي قُتِلَ فيه، وهُوَ يُنادي: «**أُزْلِفَتِ**[٣] **الجنَّةُ، وزُوِّجَتِ الحُورُ**[٤] **العِينُ**[٥]، **اليومَ نَلْقَى حَبِيبَنا محُمَّدًا ﷺ** -وفي روايةٍ: **نَلْقى الأَحِبَّهْ، مُحمَّدًا وحِزْبَهْ**- **عَهِدَ إليَّ**[٦]: **أنَّ آخِرَ زَادِكَ مِنَ الدُّنْيا صاعٌ**[٧] **مِنْ لَبَنٍ**»[٨].

وقَدْ طَعَنَهُ أبو الغَادِيَةِ يَسارُ بْنُ سَبُعٍ فَسَقَطَ، ثُمَّ أكبَّ عليه رَجُلٌ، فاحْتَزَّ[٩] رَأْسَهُ،

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٥)، وأحمدُ (٣/ ٥) رقم (١٠٩٥٣)، واللَّفْظُ له.

(٢) صحيح: أخرجه ابْنُ أبي شَيْبَةَ في «المُصنَّف» (١٩٧٢٣)، وأحمدُ (٤/ ٣٩)، وأبو يعلى (١٦١٣)، وابن عَسَاكِرَ في «تاريخ دِمَشْقَ» (١٢/ ٦٥٨)، والحاكمُ (٣/ ١٨٩)، وقال: صحيحٌ على شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. ووافقه الذَّهبيُّ.

قال الألبانيُّ بَعْدَ تخريجِهِ للحديثِ في «الصَّحيحة» (٣٢١٧): «وهو كما قال إنْ كان حبيبٌ سَمِعَهُ مِنْ أبي البَخْتَرِيِّ؛ فإنَّهُ كان مُدَلِّسًا، و-أيضًا- أبو البَخْتَرِيِّ -واسْمُهُ سعيدُ بْنُ فَيْرُوْزَ- لم يُدْرِكْ عليًّا ﷺ لكنَّهُ تُوبِعَ، فقال أبو يعلى (١٦٢٦) -وعنه ابْنُ عَسَاكِرَ (١٢/ ٦٥٩)-: حدَّثَنا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، حَدَّثَنا خَالدٌ، عَنْ عَطاءٍ، عَنْ مَيْسرَةَ وأبي البَخْتَرِيِّ: أنَّ عمَّارًا...».

(٣) أُزْلِفَتْ: قُرِّبَتْ.

(٤) الحُور: جَمْعُ حَوْرَاءَ، وهي المَرْأَةُ بيِّنَة الحَوَرِ، والحَوَرُ -بالتَّحْريك-: أنْ يشتدَّ بياضُ بَياضِ العَيْنِ وسَوادُ سَوادِها، ولا تُسَمَّى المرأةُ حَوْرَاءَ حتَّى يكونَ مَعَ حَوَرِ عَيْنِها بياضُ الجِلْدِ ورِقَّتُهُ، فَيَحارُ فيها الطَّرْفُ.

(٥) العِين -بالكسر-: جَمْعُ عَيْنَاءَ، وهي المرأةُ الحَسَنَةُ العَيْنَيْنِ الواسِعَتُهُما.

(٦) عَهِدَ إليَّ -مِنْ بابِ فَهِمَ-: أَوْصاني.

(٧) الصَّاع: إناءٌ يُشْرَبُ فيه.

(٨) صَحيح: أخرجهُ الحاكم (٣/ ٣٨٩)، والطبرانيُّ في «الأوسط» (٢/ ١٠١) وابن عَساكرَ في «تاريخ دِمَشْقَ» (١٢/ ٦٥٩)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٢١٧).

(٩) احْتَزَّ: قَطَعَ.

وبذلك طُوِيتْ حياتُهُ عَنْ إحْدَى -وقيل: ثلاث، وقيل: أَرْبع- وتِسْعينَ سَنَةً، وقَدْ دُفِن بصِفِّينَ[١].

ابو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ[٢]

هو الصَّحابيُّ الجليلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، مِنْ كِبارِ الصَّحابة وعُلَمائِهِمْ، صُبِغَ في العِلْمِ صِبْغَةً حَسَنَةً.

* **صِفاتُهُ:**

كان رضي الله عنه قَصِيرًا، خَفِيفَ الجِسْمِ، ثَطًّا -أَيْ: قَلِيلَ شَعَرِ اللِّحْيَةِ-[٣]، ولم يَكُنْ في الصَّحابةِ أَحْسَنُ صَوْتًا منه[٤].

أَسْلَمَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بمَكَّةَ[٥]، ورَجَعَ إلى قَوْمِهِ بزَبِيدَ مِنْ أَرْضِ اليَمَنِ يَدْعُوهُمْ إلى الإسْلام، حتَّى قَدِمَ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هو وأُناسٌ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ[٦] بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ، وأَسْهَمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ وأَصْحَابِ السَّفِينةِ[٧].

---

(١) انظر «البداية والنِّهاية» (٧/ ٣١٠).

(٢) أبو موسى الأَشْعَرِيُّ: هو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ حضارِ بْنِ حَرْبِ بْنِ عامِرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عامِرِ بْنِ عذبِ بْنِ وَائِلِ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ جَمَاهِرَ بْنِ الأَشْعَرِ.
والأَشْعَرُ هو: نَبْتُ بْنُ أُدَدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ.
انظر: «**البداية والنهاية**» (٧/ ٥٩)، و«الإصابة» (٢/ ٣٥٩)، و«الإكليل» (١٠/ ٣٠٠)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٢/ ٣٧٣)، و«المُفيد من أخبار صَنْعاءَ وزَبِيدَ» لعُمارةَ اليمنيِّ (ص٤٤).

(٣) «تاريخ ابن عَساكِرَ» (٣٤٦).

(٤) «تاريخ ابن عَساكِرَ» (٣٤٩)، و«السِّير» (٢/ ٣٨٣).

(٥) «تاريخ ابن عَساكِرَ» (٤٤٦).

(٦) «ابن سَعْدٍ» (٤/ ١٠٥)، و«تاريخ ابن عَساكِرَ» (٤٤٦)، و«السِّير» (٢/ ٣٨٣).

(٧) رواه البخاريُّ (٣١٣٦)، ومسلم (٢٥٠٢).

* **فَضَائله :**

عَنْ أبي مُوسَى رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : «**لَوْ رَأَيْتَنِي وأنا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ البارِحَةَ**[1] **! ، لَقَدْ أُوتِيْتَ مِزْمارًا**[2] **مِنْ مَزامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»[3] .

وعَنْهُ رضي الله عنه قال : كُنْتُ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ وهُوَ نازِلٌ بالجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ والمدينةِ ، ومَعَهُ بِلالٌ ، فَأَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ أَعْرابيٌّ ، فقال : أَلَا تُنْجِزُ لي -يا مُحَمَّدُ- ما وَعَدْتَني ؟ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَبْشِرْ**» .

فقال له الأَعْرابيُّ : أَكْثَرْتَ عليَّ مِنْ أَبْشِرْ . فَأَقْبَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على أبي مُوْسَى وبِلالٍ كَهَيْئَةِ الغَضْبَانِ ، فقال : «**إنَّ هذا قَدْ رَدَّ البُشْرَى ، فاقْبَلا أَنْتُما**» .

فقالا : قَبِلْنا يا رسولَ اللَّهِ . ثُمَّ دَعَا رسولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ فيهِ ماءٌ ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ ووَجْهَهُ فيه ، وَمَجَّ فيه ، ثُمَّ قال : «**اشْرَبا مِنْهُ ، وأَفْرِغا على وُجُوهِكُما ونُحُورِكُما**[4] **، وأَبْشِرا**» . فأَخَذَا القَدَحَ ، فَفَعَلا ما أَمَرَهُما بِهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فنادَتْهُما أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ : أَفْضِلَا[5] لأُمِّكُما مِمَّا في إنائكُما . فأَفْضَلَا لها مِنْهُ طائِفَةً[6] .

وعنه رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ ، وأَدْخِلْهُ يومَ القيامةِ مُدْخَلًا كَرِيْمًا**»[7] .

وعَنه رضي الله عنه قال : بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبيِّ ﷺ ونَحْنُ باليَمَنِ ، فَخَرَجْنا مُهاجرينَ إلَيْهِ أَنَا وأَخَوَانِ لي أَنَا أَصْغَرُهُمْ ، أَحَدُهُما أَبُو بُرْدَةَ ، والآخَرُ أَبُو رُهْمٍ -إمَّا قال : في بِضْعٍ ،

(١) البارحة : أَقْرَبُ لَيْلَةٍ مَضَتْ .
(٢) المِزْمار -بالكسر- : المُرادُ به الصَّوتُ الحَسَنُ ، وأَصْلُهُ الآلَةُ ، أُطْلِقَ اسْمُهُ على الصَّوْتِ للمُشابهةِ .
(٣) رواه البخاريُّ (٥٠٤٨) ، ومسلم (٧٩٣) ، واللَّفْظُ له .
(٤) النُّحُور : جمع نَحْرٍ -بالفتح- ، وهو الصَّدْرُ .
(٥) أَفْضِلا : أَبْقِيا .
(٦) رواه البخاريُّ (٤٣٢٨) ، ومسلم (٢٤٩٧) .
(٧) أخرجه البخاريُّ (٤٣٢٣) ، ومسلم (٢٤٩٨) .

وإمَّا قال: في ثَلاثَةٍ وخَمْسِينَ، أَوِ: اثْنَيْنِ وخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي- فَرَكِبْنا سَفِينةً، فَأَلْقَتْنا سَفِينَتُنا إلى النَّجَاشِيِّ بالحَبَشَةِ، فَوَافَقْنا جَعْفَرَ بْنَ أبي طالِبٍ، فَأَقَمْنا مَعَهُ حتَّى قَدِمْنا جَميعًا، فَوَافَقْنا النَّبيَّ ﷺ حِيْنَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وكان أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لنا -يَعْني: لأَهْلِ السَّفِينةِ-: سَبَقْنَاكُمْ بالهِجْرَةِ! ودَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ -وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا- عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ زَائِرةً، وقَدْ كانتْ هَاجَرَتْ إلى النَّجَاشيِّ فِيْمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وأَسْماءُ عِنْدَها، فَقَالَ عُمَرُ حِيْنَ رَأَى أَسْماءَ: مَنْ هذِهِ؟. قالتْ: أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ. قال عُمَرُ: الحَبَشِيَّةُ هذِهِ، البَحْرِيَّةُ هذِهِ[١]؟. قالتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ.

قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بالهِجْرَةِ؛ فَنَحْنُ أَحَقُّ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ. فَغَضِبَتْ وقالتْ: كَلَّا -واللَّهِ- كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جائِعَكُمْ، ويَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وكُنَّا في دَارِ -أَوْ في أَرْضِ- البُعَدَاءِ[٢] البُغَضَاءِ[٣] بالحَبَشَةِ، وذلك في اللَّهِ وفي رَسُولِهِ ﷺ، وَايْمُ اللَّهِ، لا أَطْعَمُ طَعَامًا، ولا أَشْرَبُ شَرابًا، حَتَّى أَذْكُرَ ما قُلْتَ لرسولِ اللَّه ﷺ، ونَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى ونُخَافُ، وسَأَذْكُرُ ذلِكَ للنَّبيِّ ﷺ وأَسْأَلُهُ، واللَّهِ، لا أَكْذِبُ، ولا أَزِيغُ[٤]، ولا أَزِيدُ عَلَيْهِ.

قال: فلمَّا جاء النَّبيُّ ﷺ قالتْ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، إنَّ عُمَرَ قال كذا وكذا. قال: «**فَما قُلْتِ لَهُ؟**».

قالتْ: قُلْتُ لَهُ كَذَا وكَذَا.

قال: «**لَيْسَ بأَحَقَّ بي مِنْكُمْ، ولَهُ ولأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ واحِدَةٌ، ولَكُمْ أَنْتُمْ -أَهْلَ**

(١) نسبها إلى الحَبَشَةِ لسُكْناها فيهم، وإلى البَحْرِ لرُكوبها إيَّاهُ.

(٢) البُعَداء أيْ: في النَّسَبِ.

(٣) البُغَضَاء أيْ: في الدِّيْنِ؛ لأنَّ أَهْلَ الحَبَشَةِ كُفَّارٌ إلَّا النَّجَاشيَّ، وكان يَسْتَخْفِي بإسلامِهِ عَنْ قَوْمِهِ، ويُوري لهم.

(٤) لا أَزِيغ أَيْ: لا أَظْلِمُ ولا أَمِيلُ عَنِ الحقِّ، وقدْ زاغَ مِنْ بابِ باعَ، وزَيَغانًا -أيضًا-، وزُيُوغًا، وزَيْغُوغَةً.

السَّفِينةِ- هِجْرَتَانِ» .

قالتْ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ أبا مُوسَى وأَصْحَابَ السَّفينةِ يَأْتُونَني أَرْسَالًا ؛ يَسْأَلُوني عَنْ هذا الحديثِ، ما مِنَ الدُّنيا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ -ولا أَعْظَمُ في أَنْفُسِهِمْ- ممَّا قال لَهمُ النَّبيُّ ﷺ.

قال أَبُو بُرْدَةَ: قالتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوْسَى وإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هذا الحديثَ مِنِّي[1].

تِلْكَ بَعْضُ فَضائِلِ أبي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ، وقَدِ اسْتَعْمَلَهُ النَّبيُّ ﷺ ومُعاذًا عَلَى اليَمَنِ، وقال لهما: «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا[2] وَلَا تُنَفِّرَا[3]، وَتَطَاوَعَا[4] وَلَا تَخْتَلِفَا**»[5].

وبَعَثَهُ عُمَرُ أَمِيرًا على البَصْرَةِ؛ فَأَقْرَأَهُمْ وفَقَّهَهُمْ[6]، وكان بَرًّا[7] رَحِيمًا بمَنْ وُلِّي عَلَيْهِمْ، فكان إذا صلَّى الصُّبْحَ اسْتَقْبَلَ الصُّفُوفَ رَجُلًا رَجُلًا يُقْرِئُهُمْ[8]، وكان عُمَرُ إذا جَلَسَ عِنْدَهُ أَبُو مُوسَى، رُبَّما قال لَهُ: ذَكِّرْنَا يا أبا مُوْسَى، فَيَقْرَأُ[9].

وعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أبا مُوْسَى قَرَأَ لَيْلَةً، فَقُمْنَ أَزْوَاجُ النَّبيِّ ﷺ يَسْتَمِعْنَ لِقِراءَتِه، فلمَّا أَصْبَحَ أُخْبِرَ بذلك، فقال: «**لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُ[10] تَحْبِيرًا، وَلَشَوَّقْتُ**

(١) رواه البُخاريُّ (٤٢٣٠)، (٤٢٣١) -واللَّفْظُ له-، ومسلم (٢٥٠٣).
(٢) بَشِّرا أَيْ: بفَضْلِ اللَّهِ وعظيمِ ثوابِهِ وسَعَةِ رحمتِهِ.
(٣) لا تُنَفِّرا أَيْ: بذكر التَّخْويفِ وأنواعِ الوعيد مَحْضَةً مِنْ غَيْرِ ضمِّها إلى التَّبشير.
(٤) تطاوعَا: توافقَا في الحُكْمِ؛ لأنَّ اختلافكُما يُؤَدِّي إلى اختلافِ أتْباعِكُما، فيُفْضي إلى العَداوةِ ثُمَّ المُحاربةِ.
(٥) رواه البخاريُّ (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣) عن أبي موسى.
(٦) «تاريخ ابن عَساكِرَ» (٤٣٦)، و«السِّير» (٢/ ٣٨٣).
(٧) بَرًّا -بالفتح-: مُشْفِقًا، وجَمْعُ البَرِّ أَبْرارٌ.
(٨) «تاريخ ابن عَساكِرَ» (٥٠٤)، و«السِّير» (٢/ ٣٩٠).
(٩) رجاله ثقات: ابن سعدٍ (٤/ ١٠٩)، وابن عساكرَ (٥٢٦).
(١٠) لَحَبَّرْتُ: لَحَسَّنْتُ صَوْتي.

تَشْوِيقًا»[١].

وعَنْ أَنَسٍ قال: قَدِمْنَا البَصْرَةَ مَعَ أبي مُوْسَى، فَقَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، فلمَّا أَصْبَحَ، قِيلَ لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الأَمِيرَ! ، لَوْ رَأَيْتَ إلى نسْوَتِكَ وقَرابَتِكَ وهُمْ يَسْتَمِعُونَ لقراءَتِكَ! . فقال: «لَوْ عَلِمْتُ لَزَيَّنْتُ كِتابَ اللَّهِ بصَوْتي، ولَحَبَّرْتُهُ تَحْبِيرًا»[٢].

وقال أبو عُثْمانَ النَّهْدِيُّ: «ما سَمِعْتُ مِزْمارًا، ولا طُنْبُورًا، ولا صَنْجًا[٣] أَحْسَنَ مِنْ صَوْتِ أبي موسى الأَشْعَرِيِّ؛ إنْ كان لَيُصَلِّي بنا فَنَوَدُّ أَنَّهُ قَرَأَ البَقَرَةَ مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ»[٤].

* عِلْمُهُ.

قال الأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ: «لَمْ أَرَ بالكُوفَةِ أَعْلَمَ مِنْ عَلِيٍّ، وأبي مُوْسَى»[٥].

وقال مَسْرُوقٌ: «كان القَضَاءُ في الصَّحابةِ إلى سِتَّةٍ: عُمَرَ، وعليٍّ، وابْنِ مَسْعُودٍ، وأُبَيٍّ، وزَيْدٍ، وأبي مُوْسَى»[٦].

وقال الشَّعْبِيُّ: «يُؤْخَذُ العِلْمُ عَنْ سِتَّةٍ: عُمَرُ، وعَبْدُ اللَّهِ، وزَيْدٌ يُشْبِهُ عِلْمُهُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا، وكان عليٌّ، وأُبَيٌّ، وأَبُو مُوْسَى يُشْبِهُ عِلْمُهُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا، يَقْتَبِسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ»[٧].

وكان رضي الله عنه صَوَّامًا قوَّامًا رَبّانيًّا[٨] زاهِدًا عابدًا، مِمَّنْ جَمَعَ العِلْمَ والعَمَلَ،

(١) صحيح: أخرجه ابْنُ سَعْدٍ (٤/ ١٠٨)، وابْنُ عَسَاكِرَ (٤٨١).

(٢) صحيح: أخرجه ابْنُ سَعْدٍ (٣/ ٣٤٤)، وابْنُ عَسَاكِرَ (٥٢٦).

(٣) الطُّنْبُور -بزِنَةِ عُصْفُورٍ- والصَّنْجُ -بالفتح-: مِنْ آلاتِ المَلاهي، والصَّنْجُ آلةٌ تُتَّخَذُ مِنْ نُحاسٍ، يُضْرَبُ أَحَدهما بالآخر، والجمع صُنُوجٌ.

(٤) «تاريخ ابن عَسَاكِرَ» (٥٢٧)، و«السِّير» (٢/ ٣٩٢).

(٥) صحيح: «تاريخ ابن عَسَاكِرَ» (٤٩٩).

(٦) صحيح: أخرجه أبو زُرْعَةَ في «تاريخ دِمَشْقَ» (١٩٢٢)، وهو في «تاريخ ابْنِ عَسَاكِرَ» (٥٠٠)، و«السِّير» (٢/ ٣٨٨).

(٧) «تاريخ ابن عَسَاكِرَ» (٥٠١)، و«السِّير» (٢/ ٣٨٩).

(٨) الرَّبَّانيُّ: العالم الرَّاسخ في العِلْمِ والدِّينِ العامِلُ المُعَلِّمُ.

والجِهادَ وسلامةَ الصَّدْرِ، لم تُغَيِّرْهُ الإمارةُ، ولا اغْتَرَّ بالدُّنْيا[١]، وقَدِ اجتهدَ قَبْلَ مَوْتِهِ في العِبادةِ اجْتِهَادًا شَدِيدًا، فقيلَ لَهُ: لَوْ أَمْسَكْتَ وَرَفَقْتَ بنفْسِكَ! . قال: «**إنَّ الخَيْلَ إذا أُرْسِلَتْ فقارَبَتْ رأسَ مَجْراها، أَخْرَجَتْ جَمِيعَ ما عِنْدَها، والَّذي بَقِيَ مِنْ أَجَلي أَقلُّ مِنْ ذلك**»[٢].

ثُمَّ تُوُفِّي ﷺ في ذِي الحجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وأَرْبَعِيْنَ على الصَّحِيحِ[٣].

أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ[٤]

هُوَ الإمامُ الفَقِيهُ المُجْتَهِدُ الحافِظُ صاحبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَبُو هُرَيْرَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرٍ الدَّوْسِيُّ الأَزْدِيُّ اليَمَانيُّ.

*** صِفَاتُهُ:**

قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ لبينةَ: «**رأيتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَجُلًا آدَمَ**[٥]، بعيدَ ما بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، أَفْرَقَ[٦] الثَّنِيَّتَيْنِ[٧]، ذا ضفيرتين»[٨].

وقال ابْنُ سِيرِيْنَ: «**كان أَبُو هُرَيْرَةَ أَبْيَضَ، لَيِّنًا، لِحْيَتُهُ حَمْرَاءُ**»[٩].

---

(١) «السِّير» (٢/ ٣٩٦).

(٢) «تاريخ ابن عَسَاكِرَ» (٥٣٤)، و«السِّير» (٢/ ٣٩٣).

(٣) «السِّير» (٢/ ٣٩٨).

(٤) أبو هُرَيْرَةَ: هو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ ذِي الشَّرَى بْنِ طَرِيفِ بْنِ عِتَابِ بْنِ أبي صَعْبِ بْنِ مُنَبِّهِ ابْنِ سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ فَهْمِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دَوْسٍ الدَّوْسِيُّ، انظر «الاستيعاب» (٤/ ٢٠٢)، و«الإصابة» (٤/ ٢٠٣).

(٥) آدم: أَسْمَر، والجمع أُدْمٌ.

(٦) الأَفرق: المُتباعد ما بَيْنَ الثَّنِيَّتَيْنِ العُلْيَتَيْنِ، والجَمْعُ فُرْقٌ.

(٧) الثَّنِيَّة -بزِنَةِ السَّجِيَّةِ-: واحِدةُ الثَّنَايا مِنَ السِّنِّ، وثنايا الإنسانِ: الأَسْنانُ الأَرْبَعُ الَّتِي في مُقَدَّم فَمِهِ: ثِنْتَانِ مِنْ فَوْقُ، وثِنْتانِ مِنْ أَسْفَلَ.

(٨) «السِّير» (٢/ ٥٨٦).

(٩) المرجع السابق (٢/ ٥٨٦).

أسلم متأخرًا، رَوَى عنه قَيْسُ بْنُ أبي حازِمٍ: «**جِئْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ بَعْدَما فَرَغُوا مِنَ القِتالِ**»[١]. وصَاحَبَ النَّبيَّ ﷺ أَرْبَعَ سِنِينَ[٢]، وهذا أَصَحُّ؛ فَمِنْ فَتْحِ خَيْبَرَ إلى الوَفَاةِ أَرْبَعةُ أَعْوامٍ ولَيَالٍ[٣].

وأبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه هُوَ حافِظُ أَحاديثِ النَّبيِّ ﷺ، قال أَميرُ المُؤْمنينَ في الحديثِ -البُخاريُّ-: «**رَوَى عَنْهُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ رَجُلٍ -أو أَكْثَرَ- مِنْ أَهْلِ العِلْمِ: مِنَ الصَّحَابَةِ، والتَّابعينَ، وغَيْرِهِمْ**»[٤].

ومَجْمُوعُ حَدِيثِهِ خَمْسَةُ آلافٍ وثَلاثُمِائَةٍ وأَرْبَعَةٌ وسَبْعُونَ حَدِيثًا، وهو أكْثَرُ الصَّحابةِ السَّبْعَةِ الَّذين رَوَوْا مِنَ الحديثِ النَّبويِّ فَوْقَ الأَلْفِ[٥].

وكَنَّاهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ بأبي هِرٍّ، فَعَنْ مُحمَّدِ بْنِ قَيْسٍ قال: كان أبو هُرَيْرَةَ يقولُ: لا تُكَنُّوني أبا هُرَيْرَةَ؛ كَنَّاني رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أبا هِرٍّ، فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ[٦] أَبَا هِرٍّ**».

---

(١) ابن عَسَاكِرَ (١٩/ ١١٠/ ١)، وذكره ابْنُ كثيرٍ في «البداية» (٨/ ١٠٣) عن عَبْدِ الرَّزَّاقِ.

(٢) أخرجه ابْنُ سَعْدٍ في «الطَّبقات» (٤/ ٣٢٧).

(٣) «السِّير» (٢/ ٥٩٠).

(٤) «البداية والنهاية» (٨/ ١٠٣).

(٥) «الأنباء» للقاضي محمد زبارة (ص١٨)، والصَّحابةُ السَّبْعةُ الَّذين رَوَوْا فَوْقَ الأَلْفِ حَدِيثٍ هُمْ: أبو هُرَيْرَةَ (٥٣٧٤) حديثًا، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ (٢٦٣٠) حَدِيثًا، أَنَسُ بْنُ مالكٍ (٢٢٨٦) حديثًا، عائشةُ أُمُّ المُؤْمِنينَ (٢٢١٠) حديثًا، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ (١٦٦٠) حديثًا، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (١٥٤٠) حديثًا، أبو سَعِيدٍ الخُدْريُّ (١١٧٠) حديثًا، وقَدْ حَصَرَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ بقَوْلِهِ:

سَبْعٌ مِنَ الصَّحْبِ فَوْقَ الأَلْفِ قَدْ نَقَلُوا ... مِنَ الحديثِ عَنِ المُخْتَارِ خَيْرِ بَشَرْ:
أَبُو هُرَيْرَةَ، سَعْدٌ، جَابِرٌ، أَنَسٌ ... صِدِّيقةٌ، وابْنُ عَبَّاسٍ، كَذَا ابْنُ عُمَرْ

ونَظَمَ آخَرُ فَقَالَ:

والمُكْثِرُونَ في رِوايَةِ الأَثَرْ: ... أَبُو هُرَيْرَةَ، يَلِيهِ ابْنُ عُمَرْ
وأَنَسٌ والحَبْرُ، والخُدْري ... وجَابِرٌ، وزَوْجَةُ النَّبِي

(٦) ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ -مِنْ بابِ فَرِحَ، وثُكْلًا أَيْضًا بالضَّمِّ -أَيْ: فَقَدَتْكَ، وهو مِنَ الألفاظِ الجاريةِ على أَلْسِنَةِ العَرَبِ، ولا يُرادُ بها الدُّعاءُ حقيقةً، كقولهم: تَرِبَتْ يَدَاكَ، وقاتَلَكَ اللَّهُ، ولا أَبَا لَكَ... لا يُرادُ وُقُوعُ شيءٍ من ذلك؛ قَدْ أَخْرَجُوهُ عَنِ الدُّعاءِ إلى التَّأكيد زيادة، وإلى التَّعجُّبِ والاسْتِحْسَانِ تارةً، وإلى الإنكارِ والتَّعظيمِ أُخرَى.

الذَّكَرُ خَيْرٌ مِنَ الأُنْثَى[١].

وأمَّا عَنْ سَبَبِ تَكْنِيَتِهِ بأبي هُرَيْرَةَ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ قال: قُلْتُ لأبي هُرَيْرَةَ: لِمَ كُنِّيْتَ أبا هُرَيْرَةَ؟. قال: أَمَا تَفْرَقُ مِنِّي[٢]؟. قُلْتُ: بَلَى، واللَّهِ، إنِّي لأَهَابُكَ. قال: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمَ أَهْلِي، فَكانَتْ لي هُرَيْرَةٌ صَغِيرةٌ، فَكُنْتُ أَضَعُها باللَّيلِ في شَجَرَةٍ، فإذا كان النَّهارُ ذَهَبْتُ بها مَعِي، فَلَعِبْتُ بها، فَكَنَّوْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ[٣].

* **فَضَائِلُهُ:**

* **وفضائلُ أبي هُرَيْرَةَ جَمَّةٌ غَزِيرةٌ، فمنها:**

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إلى الإسْلامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُها يومًا، فأَسْمَعَتْني في رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ما أَكْرَهُ، فأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وأنا أَبْكِي، قُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّي كُنْتُ أدْعُو أُمِّي إلى الإسلامِ فَتَأْبَى عليَّ، فَدَعَوْتُها اليَوْمَ فأَسْمَعَتْني فِيكَ ما أَكْرَهُ، فادْعُ اللَّه أَنْ يَهْدي أُمَّ أبي هُرَيْرَةَ. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أبي هُرَيْرَةَ**». قال: فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بدَعْوَةِ نبيِّ اللَّه ﷺ، فلمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إلى البابِ، فإذا هُوَ مُجَافٌ[٤]، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ[٥]، فقالتْ: مَكَانَكَ يا أَبَا هُرَيْرَةَ. وسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الماءِ[٦]، قال: فاغْتَسَلَتْ ولَبِسَتْ دِرْعَهَا[٧]، وعَجِلَتْ عَنْ خِمارِها[٨]، فَفَتَحَتِ البابَ، ثُمَّ قالتْ: يا أبا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ

---

(١) ابْنُ عَسَاكِرَ (١٩/ ١٠٩/ ١) نَقْلًا عَنِ «السِّير» (٢/ ٥٨٧).

(٢) فَرِقَ مِنْهُ: جَزِعَ وخافَ، وبابُهُ فَرِحَ.

(٣) حسن: أخرجه التِّرْمِذيُّ (٤١١١)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذيِّ» (٣٠١٦).

(٤) مُجافٌ: مُغْلَقٌ.

(٥) خَشْف قَدَمَيَّ -بالفَتْحِ- أيْ: صوتهما في الأَرْضِ.

(٦) خَضْخَضَة الماء: صوت تَحْرِيكِهِ.

(٧) دِرْعُ المَرْأَةِ -بالكسر-: قَمِيصها، وهو ثَوْبٌ تَقْطَعُ المَرْأَةُ وَسَطَهُ، وتجعلُ لَهُ يَدَيْنِ، وتَخِيطُ فَرْجَيْهِ، والجمع أَدْرَاعٌ.

(٨) الخِمار -بالكسر-: ما تُغَطِّي به المَرْأَةُ رَأْسَها، والجمع أَخْمِرَةٌ، وخُمُرٌ -بالضَّمِّ، وبضمَّتين-.

أَنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ.

قال: فَرَجَعْتُ إلى رَسُولِ اللَّه ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وأنا أَبْكي مِنَ الفَرَحِ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَبْشِرْ، قَدِ استجابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وهَدَى أُمَّ أبي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عليه، وقال خَيْرًا، قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يُحَبِّبَني أنا وأُمِّي إلى عِبادِهِ المُؤْمنينَ، ويُحَبِّبَهُمْ إلينا. قال: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذا** -يَعْني: أبا هُرَيْرَةَ- **وأُمَّهُ إلى عِبادِكَ المُؤْمنينَ، وحَبِّبْ إليهِمُ المُؤْمنينَ**». فما خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بي ولا يَراني إلَّا أَحَبَّني[1].

وعَنِ الزُّهْريِّ، عَنِ الأَعْرَجِ قال: سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يقولُ: إنَّكمْ تَزْعُمونَ: أنَّ أبا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحديثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، واللَّهُ المَوْعِدُ[2]، كُنْتُ رَجُلًا مِسْكينًا، أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ على مِلْءِ بَطْني[3]، وكان المُهاجرونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ[4] بالأَسْوَاقِ، وكانتِ الأَنْصارُ يَشْغَلُهُمُ القِيامُ على أَمْوَالِهِمْ -وفي رِوايةٍ: عَمَلُ أَرَضِيهِمْ-، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ منِّي**».

فَبَسَطْتُ ثَوْبي حتَّى قَضَى حَدِيثَهُ، ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ؛ فما نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ[5].

---

(١) رواه مسلم: (٢٤٩١).

(٢) واللَّهُ المَوْعِدُ -بفتحِ المِيمِ، وفيه حَذْفٌ تقديرُهُ: وعِنْدَ اللَّهِ المَوْعِدُ؛ لأنَّ المَوْعِدَ إمَّا مَصْدَرٌ، وإمَّا ظَرْفٌ زمانيٌّ أو مكانيٌّ، وكُلُّ ذلك لا يُخْبَرُ به عَنِ اللَّهِ تعالى؛ أَيْ: أنَّ اللَّه -تعالى- يُحَاسِبُني إنْ تَعَمَّدْتُ كَذِبًا، ويُحاسِبُ مَنْ ظَنَّ بِي ظَنَّ السَّوْءِ.

(٣) قال ابْنُ حَجَرٍ في «الفتح» (١٥/ ٢٦٢- ٢٦٣): (قَوْلُهُ: «على مِلْءِ بَطْني» -بكَسْرِ المِيمِ، وبهَمْزَةٍ آخِرَهُ- أَيْ: بِسَبَبِ شِبَعِي، أَيْ: إنَّ السَّبَبَ الأَصْليَّ الَّذي اقْتَضَى لَهُ كَثْرَةَ الحديثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُلازمتُهُ له؛ لِيَجِدَ ما يَأْكُلُهُ؛ لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ له شَيْءٌ يَتَّجِرُ فيه، ولا أَرْضٌ يَزْرَعُها، ولا يَعْمَلُ فيها، فكان لا يَنْقَطِعُ عنه خَشْيَةَ أنْ يَفُوتَهُ القُوتُ، فَيَحْصُلُ في هذِهِ المُلازمةِ -مِنْ سَماعِ الأَقْوالِ وروايةِ الأَفْعالِ- ما لا يَحْصُلُ لغَيْرِهِ مِمَّنْ لَم يُلازِمْهُ مُلازَمَتَهُ، وأَعانَهُ على اسْتِمرارِ حِفْظِهِ لذلك ما أشار إليه مِنَ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ لَهُ بذلك). اهـ.

(٤) الصَّفْق -بالفتحِ-: ضَرْبُ اليَدِ على اليَدِ، وهُوَ هُنا كِنايةٌ عَنِ التَّبايُعِ؛ لأنَّ عادَتَهُمْ جَرَتْ عِنْدَ لُزُومِ البَيْعِ بضَرْبِ كَفِّ أَحَدِهِما بكَفِّ الآخَرِ إشارةً إلى أنَّ الأَمْلاكَ تُضافُ إلى الأيدي، فكأنَّ يَدَ كُلٍّ واحدٍ اسْتَقَرَّتْ على ما صار لَهُ.

(٥) رواه البُخاريُّ (٢٣٥٠)، ومسلم (٢٤٩١).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﵁ قال: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْمَعُ مِنْكَ أَشْيَاءَ، فلا أَحْفَظُها. قال: «ابْسُطْ رِدَاءَكَ». فَبَسَطْتُ، فَحَدَّثَ حديثًا كثيرًا، فما نَسِيتُ شيئًا حدَّثَني به[1].

وعَنْهُ قال: «أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فَبَسَطْتُ ثَوْبي عِنْدَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ فَجَمَعَهُ على قَلْبي؛ فما نَسِيتُ بَعْدَهُ [حَدِيثًا]»[2].

وعَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ قال: سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ يقولُ: «ما مِنْ أَصْحابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إلَّا ما كان مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو؛ فإنَّهُ كان يَكْتُبُ ولا أَكْتُبُ[3]»[4].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ أنَّه قال لأبي هُرَيْرَةَ: «يا أبا هُرَيْرَةَ، أَنْتَ كُنْتَ أَلْزَمَنا

(١) صحيحٌ: أخرجه التِّرْمِذيُّ (٤١٠٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذيِّ» (٣٠١١).
(٢) حَسَنٌ: أخرجه التِّرْمِذيُّ (٤١٠٦)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذيِّ» (٣٠١٢).
(٣) قال ابْنُ حَجَرٍ في «الفتح» (١/ ٢٨٠): «يُسْتَفادُ مِنْ ذلك أنَّ أبا هُرَيْرَةَ كان جازمًا بأنَّه ليس في الصَّحابةِ أكثرُ حديثًا عَنِ النَّبيِّ ﷺ مِنْهُ إلَّا عَبْدُ اللَّهِ، مَعَ أنَّ المَوْجُودَ المَرْويَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَقَلُّ مِنَ المَوْجُودِ المَرْويِّ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ بأَضْعَافٍ مُضاعفةٍ، فإنْ قُلْنا: الاستثناءُ مُنْقَطِعٌ فلا إشْكَالَ؛ إذِ التَّقديرُ: لكن الَّذي كان مِنْ عَبْدِ اللَّهِ -وهُوَ الكِتابةُ- لم يَكُنْ منِّي، سواء لَزِمَ منه كَوْنُهُ أَكْثَرَ حديثًا لما تَقْتَضِيهِ العادةُ أَمْ لا. وإنْ قُلْنا الاستثناءُ مُتَّصِلٌ، فالسَّبَبُ فيه مِنْ جهاتٍ: أَحَدُها- أنَّ عَبْدَ اللَّهِ كان مُشْتَغِلًا بالعبادةِ أَكْثَرَ مِنِ اشتغالِهِ بالتَّعْليم؛ فَقَلَّتِ الرِّوايةُ عَنْهُ.
ثانيها- أنَّه كان أكثرُ مُقامِهِ -بَعْدَ فُتُوحِ الأَمْصَارِ- بِمِصْرَ أو بالطَّائفِ، ولم تكنِ الرِّحْلَةُ إليهما ممَّنْ يَطْلُبُ العِلْمَ كالرِّحْلَةِ إلى المدينةِ، وكان أبو هُرَيْرَةَ مُتَصَدِّيًا فيها للفَتْوَى والتَّحْديثِ إلى أنْ ماتَ، ويَظْهَرُ هذا مِنْ كَثْرَةِ مَنْ حَمَلَ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، فَقَدْ ذكر البُخاريُّ: أنَّهُ رَوَى عنه ثَمَانِمِائَةِ نَفْسٍ مِنَ التَّابعين، ولم يَقَعْ هذا لغَيْرِهِ.
ثالثُها- ما اختصَّ به أبو هُرَيْرَةَ مِنْ دَعْوَةِ النَّبيِّ ﷺ بألَّا يَنْسَى ما يُحَدِّثُهُ به.
رابعُها- أنَّ عَبْدَ اللَّهِ كان قَدْ ظَفِرَ في الشَّام بِحِمْلِ جَمَلٍ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الكِتابِ، فكان يَنْظُرُ فيها، ويُحدِّثُ منها؛ فَتَجَنَّبَ الأَخْذَ عنه لذلكَ كثيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ التَّابعينَ.
ويُحْتَمَلُ أنْ يُقالَ: تُحْمَلُ أَكْثَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو على ما فاز به عَبْدُ اللَّهِ مِنَ الكِتابةِ قَبْلَ الدُّعاءِ لأبي هُرَيْرَةَ؛ لأنَّه قال في حديثِهِ: «فما نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدُ». فجاز أنْ يَدْخُلَ عليه النِّسْيانُ فيما سَمِعَهُ قَبْلَ الدُّعاءِ، بخِلافِ عَبْدِ اللَّهِ فإنَّ الَّذي سَمِعَهُ مَضْبوطٌ بالكتابةِ، والَّذي انتشرَ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ -مَعَ ذلك- أَضْعَافُ ما انتشر عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو؛ لتصدِّي أبي هُرَيْرَةَ لذلك، ومُقامِهِ بالمدينةِ النَّبويَّةِ، بخِلافِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو في الأَمْرَيْنِ». اهـ.
(٤) رواه البُخاريُّ: (١١٣).

لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأَحْفَظَنا لحديثِهِ»[١].

قال الذَّهَبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان حِفْظُ أبي هُرَيْرَةَ الخارقُ مِنْ مُعْجزاتِ النُّبُوَّةِ»[٢].

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ بِتَمَرَاتٍ، فقُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ فيهِنَّ بالبَرَكَةِ، فَضَمَّهُنَّ، ثُمَّ دعا لي فِيْهِنَّ بالبَرَكَةِ، فقال لي: «**خُذْهُنَّ، واجْعَلْهُنَّ في مِزْوَدِكَ**[٣] **هذا** -أَوْ في هذا المِزْوَدِ- **كُلَّما أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، فأَدْخِلْ يَدَكَ فيه فَخُذْهُ، ولا تَنْثُرْهُ نَثْرًا**». فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذلك التَّمْرِ كذا وكذا مِنْ وَسْقٍ[٤] في سَبِيلِ اللَّهِ، وكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ ونُطْعِمُ، وكان لا يُفارِقُ حَقْوِيْ[٥] حتَّى كان يَوْمُ قَتْلِ عُثْمَانَ فإنَّهُ انْقَطَعَ[٦].

وعَنْهُ قال: قال لِيَ النَّبيُّ ﷺ: «**ممَّنْ أَنْتَ؟**». قُلْتُ: مِنْ دَوْسٍ.

قال: «**ما كُنْتُ أَرَى أنَّ في دَوْسٍ أَحَدًا فيه خَيْرٌ**»[٧].

* زُهْدُ أبي هُرَيْرَةَ وصَبْرُهُ على طَلَبِ العِلْمِ:

عَنْ مُحمَّد بْنِ سِيرِينَ قال: كُنَّا عِنْدَ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعليه ثَوْبانِ مُمَشَّقَانِ[٨] مِنْ كَتَّانٍ[٩]، فَمَخَطَ في أَحَدِهما، ثُمَّ قال: «بَخٍ بَخٍ[١٠]، يَتَمَخَّطُ أبو هُرَيْرَةَ في الكَتَّانِ!

---

(١) صحيحٌ: أَخْرَجَهُ أحْمَدُ (٢/ ٢٧٦)، والتِّرمِذيُّ (٤١٠٧)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرمِذيِّ» (٣٠١٣).

(٢) «السِّير» (٢/ ٥٩٤).

(٣) المِزوَدُ -بزِنَةِ المِنبَرِ-: وِعاءٌ يُجعَلُ فيه الزَّادُ «أَيِ: الطَّعامُ»، والجمعُ مَزَاوِدُ.

(٤) الوَسْقُ -بالفتح-: سِتُّون صاعًا بالصَّاع النَّبويِّ، وهو ثلاثمِائةٍ وعِشْرُونَ رطْلًا، والجمع أَوْسُقٌ، ووُسُوقٌ، وحَكَى بَعْضُهُمْ الكَسْرَ لُغَةً، والجمعُ أَوْسَاق كحِمْلٍ وأَحْمَالٍ.

(٥) الحَقْوُ -بالفتح والكَسْرِ-: الخاصرة، والجمع أَحْقٍ، وأَحْقَاءٌ، وحُقِيٌّ -بضَمِّ الحاءِ وكَسْرِها-، وحِقَاءٌ.

(٦) حَسَنٌ: أخرجه التِّرمِذيُّ (٤١١٠)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح التِّرمِذيِّ» (٣٠١٥).

(٧) صحيحٌ: أخرجه التِّرمذيُّ (٤١٠٩)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمذيِّ» (٣٠١٤).

(٨) مُمَشَّقان -بتشديد الشِّينِ مفتوحةً- أَيْ: مَصْبُوغانِ بالمَشْقِ -بكَسْرِ الميم وفَتْحِها-، وهو الطِّينُ الأَحْمَرُ.

(٩) كَتَّان -بزِنَةِ شَدَّادٍ-: معروفٌ، ثِيابُهُ مُعْتَدِلَةٌ في الحرِّ والبَرْدِ واليُبُوسةِ، ولا تَلْزَقُ بالبَدَنِ، ويَقِلُّ قَمْلُهُ، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّهُ يُخَيسُ ويُلْقَى بَعْضُهُ على بَعْضٍ حتَّى يَكْتَنَ (أَيْ: يَسْوَدَّ).

(١٠) بَخٍ بَخٍ -بالتَّنوينِ وفيها لُغَاتٌ-: كلمةُ تَعَجُّبٍ ومَدْحٍ.

لَقَدْ رَأَيْتُنِي وإِنِّي لَأَخِرُّ فيما بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحُجْرَةِ عائِشَةَ مِنَ الجُوعِ مَغْشِيًّا[١] عليَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي؛ يَرَى أَنَّ بي الجُنُونَ، وما بي جُنُونٌ، وما هُوَ إِلَّا الجُوعُ»[٢].

قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**كان يَظُنُّهُ مَنْ يَراهُ مَصْرُوعًا؛ فَيَجْلِسُ فَوْقَهُ لِيَرْقِيَهُ، أَوْ نَحْوَ ذلك**»[٣].

عَنْ مُجاهِدٍ: أَنَّ أبا هُرَيْرَةَ كان يقولُ: اللَّهِ الَّذي لا إلهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ[٤]، وإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ على بَطْني مِنَ الجُوعِ[٥].

ولَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا على طَرِيقِهِمُ الَّذي يخرجونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أبو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيةٍ مِنْ كِتابِ اللَّهِ، ما سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَني، فَمَرَّ ولَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مرَّ بي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيةٍ مِنْ كِتابِ اللَّهِ، ما سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَني، فمرَّ ولم يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بي أَبُو القَاسِمِ ﷺ فتبَسَّمَ حِيْنَ رآني، وعَرَفَ ما في نَفْسِي، وما في وَجهِي، ثُمَّ قال: «**يا أبا هِرٍّ**». قلتُ: لَبَّيْكَ[٦] يا رَسُولَ اللَّهِ.

قال: «**الْحَقْ**». ومَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا

---

(١) غُشِيَ عليه -بالضَّمِّ- غَشْيةً، وغَشْيًا، وغَشَيانًا -بالتَّحريك- فهو مَغْشيٌّ عليه أَيْ: أُغْمِيَ.

(٢) رواه البخاريُّ (٧٣٢٤)، والتِّرمِذيُّ (٢٤٨٦)، واللَّفْظُ له.

(٣) «السِّير» (٢/ ٥٩١).

(٤) لأعتمدُ بكَبدي على الأرض أيْ: أَلْصِقُ بَطْني بالأرضِ، أَوْ هُوَ: كِنايةٌ عن سُقُوطِهِ على الأرضِ مَغْشِيًّا عليه.

(٥) قال ابن حجرٍ في «الفتح» (١٣/ ٧٠، ٧١): «**قال العُلماءُ: فائدةُ شَدِّ الحَجَرِ المُساعدةُ على الاعتدالِ والانتصابِ، أو المَنْعُ مِنْ كَثْرَةِ التَّحَلُّلِ مِنَ الغذاءِ الَّذي في البَطْنِ لِكَوْنِ الحَجَرِ بقَدْرِ البَطْنِ، فيكونُ الضَّعْفُ أَقَلَّ، أو لِتقليلِ حَرارةِ الجُوعِ بِبَرْدِ الحَجَرِ، أو لأنَّ فيه الإشارةَ إلى كَسْرِ النَّفْسِ**». اهـ.

(٦) لَبَّيْكَ أيْ: إقامةً على إجابتِكَ بَعْدَ إقامةٍ، ولُزُومًا لطاعتِكَ بَعْدَ لُزُومٍ، مُشْتَقٌّ مِنْ لَبَّ بالمكانِ وأَلَبَّ بِهِ: إذا أقام فيه ولَزِمَهُ، وهو مَصْدَرٌ منصوبٌ على المَفْعُوليَّةِ المُطْلقةِ بِفِعْلٍ محذوفٍ، وأَصْلُهُ: لَبَّيْنِ لَكَ، فَحُذِفتِ النُّونُ للإضافةِ، والمَقْصُودُ بباءِ التَّثْنيةِ: التَّكْثيرُ والتَّوكيدُ، وليس المُرادُ بها مرَّتَيْنِ فَقَطْ؛ فَهُوَ على هذا مُلْحَقٌ بالمُثَنَّى!.

في قَدَحٍ، فقال: «**مِنْ أَيْنَ هذا اللَّبَنُ؟**». قالوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ -أَوْ فَلانةُ-. قال: «**أبا هِرٍّ**». قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللَّهِ. قال: «**الْحَقْ إلى أَهْلِ الصُّفَّةِ**[١]، **فادْعُهُمْ لي**» قال: وأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإسْلامِ، لا يَأْوُونَ إلى أَهْل، ولا مالٍ، ولا على أَحَدٍ، إذا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بها إليهم، ولم يَتَناوَلْ مِنْها شَيْئًا، وإذا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إليهم، وأصاب منها، وأَشْرَكَهُمْ فيها، فَسَاءَني ذلك، فَقُلْتُ: وما هذا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ؟! كُنْتُ أَحَقَّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هذا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بها، فإذا جاءُوا أَمَرَني، فَكُنْتُ أنا أُعْطِيهِمْ، وما عَسَى أَنْ يَبْلُغَني مِنْ هذا اللَّبَنِ؟!، ولَمْ يَكُنْ مِنْ طاعةِ اللَّهِ، وطاعةِ رسولِهِ ﷺ بُدٌّ[٢].

فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فأَقْبَلُوا، فاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لهم، وأَخَذُوا مَجالِسَهُمْ مِنَ البيْتِ، قال: «**يا أبا هِرٍّ**».

قُلْتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللَّهِ. قال: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**». قال: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عليَّ القَدَحَ، فأُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عليَّ القَدَحَ، فَيَشْرَبُ حتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عليَّ القَدَحَ، حتَّى انتهيتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِه، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فقال: «**أبا هِرٍّ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ. قال: «**بَقِيتُ أَنَا وأَنْتَ**».

قُلْتُ: صَدَقْتَ يا رسولَ اللَّهِ. قال: «**اقْعُدْ فاشْرَبْ**». فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فقال: «**اشْرَبْ**». فَشَرِبْتُ، فما زَالَ يَقُولُ: «**اشْرَبْ**» حتَّى قُلْتُ: لا والَّذي بَعَثَكَ بالحقِّ، ما أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا. قال: «**فَأَرِني**». فأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وسمَّى، وشَرِبَ الفَضْلَةَ[٣][٤].

---

(١) الصُّفَّة -بالضَّمِّ-: موضعٌ مَسْقُوفٌ آخِرَ المَسْجِدِ النَّبويِّ، تأْوي إليه الفُقراءُ، وأصبح الآنَ وَسْطَ المَسْجِدِ بَعْدَ التَّوسُّعاتِ الكبيرةِ.

(٢) بُدٌّ -بالضَّمِّ- أَيْ: فِراقٌ.

(٣) الفَضْلة -بالفتح-: البَقِيَّة، والجمعُ فَضَلاتٌ -بالتَّحريك-، وفِضالٌ.

(٤) رواه البخاريُّ (٦٤٥٢).

* حِرْصُهُ عَلَى العِلْمِ:

كان أبو هُرَيْرَة رضي الله عنه حريصًا على العِلْمِ إلى الغاية، شَهِدَ له بذلك مَنْ لا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى.

فعن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفاعَتِكَ يَوْمَ القيامةِ؟. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَقَدْ ظَنَنْتُ -يا أبا هُرَيْرَةَ- أَلَّا يَسْأَلَني عَنْ هذا الحديثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحديثِ؛ أَسْعَدُ النَّاس بشَفاعَتِي مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ[١]»[٢]**.

استعمله عُمَرُ رضي الله عنه على البَحْرَيْنِ، فلم تُبَدِّلِ الوِلَايةُ مِنْ سَماحةِ[٣] أَخْلاقِهِ شَيْئًا.

واستعمله مُعاويةُ على المدينةِ، ومرَّ ذاتَ يَوْمٍ بأَحَدِ طُرُقِ المَدينةِ -وهو يَوْمَئِذٍ أميرٌ لمَرْوانَ بْنِ الحَكَم- وكان يَحْمِلُ الحَطبَ على ظَهْرِهِ لأَهْلِ بَيْتِهِ، فَمَرَّ بثَعْلَبَةَ بْنِ أبي مالكٍ، فقال له: أَوْسِعِ الطَّريقَ للأميرِ، يا ابْنَ أَبي مالكٍ. فقال لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَمَا يَكْفِيكَ هذا المَجَالُ كُلُّهُ؟!. فقال له: أَوْسِعِ الطَّريقَ للأَمِيرِ، وللحُزْمَةِ الَّتي على ظَهْرِهِ[٤].

وقَبْلَ رَحِيلِهِ كان رضي الله عنه يَشْعُرُ بدُنُوِّ أَجَلِهِ، فكان إذا مَرَّتْ بِهِ جَنَازةٌ قال: «**اغْدُوا**[٥] فإِنَّا رائِحُونَ[٦] وَرُوحُوا فإِنَّا غادُونَ»[٧].

وكان رضي الله عنه يَدْعُو قائلًا: «اللَّهُمَّ لا تُدْرِكْني سَنَةَ سِتِّينَ»[٨].

---

(١) مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ -بكسر القافِ، وفَتْحِ الباءِ -أَيْ: قال ذلك باخْتيارِهِ.

(٢) رواه البخاريُّ: (٩٩)، (٦٥٧٠).

(٣) السَّماحة: الكَرَم، وقَدْ سَمُحَ خُلُقُهُ مِنْ بابِ ظَرُفَ.

(٤) «صفة الصَّفْوة» (١/ ٢٩٤).

(٥) غَدَا: ذَهَبَ غُدْوةً، وهي ما بَيْنَ صلاةِ الفَجْرِ وطُلُوعِ الشَّمْسِ، وبابُهُ سَمَا.

(٦) رَاحَ يَرُوحُ رَوَاحًا: ذَهَبَ رَوَاحًا، وهُوَ مِنْ زَوالِ الشَّمْسِ إلى اللَّيْلِ، فَرَاحَ: إذا ذَهَبَ مساءً، وغَدَا: إذا ذهب صباحًا.

(٧) «تاريخ ابن عساكر» (١٩/ ١٢٦/ ٢)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٨٣).

(٨) قال الأرناؤوط: رجالُهُ ثِقاتٌ، وقد ذكره الحافظ في «الفَتْح» (١٣/ ٨) عِنْدَ شَرْحِهِ للحديثِ: «هَلَكَةُ أُمَّتي=

وعَنْ سالِمِ بْنِ بَشِيرٍ: أنَّ أبا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بَكَى في مَرَضِهِ، فقيل: ما يُبْكِيكَ؟. قال: «**ما أَبْكي على دُنْياكُمْ هذِهِ، ولكنْ على بُعْدِ سَفَري، وقِلَّةِ زَادي، وأنِّي أَمْسَيْتُ في صَعُودٍ**[١]، ومَهْبِطُهُ على جَنَّةٍ أو نارٍ، فلا أَدْري أَيَّهُما يُؤْخَذُني»[٢].

وعَنِ المَقْبُرِيِّ قال: دَخَلَ مَرْوَانُ على أبي هُرَيْرَةَ في شَكْوَاهُ، فقال: شَفَاكَ اللَّهُ يا أبا هُرَيْرَةَ. قال: «اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّ لقاءَكَ، فَأَحِبَّ لقائي». قال: فما بَلَغَ مَرْوَانُ أَصْحَابَ القُطْنِ -أَي: وَسْطَ السُّوقِ-، حتَّى ماتَ أبو هُرَيْرَةَ[٣].

وكانَتْ وفاتُهُ -على الصَّحيحِ- سَنَةَ تِسْعٍ وخَمْسينَ مِنَ الهِجْرةِ، عَنْ ثَمَانٍ وسَبْعِينَ سَنَةً، وقَدْ دُفِنَ بالبَقِيعِ[٤] -رحمَه اللَّهُ ورَضِيَ عنه-.

جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّـهِ البَجَليُّ[٥]

جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ البَجَليُّ مِنْ أَعْيانِ الصَّحابةِ[٦]، كان شَاعِرًا، خَطِيبًا،

= **على يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيشٍ**»، ونَسَبه لابْنِ أبي شَيْبَةَ بلفظ: أنَّ أبا هُرَيْرَةَ كَانَ يَمْشي في السُّوقِ، ويقولُ: «**اللَّهُمَّ لا تُدْرِكْني سَنَةَ سِتِّينَ، ولا إمارةَ الصِّبْيانِ**». وقال: «**وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ أَوَّلَ الأُغَيْلِمَةِ كان في سَنَةِ سِتِّينَ، وهو كذلك؛ فإنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعاوِيةَ اسْتُخْلِفَ فيها، وبَقِيَ إلى سَنَةِ (٦٤هـ) فمات، ثُمَّ وُلِّيَ وَلَدُهُ مُعاوِيةُ، وماتَ بَعْدَ أَشْهُرٍ**».

(١) الصَّعُود -بزِنَةِ رَسُولٍ-: العَقَبة الشَّاقَّة، والجمع أَصْعِدَةٌ.

(٢) «الطَّبقات» (٤/ ٣٣٩)، و«الحِلْية» (١/ ٣٨٣)، و«السِّير» (٢/ ٦٢٥).

(٣) «طبقات ابن سَعْدٍ» (٤/ ٣٣٩)، و«تاريخ دِمَشْق» (١٩/ ١٢٨/ ١)، و«السِّير» (٢/ ٦٢٥).

(٤) البَقِيع -بزِنَةِ أَمِيرٍ-: مَقْبرة بالمدينة النَّبويَّة.

(٥) هو: جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّه بْن جابرٍ -وهُوَ الشَّلِيلُ- ابْنِ مالكِ بْنِ نَصْرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ جُشَمَ بْنِ عُوَيْفِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ حَرْبِ بْنِ عليِّ بْنِ مالكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ نَذِيرِ بْنِ قَسْرِ بْنِ عَبْقَرِ بْنِ أَنْمارِ بْنِ إِرَاشِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مالكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ، وعَمْرُو بْنُ الغَوْثِ بْنِ نَبْتٍ هُوَ أخو الأَزْدِ بْنِ الغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ. انظر «جمهرة أنساب العرب» (ص ٣٨٦، ٣٨٧).

ونَسَبُ بَجِيلةَ إلى أُمِّهِمْ بَجِيلةَ بِنْتِ صَعْبِ بْنِ عليِّ بْنِ سَعْدِ العَشِيرةِ.

انظر «أُسْد الغابة» (١/ ٢٧٩). ومنطقةُ بَجِيلةَ وخَثْعَمَ في سَراةِ أعالي اليَمَنِ.

قال ابْنُ إسحاقَ: «**ودارُ بجِيلةَ وخَثْعَمَ يَمانيةٌ**». انظر «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هِشَامٍ (١/ ١٢).

(٦) أعيان الصَّحابة أَيْ: كِبارهم وأفاضلهم، على المَثَلِ بشَرَفِ العَيْنِ الحاسَّةِ.

لَسِنًا[١]، ذَكِيًّا، أَرِيبًا، مُحَدِّثًا، عالمًا، فقيهًا، عَدَّهُ العُلماءُ مِنْ أَهْلِ الفُتْيَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ البَارِزِينَ، وَتَسَلْسُلُهُ الرَّابِعَ عَشرَ فِي مَرَاتِبِهِمْ مِنْ كَثْرَةِ الْفُتْيَا[٢].

رَزَقَهُ اللَّهُ قَدْرًا عاليًا مِنَ الحُسْنِ والجَمالِ والبَهاءِ والكَمالِ، حتَّى كانوا يُلَقِّبُونَهُ بيُوسُفِ هذِهِ الأُمَّةِ.

فَعَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه قال: رآني عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ مُتَجَرِّدًا، فناداني: خُذْ رِدَاءَكَ، خُذْ رِدَاءَكَ. فأَخَذْتُ رِدائي، ثُمَّ أَقْبَلْتُ على القَوْمِ، فقلتُ: ما لَهُ؟! قالوا: لما رآك مُتَجَرِّدًا، قال: **«ما أَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ صُوِّرَ صُورةَ هذا إلَّا ما كان مِنْ يُوسُفَ عليه السلام»**[٣].

وعَنْ إبراهيمَ بْنِ جَرِيرٍ قال: إنَّ عُمَرَ قال: **«جَرِيرٌ يُوسُفُ هذِهِ الأُمَّةِ»**[٤].

وكان طَوِيلَ القَامةِ يَصِلُ إلى سَنَامِ البَعِيرِ، يُخَضِّبُ لِحْيَتَهُ باللَّيلِ، ويَغْسِلُها إذا أَصْبَحَ[٥].

رآه عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، فقال: **«رأيتُ جَرِيرًا كأنَّ وَجْهَهُ شِقَّةُ قَمرٍ»**[٦].

قال ابنُ كَثِيرٍ رحمه الله: **«كان جَرِيرٌ ذا شَكْلٍ عظيمٍ، كانتْ نَعْلُهُ طُولُها ذِراعٌ، وكان مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، وكانَ -مَعَ هذا- مِنْ أَغَضِّ النَّاسِ طَرْفًا[٧]**، ولهذا روينا في

(١) لَسِنَ -من بابِ فَرِحَ- فهو لَسِنٌ: إذا كان ذا بيانٍ وفَصاحةٍ.

(٢) «أصحاب الفُتْيا» ملحق بجوامع السِّيرة لابن حَزْمٍ (ص٣١٩).

(٣) رجاله ثقات. انظر «الإصابة» (٢/ ٧٧).

(٤) رجالُهُ ثِقاتٌ. انظر «السِّير» (٢/ ٥٣٥).

(٥) «تهذيب الأسماء واللُّغات» (١/ ١٤٧).

(٦) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٦).

(٧) الطَّرْف -بالفتح-: العَيْن، لا يُجْمَعُ؛ لأنَّهُ في الأَصْلِ مَصْدَرٌ، فيكونُ واحدًا وجَمْعًا، قال -تعالى-: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣] وأَصْلُ الطَّرْفِ: تحريك الأَجْفان، يُقالُ: شَخَصَ بَصَرُهُ فما يَطْرِفُ، وبابُهُ ضَرَبَ، وسُمِّيتِ العَيْنُ طَرْفًا؛ لأنَّه يَكونُ بها.

الحديثِ الصَّحيحِ عَنْهُ أَنَّهُ قال: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الفَجْأَةِ[١]، فقال: «اصْرِفْ بَصَرَكَ»[٢][٣].

وكان كَيِّسًا[٤] فَطِنًا عاقلًا ذا بَدِيهةٍ[٥]، وَجَدَ عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ رضي الله عنه في مَجْلِسِهِ رائحةً مِنْ بَعْضِ جُلَسائِهِ، فقال عُمَرُ: عَزَمْتُ على صاحبِ هذِهِ الرَّائحةِ إلَّا قام فَتَوَضَّأَ. فقال جَرِيرٌ: عَلَيْنا كُلِّنا يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ -فاعْزِمْ. فقال عُمَرُ: عَلَيْكُمْ كُلِّكُمْ عَزَمْتُ. ثُمَّ الْتَفَتَ إلى جَرِيرٍ، وقال له: ما زِلْتَ سَيِّدًا في الجاهليَّةِ والْإِسلامِ[٦].

وكان جَرِيرٌ سَيِّدًا في الجاهليَّةِ[٧]، وسَيِّدَ قَوْمِهِ في الإسلامِ[٨].

أَسْلَمَ -على الصَّحيحِ- سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ- وهي سَنَةُ الوُفُودِ[٩]-، وكان قُدُومُهُ ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ.

* فَضَائِلُهُ:

عَنِ المُغيرةِ بْنِ شِبْلٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قال: لمَّا دَنَوْتُ مِنْ مَدِينةِ رسول اللَّهِ ﷺ أَنَخْتُ[١٠] رَاحِلَتي[١١]، وحَلَلْتُ عَيْبتي[١٢]، فَلَبِسْتُ حُلَّتي[١٣]،

---

(١) الفَجْأة -بالفتح والقَصْرِ-، والفُجاءة -بالضَّمِّ والمَدِّ-: البَغْتَةُ، ومعنى نَظَرِ الفَجْأةِ: أَنْ يَقَعَ بَصَرُهُ على الأَجْنبيَّةِ مِنْ غيرِ قَصْدٍ.

(٢) رواه مسلم: (٢١٥٩).

(٣) «البداية والنِّهاية» (٥/ ٨٤).

(٤) الكَيِّس -بزِنَةِ الجيِّد-: الظَّريف الفَطِن العارف بما ينفعه، ثُمَّ هو حريصٌ على فِعْلِهِ، والجمع أكياسٌ، وكَيْسى.

(٥) البديهة -بزنة السَّفينة-: أوَّلُ كُلِّ شيءٍ، وما يَفْجَأُ مِنْهُ، وقولُهُم: فُلانٌ ذُو بَدِيهةٍ أَيْ: يُصِيبُ الرَّأْيَ في أَوَّلِ ما يُفاجَأُ به.

(٦) «الاستيعاب» (١/ ٢٣٨).

(٧) المرجع السابق (١/ ٢٣٨).

(٨) «أُسْد الغابة» (١/ ٢٧٩).

(٩) «فتح الباري» (٧/ ٩٩)، و«طبقات ابْنِ سعدٍ» (١/ ٣٢٧).

(١٠) أَنَخْتُ: أَبْرَكْتُ.

(١١) الرَّاحلة: المَرْكَبُ مِنَ الإبلِ، ذَكَرًا كان أَوْ أُنثى، فاعلةٌ بمعنى مَفْعُولةٍ، والجمع رَواحِلُ.

(١٢) حَلَّ العَيْبَةَ: فَتَحَهَا، وبابُهُ رَدَّ.

(١٣) الحُلَّة -بالضَّمِّ-: الثَّوْبُ الجيِّدُ الجديدُ لَهُ ظِهارةٌ وبِطانةٌ مِنْ جِنْسٍ واحِدٍ، والجمعُ حُلَلٌ، وحِلالٌ.

فَدَخَلْتُ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَسَلَّمَ عليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فرَمَاني النَّاسُ بالحَدَقِ[١]، فقلتُ لجليسي: أَيْ عَبْدَ اللَّهِ، هَلْ ذَكَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَمْري شيئًا؟. قال: نَعَمْ، ذَكَرَكَ بأَحْسَنِ الذِّكْرِ، بَيْنَما هُوَ يَخْطُبُ إذْ عُرِضَ لَهُ في خُطْبَتِهِ، فقال: «**إنَّهُ سَيَدْخُلُ عليكُمْ مِنْ هذا الباب** -أَوْ مِنْ هذا الفَجِّ[٢]- **رَجُلٌ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، على وَجْهِهِ مَسْحَةُ مَلَكٍ**»[٣]. قال جَرِيرٌ: فَحَمِدْتُ اللَّهَ على ما أَبْلاني[٤][٥].

وكان رضي الله عنه آلِفًا مَأْلُوفًا، أحبَّهُ النَّبيُّ ﷺ.

قال جَرِيرٌ: «ما حَجَبَني رسولُ اللَّه ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، ولا رآني إلَّا تَبَسَّمَ في وَجْهي»[٦].

وعَنْ قَيْسِ بْنِ أبي حازمٍ، عَنْ جَرِيرٍ قال: قال لي رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا تُرِيحُني مِنْ ذي الخَلَصَةِ؟**». فقلتُ: بَلَى. فانْطَلَقْتُ في خَمْسِينَ ومِائَةِ فارسٍ مِنْ أَحْمَسَ[٧]، وكانوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، وكُنْتُ لا أَثْبُتُ على الخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذلك للنَّبِيِّ ﷺ، فَضَرَبَ يَدَهُ على صَدْري، حتَّى رأيتُ أَثَرَ يَدِهِ في صَدْري، وقال: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، واجْعَلْهُ هاديًا مَهْدِيًّا**». قال: فما وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ. قال: وكان ذُو الخَلَصَةِ[٨]

---

(١) الحَدَق -بالتَّحريك-: جمع حَدَقَةٍ، وهي السَّوادُ المُسْتديرُ وَسْطَ العَيْنِ، وتُجمعُ -أيضًا- على أَحْداقٍ، وحِداقٍ.

(٢) الفَجّ -بالفتح-: الطَّريق الواسع بَيْنَ جَبَلَيْنِ، والجمع فِجاجٌ، وأَفِجَّةٌ نادِرٌ.

(٣) مَسْحَة مَلَكٍ -بزِنَةِ سَجْدةٍ- أيْ: أَثَرٌ ظاهرٌ مِنْهُ.

(٤) الإبْلاء: الإنعام والإحْسَانُ.

(٥) صحيحٌ: أخرجه النَّسائيُّ في «الكُبرى» (٨٣٠٤)، وابْنُ حِبَّانَ (٧١٥٥)، وابْنُ أبي شَيْبَةَ (١٢٣٩١) وأحمدُ (٤/ ٣٥٩)، والطَّبرانيُّ (٢٤٨٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (٣١٩٣).

(٦) رواه البُخاريُّ (٣٨٢٢)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٧) أَحْمس -بزِنَةِ أَحْمَرَ-: هُمْ إخْوَةُ بَجيلةَ رَهْطُ جَرِيرٍ، ينتسبون إلى أَحْمَسَ بْنِ الغَوْثِ بْنِ أَنمَارٍ، وبَجِيلةُ -بزِنَةِ صَحيفةٍ- امْرَأَةٌ نُسِبَتْ إليها القبيلةُ المَشْهورةُ، ومَدَارُ نَسَبِهِمْ -أيضًا- على أَنْمَارٍ.

(٨) ذُو الخَلَصَةِ -بالتَّحريك على الأَشْهَرِ-: اسْمٌ للبيتِ، سُمِّي ذا الخَلَصَةِ؛ لأنَّه كان فيه صَنَمٌ اسْمُهُ الخَلَصَةُ، أو لأنَّهُ كان منبتَ الخَلَصَةِ، والخَلَصَةُ: نباتٌ له حَبٌّ أَحْمَرُ كخَرَزِ العَقِيقِ، طيِّبُ الرِّيحِ، كالعِنَبِ يتعلَّقُ بالشَّجَرِ فيَعْلُو. =

بَيْتًا باليَمَنِ لِخَثْعَمَ وبَجِيْلَةَ، فيه نُصُبٌ[١] تُعْبَدُ، يُقالُ له: الكَعْبةُ[٢]. قال: فَأَتَاها فَحَرَّقَها بالنَّارِ وكَسَرَهَا.

قال: ولمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ اليَمَنَ، كان بها رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ[٣] بالأَزْلَامِ[٤]، فقيل له: إنَّ رسولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ها هُنا، فإنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ. قال: فَبَيْنَما هو يَضْرِبُ بها إذْ وَقَفَ عليه جَرِيرٌ، فقال: لَتَكْسِرَنَّها ولَتَشْهَدَنَّ: أنْ لا إله إلَّا اللَّهُ، أوْ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ. قال: فَكَسَرَها وشَهِدَ، ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ رَجُلًا مِنْ أَحْمَسَ -يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ- إلى النَّبِيِّ ﷺ يُبَشِّرُهُ بذلك، فلمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قال: يا رسولَ اللَّهِ، والَّذي بَعَثَكَ بالحقِّ، ما جِئْتُ حتَّى تَرَكْتُها كأنَّها جَمَلٌ أَجْرَبُ[٥] قال: فَبَرَّكَ[٦] النَّبيُّ ﷺ على خَيْلِ أَحْمَسَ ورِجَالِها خَمْسَ مرَّاتٍ[٧].

وكان جَرِيرٌ رضي الله عنه خَطيبًا بَلِيغًا فَصِيحًا، فَقَدْ قَدِمَ على عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه مِنَ الكُوفةِ مِنْ عِنْدِ سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه فقال له عُمَرُ: كيف تَرَكْتَ سَعْدًا في وِلَايَتِهِ؟.

فقال: تَرَكْتُهُ أَكْرَمَ النَّاسِ مَقْدِرةً، وأَحْسَنَهُمْ مَعْذِرةً، هُو كالأُمِّ البَرَّةِ، يَجْمَعُ لها

= وقَدْ صَار موضعُ ذي الخَلَصَةِ -فيما بَعْدُ- مَسْجِدًا جامعًا لبَلْدَةٍ يُقالُ لها: العَبَلَاتُ مِنْ أَرْضِ خَثْعَمَ.

(١) نُصُب -بضمَّتين-: أَصْنام، واحدُها نصابٌ -بالكسر-، ويجوزُ أن يكون واحدًا، والجمع أَنْصَابٌ.

(٢) كانوا يَدْعُونه الكَعْبَةَ اليَمَانِيَةَ مُضاهاةً للكَعْبةِ الَّتي بمكَّةَ، وسَمَّوُا الَّتي بمكَّةَ شاميَّةً تَفْرِيقًا بَيْنَهُما.

(٣) يَسْتَقْسِمُ بالأَزْلَامِ أَيْ: يَطْلُبُ مِنْ جِهَتِها ما قُسِمَ له مِنْ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ.

(٤) الأَزْلَام: سِهامٌ لَا رِيشَ عليها، كانتْ لأَهْلِ الجاهليَّةِ، مكتوبٌ على بَعْضِها: أَمَرَني ربِّي، وعلى بَعْضِها: نَهَاني ربِّي، وعلى بَعْضِها: غُفْلٌ (أَيْ: لا عَلَامةَ فيه)، فإذا أراد الرَّجُلُ سَفَرًا، أو تزويجًا، أو نَحْوَ ذلك مِنَ المَهَامِّ؛ ضَرَبَ بِتِلْكَ السِّهام، فإنْ خَرَجَ أَمَرَني مَضَى لحاجتِهِ، وإنْ خَرَجَ نَهَاني أَمْسَكَ، وإنْ خَرَجَ الغُفْلُ عاد فَأَجَالها، وضَرَبَ بها أُخْرَى إلى أنْ يَخْرُجَ الأَمْرُ أوِ النَّهْيُ، وواحِدُ الأَزْلَامِ زُلَمٌ -بزِنَةِ جَبَلٍ وعُمَرَ-.

(٥) كأنَّها جَمَلٌ أَجْرَبُ أيْ: صارَتْ سَوْداءَ مِنْ إحْراقِها كالجَمَلِ المَطْليِّ بالقَطْرانِ مِنْ جَرَبِهِ؛ فَصَارَ أَسْوَدَ لذلك.

(٦) بَرَّكَ: دعا بالبَرَكَةِ.

(٧) رواه البُخاريُّ: (٣٠٢٠) -واللَّفْظُ له-، ومسلم (٢٤٧٦).

كما تَجْمَعُ الذَّرَّةُ[١]، مَعَ أنَّه مَيْمُونُ الأَثَرِ[٢]، مَرْزُوقُ الظَّفَرِ، أَشَدُّ النَّاسِ عِنْدَ البَأْسِ، وأَحَبُّ قُرَيْشٍ إلى النَّاسِ.

قال عُمَرُ: فَأَخْبِرْني عَنِ النَّاسِ. قال جَرِيرٌ: هُمْ كسِهامِ الجَعْبَةِ[٣]، منها القائمُ الرَّائشُ[٤]، ومنها العَصِلُ[٥] الطَّائشُ[٦]، وابْنُ أبي وقَّاصٍ ثِقافُها[٧]، يَغْمِزُ[٨] عَصِلَها، ويُقيمُ مَيْلَها، واللَّه أَعْلَمُ بالسَّرائرِ[٩] يا عُمَرُ.

قال: فَأَخْبِرْني عَنْ إسلامِهِمْ. قال: يُقيمونَ الصَّلاةَ لأَوْقَاتِها، ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ لوُلَاتها.

فقال عُمَرُ: الحَمْدُ للَّهِ، إذا كانتِ الصَّلاةُ أُوتيتِ الزَّكاةُ، وإذا كانتِ الطَّاعةُ كانتِ الجَمَاعةُ[١٠].

وجَرِيرٌ هُوَ القائلُ: «**الخَرَسُ**[١١] خَيْرٌ مِنَ الخِلَابَةِ[١٢]، والبَكَمُ[١٣] خَيْرٌ مِنَ البَذاءِ[١٤]»[١٥].

---

(١) الذَّرَّة -بالفتح-: واحدةُ الذَّرِّ، وهي النَّمْلُ الأَحْمَرُ الصَّغيرُ. (٢) ميمون الأَثَر: مُباركُهُ.
(٣) الجَعْبَة -بالفتح-: وعاءُ السِّهام، والجمع جِعابٌ.
(٤) الرَّائش من السِّهام: ذُو الرِّيْشِ، إشارة إلى كمالِهِ واستقامَتِهِ.
(٥) العَصِلُ من السِّهام: المُعْوَجُّ، وقَدْ عَصِلَ السَّهْمُ -مِنْ باب فَرِحَ- فهو أَعْصَلُ، وعَصِلٌ، وجمعُ الأوَّلِ عُصْلٌ، والثَّاني عِصالٌ، وهُوَ نادرٌ.
(٦) الطَّائش من السِّهام: الزَّالُّ عَنِ الهَدَفِ، وبابُهُ بَاعَ.
(٧) الثِّقاف -بزِنَةِ كِتابٍ-: آلةٌ حَدِيديَّةٌ أو خَشَبيَّةٌ، تُثَقَّفُ بها الرِّماحُ المُعْوَجَّةُ (أَيْ: تُقَوَّمُ وتُسَوَّى)، والجمع أَثْقِفَةٌ، وثُقُفٌ. (٨) الغَمْزُ: العَصْرُ باليَدِ، وبابُهُ ضَرَبَ.
(٩) السَّرائرُ: ما يُسَرُّ في القُلُوب مِنَ العقائِدِ، والنِّيَّاتِ، وغَيْرِها، واحدتُها سَرِيرةٌ.
(١٠) «الاستيعاب» (١/ ٢٣٩).
(١١) الخَرَسُ: انْعِقادُ اللِّسانِ عَنِ الكلامِ خِلْقَةً، وبابُهُ فَرِحَ.
(١٢) الخِلابة: الخديعة باللِّسان، وقَدْ خَلَبَهُ مِنْ بابِ نَصَرَ، وخِلابًا أيضًا، وخِلابةً -بكَسْرِهما-.
(١٣) البَكَمُ: أنْ يُخْلَقَ الإنسانُ للسانِهِ نُطْقٌ، وهُوَ لا يَعْقِلُ الجوابَ، ولا يُحْسِنُ وَجْهَ الكلامِ، وبابُهُ فَرِحَ.
(١٤) البَذَاء -بالفتح والمَدِّ-: الكلام الفاحش القبيح، وإنْ كان صِدْقًا.
(١٥) «الاستيعاب» (١/ ١٣٩).

وفيه قال ابْنُ الأَزْوَرِ القَسْرِيُّ:

لَعَمْرُ أَبِيكَ، والأَنْبَاءُ تَنْمِي[١] لَقَدْ جَلاَ[٢] بِخُطْبَتِهِ جَرِيرُ

وكان سَفِيرًا لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلى المُلُوكِ، فَقَدْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ على ذي الكَلاعِ[٣] بْنِ ناكُورِ بْنِ حبيبِ بْنِ مالكِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ تُبَّعٍ[٤]، وذي عَمْرٍو[٥] باليَمَنِ، يَدْعُوهما إلى الإسْلامِ، فَأَسْلَما وأَسْلَمَتِ امْرَأَةُ ذِي الكَلاعِ ضُرَيْبَةُ بِنْتُ أَبْرهَةَ بْنِ الصَّبَّاحِ[٦] مَلِكِ الحَبَشَةِ صاحِبِ الفِيْلِ المَذْكُورِ في القُرآنِ.

وتُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وجَرِيرٌ باليَمَنِ، فأَخْبَرَهُ ذُو عَمْرٍو بوَفَاتِهِ ﷺ، فَخَرَجَ جَرِيرٌ إلى المدينةِ المُنَوَّرةِ[٧]، وكان مُخْلِصًا لكُلِّ مُسْلِمٍ بدُونِ استثناءٍ، قال جَرِيرٌ: «**بايعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ على إقَامِ الصَّلاةِ، وإيْتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لكُلِّ مُسْلِمٍ**»[٨]. فَصَدَقَ ما عاهَدَ اللَّهَ عليه في كُلِّ حياتِهِ، فَقَدْ نَزَلَ الكُوفَةَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إلى (قِرْقِيسَاءَ)[٩] فَنَزَلَها، وقال: «**لا أُقِيمُ ببَلْدَةٍ يُشْتَمُ فيها عُثْمَانُ**»[١٠].

واعْتَزَلَ عَلِيًّا ومُعاويةَ[١١]، فلم يُقاتِلْ مُسْلِمًا، فهو تَقِيٌّ نَقِيٌّ، يَخافُ اللَّهَ، ويُحاسِبُ نَفْسَهُ، فلا يَحِيْدُ[١٢] عَنْ تَعاليمِ الدِّينِ الحَنِيفِ[١٣] أَبَدًا[١٤].

---

(١) تَنْمِي: تَرْتَفِعُ وتَنْتَشِرُ.
(٢) جَلا: كَشَفَ وأَوْضَحَ.
(٣) ذُو الكَلاعِ الأصْغَرُ -بفتحِ الكافِ-: هُوَ سَمَيْفَعُ -بفتحِ السِّينِ والميمِ والفاءِ، وقَدْ تُضَمُّ سِينُهُ، وحِيْنَئِذٍ يجبُ كَسْرُ الفاءِ- سُمِّيَ ذا الكَلاعِ؛ لأنَّ حِمْيَرَ تَكَلَّعُوا عَلَى يَدَيْهِ إلَّا قَبيلتَيْنِ: هَوَازِنَ، وحَرَازَ، فإنَّهما تَكَلَّعَتا على ذي الكَلاعِ الأكْبَرِ يَزِيدَ بْنِ النُّعْمانِ، والتَّكَلُّعُ: التَّحالفُ والتَّجمُّعُ، لُغَةٌ يَمَانِيَةٌ.
(٤) انظر سيرته المُفَصَّلة في «أُسْد الغابة» (٢/ ١٣٤).
(٥) انظر المرجع السابق (٢/ ١٤٢).
(٦) «طبقات ابن سَعْدٍ» (١/ ٢٦٥، ٢٦٦).
(٧) المرجع السَّابق: (١/ ٢٦٦).
(٨) رواه البخاريُّ: (٥٨)، ومسلم (٥٦).
(٩) قِرْقِيسَاء -بالكَسْرِ ويُقْصَرُ-: بَلَد على الفُراتِ، سُمِّي بِقِرْقِيسَا بْنِ طَهْمُورَثَ.
(١٠) «تهذيب التَّهذيب» (٢/ ٧٣).
(١١) «تهذيب الأسماء واللُّغات» (١/ ١٤٧).
(١٢) فلا يحيد: أَيْ: فلا يَمِيلُ.
(١٣) الحنيف -بزِنَةِ أَميرٍ-: المُستقيم، والدِّيْن الحنيف: الإسلام.
(١٤) «جرير بن عبد اللَّه السَّفير القائد» محمود بن شيت بن خطاب (ص٢٤).

يُكْنَى أبا عَمْرٍو، وقيل: يُكْنَى أبا عَبْدِ اللَّه[١]، والمَشْهورُ الأَوَّلُ[٢]، وكان أَوْلَادُهُ: عَبْدُ اللَّهِ، وعُبَيْدُ اللَّهِ، والمُنْذِرُ، وإبراهيمُ، وَبشِيرٌ[٣]، وأَيُّوبُ، وعَمْرٌو[٤].

تُوُفِّيَ بِ(قِرْقِيْسَاءَ) سَنَةَ إحْدَى وخَمْسِينَ مِنَ الهِجْرَةِ[٥]، وهُوَ الصَّحيحُ؛ لأَنَّهُ اعْتَزَلَ في هذِهِ المدينةِ، فَلَمْ يَبْرَحْها[٦] حتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ.

المِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو البَهْرانيُّ[٧]

هُوَ المِقْدَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ البَهْرَانِيُّ الحِمْيَرِيُّ، مِنْ كِبارِ الصَّحابةِ، ومِنَ السَّابقينَ إلى الإسلامِ، ومِنَ الفُضَلاءِ النُّجَباءِ الكِبارِ الخِيارِ.

فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: **«أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلامَ سَبْعَةٌ، مِنْهُمُ المِقْدَادُ»**[٨].

*** صِفَاتُهُ:**

كان آدَمَ طُوَالًا[٩]، ذا بَطْنٍ، أَشْعَرَ الرَّأْسِ[١٠]، أَعْيَنَ[١١]، مَقْرُونَ

---

(١) «الإصابة» (١/ ٢٤٢).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٩٩).

(٣) «جمهرة أنساب العرب» (ص٣٨٥).

(٤) «تهذيب التَّهذيب» (٢/ ٧٣).

(٥) «تهذيب الأسماء واللُّغات» (١/ ١٤٧).

(٦) فلم يَبْرَحْهَا أَيْ: فلم يُفارِقْها، وبابُهُ فَرِحَ، وبُرُوحًا -أيضًا.

(٧) المِقْدادُ: هُوَ المِقْدَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبيعةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَطْرُودٍ البَهرانيُّ. انظر «الإصابة» (٣/ ٤٥٤).
مِنْ قَبيلةِ بَهْراءَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ بْنِ مالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مالكِ بْنِ حِمْيَرَ بْنِ سَبَإٍ. انظر «اليمن في تاريخ ابن خَلْدُونَ» (ص١١٠).

(٨) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقُرْطُبيِّ (ص٤٧٣).

(٩) الطُّوَال -بزِنَةِ غُرابٍ-: الطَّويل ضِدُّ القَصيرِ، والجمعُ طِوالٌ، وطِيالٌ -بكَسْرِهما-.

(١٠) أَشْعَر الرَّأْسِ: كثير شَعَرِ الرَّأْسِ طَويله، والجمع شُعْرٌ.

(١١) أعين: واسع العَيْنِ، والجمعُ عِيْنٌ -بالكسر-.

الحاجِبَيْنِ[١]، مَهِيبًا[٢][٣].

* مَوْلِدُهُ:

وُلِدَ المِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو بحَضْرَمَوْتَ قَبْلَ البعثةِ النَّبويَّةِ بسَبْعٍ وعِشْرِينَ سَنَةً، فَنَشَأَ بحَضْرَمَوْتَ، وكان شَابًّا شُجَاعًا، وَبَيْنَهُ وبَيْنَ أبي شِمْرٍ الكِنْديِّ خِصامٌ فَطَلَبَ ابْنُ أبي شِمْرٍ مُبارَزَتَهُ بالسَّيْفِ، فَلَمْ يَجِدِ المِقْدَادُ مَفَرًّا مِنَ المُبارَزَةِ، فَتَبارَزَا، فَضَرَبَ المِقْدَادُ رِجْلَ ابْنِ أبي شِمْرٍ، وكان أبو شِمْرٍ ظالمًا، فَهَرَبَ المِقْدَادُ إلى مَكَّةَ.

وكان مِنَ العادةِ السَّائِدَةِ: أَنْ يُحالِفَ مَنْ يُقِيمُ بمكَّةَ شَخْصًا أَوْ أُسْرَةً، فَتَتَوافَرَ له بذلك الحِمايةُ، فَحَالَفَ الأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ بْنِ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ خَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَا أُمِّهِ، فَتَبنَّى المِقْدَادَ[٤]، فَنُسِبَ إليه، ولمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسْلَمَ المِقْدَادُ، وكان مِنَ السَّابقينَ إلى الإسْلامِ، وهاجَرَ إلى المَدينةِ، وشَهِدَ المَشاهِدَ كُلَّها[٥].

* فَضْلُهُ:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: «شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكونَ صاحِبَهُ أَحَبُّ إليَّ ممَّا عُدِلَ بِهِ[٦]، أَتَى النَّبيَّ ﷺ وهُوَ يَدْعُو على المُشْرِكينَ، فقال: لا نَقُولُ كما قال قَوْمُ مُوسَى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكنَّا نُقاتِلُ عَنْ يمينِكَ، وعَنْ شمالِكَ، وبَيْنَ يَدَيْكَ، وخَلْفَكَ.

فَرَأيتُ النَّبيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وسَرَّهُ -يَعْني: قَوْلَهُ-»[٧].

---

(١) المَقْرُون الحاجبين: الَّذي طَرَفا حاجِبَيْهِ مُلْتقيانِ.

(٢) مَهِيبًا: يخافُهُ النَّاسُ.

(٣) «السِّير» (١/ ٣٨٦).

(٤) تبنَّى المِقْدادَ: اتَّخذهُ ابْنًا.

(٥) انظر «يمانيُّون في مَوْكِبِ الرَّسُول» (ص١٣٨) بتصرُّفٍ.

(٦) ممَّا عُدِلَ به -بالبناءِ للمجهول- أيْ: وُزِنَ مِنْ كُلِّ شيءٍ يُقابلُ ذلك.

(٧) رواه البخاريُّ (٣٩٥٢).

وَقَدْ عَاشَ المِقْدَادُ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً، ومَاتَ في سَنَةِ ثلاثٍ وثَلاثِينَ، وصلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وقَبْرُهُ بالبَقِيعِ رضي الله عنه[1].

العَلَاءُ بْنُ الحَضْرَمِيِّ الصَّدَفِيُّ[2]

هُوَ العَلَاءُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الحَضْرَمِيُّ، مِنْ سَادَاتِ الصَّحابةِ العُلماءِ العُبَّادِ، مجُابِي الدَّعْوَةِ[3]، أَسْلَمَ مُبَكِّرًا، وشَهِدَ المَشاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلى صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ، فلمَّا عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ إلى المدينةِ، اختار العَلَاءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ لدَعْوَةِ أَهْلِ البَحْرَيْنِ[4]، وَحُكَّامِهَا إلى الإِسْلامِ، ومِنْهُمُ المُنِذْرُ بْنُ ساوي مَلِكُ البَحْرَيْنِ[5]، وقَدْ قام العَلَاءُ بذلك خَيْرَ قِيامٍ، وكان ذلك قَبْلَ فَتْحِ مكَّةَ -أَيْ: سَنَةَ ثَمَانٍ للْهِجْرَةِ[6]-، فَأَسْلَمَ المُنْذِرُ بْنُ ساوي العَبْديُّ، وَحَسُنَ

---

(١) «السِّير» (١/ ٣٨٦).

(٢) العَلَاءُ بْنُ الحَضْرَمِيِّ هُوَ: العَلَاءُ بْنُ عَبْدِ اللَّه بْنِ عمادِ بْنِ سَكى بْنِ أكبر بْنِ زَيْدِ بْنِ رَبيعةَ بْنِ مالكِ بْنِ عُرَيْفِ بْنِ مالكِ بْنِ خَزْرَجِ بْنِ آبَدَ بْنِ أبيودِ بْنِ مالكِ بْنِ الصَّدِفِ.
قال الهَمْدَانيُّ: «الصُّدف -بالضمِّ- مِنْ حِمْيَرَ، والصَّدِفُ -بالفَتْحِ- مِنْ كَهْلَانَ، فالصَّدِفُ أَخو كِنْدَةَ، وهما -أي: الصَّدِفُ وكنْدَةُ- مِنْ قَبائِلِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ». انظر «الإكليل» (٢/ ٣٠).
وانتشرتْ قَبيلةُ الصَّدِفِ في وادي حَضْرَمَوْتَ، وهي بُطُونٌ كثيرةٌ، والعَلَاءُ مِنْ بَنِي أكبر بْنِ الصَّدِفِ. انظر «الإكليل» (٢/ ٣٠).

(٣) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ١١٧).

(٤) انظر «عيون الأَثَر في المَغازي والسِّير» لابن سيد الناس (٢/ ٣٣٩)، و«السيرة النَّبويَّة» لابْنِ هِشَامٍ (٤/ ٢٧٩).

(٥) قَدْ يَتَبادرُ إلى الذِّهْنِ أنَّ البَحْرَيْنِ الَّتي وَرَدَتْ في «السِّير» هي تِلْكَ الجَزيرةُ الصَّغِيرةُ الَّتي تُسَمَّى اليومَ بدَوْلَةِ البَحْرَيْنِ، كلَّا، إنمَّا هي كما وَصَفَها الهَمْدانيُّ في كتابه «صفة جزيرة العرب» (ص ٣١٧)، قال: «إذا أَجْمَلْنا أَرْضَ البَحْرَيْنِ -وهي أَرْضُ المُشَقَّرِ- فهي: هَجَرُ بمَدِينتِها العُظْمَى، والعُقَيْرُ، والقَطِيفُ، والأَحْسَاءُ، وملحمة نهرهم، ومما يطوف بها... سَفَوانُ، وكاظِمَةُ، ومُسَلَّحَةُ، وبِئْرٌ، والنَّقيرةُ، والسودةُ، ووادي أبي جامعٍ، والشربةُ، والقُرْنَتَانِ، انقَضَتْ أَرْضُ البَحْرَيْنِ».
قال محمَّدُ بْنُ حميدِ اللَّهِ في كتابه «الوثائق السِّياسية للعَهْدِ النَّبويِّ» (ص ١٤٤، ١٥٩): «وَتَشْمَلُ أَرْضُ البَحْرَيْنِ بالتَّسْمِياتِ الحاليَّةِ: مَنَاطِقَ الأَحْسَاءِ، والقَطِيفِ، وما إليها مِنْ شَرْقِ السُّعُوديَّةِ، ومنطقةَ دَوْلَةِ الإماراتِ العَرَبيَّةِ المُتَّحِدَةِ، ودَوْلَةَ قَطَرَ، ودَوْلَةَ البَحْرَيْنِ، ودَوْلَةَ الكُوَيْتِ، وكذلك الجُزُرُ العَرَبيَّةُ في الخَليجِ».

(٦) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشامٍ (٤/ ٢٤٣).

إسلامُه[١]، وأَسْلَمَ جميعُ العَرَبِ هُناك[٢]، وأَصْبَحَ العَلَاءُ بْنُ الحَضْرَميِّ أَمِيرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ على أَرْضِ البَحْرَيْنِ بَرِّهَا وَبَحْرِهَا.

واستمرَّ العَلَاءُ واليًا على البَحْرَيْنِ حتَّى عَهْدِ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ، وقِيلَ: إنَّ عُمَرَ بَعَثَهُ على إِمْرَةِ البَصْرَةِ، فمات قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إليها[٣].

قال الشَّعْبيُّ: «**إنَّ عُمَرَ كَتَبَ إلى العَلَاءِ بْنِ الحَضْرَميِّ - وهو بالبَحْرَيْنِ- أَنْ: سِرْ إلى عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ عَمَلَهُ، وظَنَنْتُ أَنَّكَ أغنى مِنْهُ، فاعْرِفْ له حَقَّهُ. فَخَرَجَ العَلَاءُ في رَهْطٍ**[٤] -منهم أبو هُرَيْرَةَ، وأبو بَكْرَةَ- فلمَّا كانوا بـ(تِيَاسٍ)[٥] مات العَلَاءُ»[٦].

وكان أبو هُرَيْرَةَ يقولُ: «**رأيتُ مِنَ العَلَاءِ ثلاثةَ أَشْياءَ؛ لا أَزَالُ أُحِبُّهُ أَبَدًا: قَطَعَ البَحْرَ على فَرَسِهِ يَوْمَ (دَارِينَ)**[٧]، وقَدِمَ يُرِيدُ البَحْرَيْنِ، فَدَعَا اللَّهَ بـ(الدَّهْنَاءِ) فَنَبَعَ لَهُمْ مَاءٌ فارْتَوَوْا، ونَسِيَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بَعْضَ مَتَاعِهِ، فَرُدَّ، فَلَقِيَهُ ولم يَجِدِ الماءَ، ومات

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١١٧).

(٢) «عيون الأثر» (٢/ ٢٩٨).

(٣) «السِّير» (١/ ٢٦٣).

(٤) الرَّهْطُ -بالفَتْحِ وقَدْ يُحَرَّكُ-: ما دُونَ العَشَرَةِ مِنَ الرِّجالِ خاصَّةً، لا واحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، والجمع أَرْهُطٌ، وأَراهِطُ، وأَرْهَاطٌ، وأَرَاهِيطُ.

(٥) تياس -بزِنَةِ كِتابٍ-: موضعٌ بالباديةِ لبني تَمِيمٍ.

(٦) «السِّير» (١/ ٢٦٥).

(٧) دَارين: اسْمُ قَرْيةٍ بالبَحْرَيْنِ، (وتُسَمَّى -أيضًا- فُرْضَةَ -بالضَّمِّ-) يُجْلَبُ إليها المِسْكُ مِنَ الهِنْدِ، والنِّسْبةُ إليها: (دَارِيٌّ)، قال ياقوتٌ «إنَّ المسلمينَ اقتحموا إلى (دَارِينَ) البَحْرَ مَعَ العَلاءِ بْنِ الحَضْرَميِّ، فأَجَازُوا ذلك: الخَلِيجَ -بإِذْنِ اللَّهِ- جَمِيعًا، يَمْشُونَ على مثلِ رَمْلَةٍ مَيْثَاءَ، فَوْقَهَا ماءٌ يَغْمُرُ أَخْفَافَ الإِبِلِ، وإِنَّ ما بَيْنَ (دَارِيْنَ) والسَّاحِلِ مَسِيرةُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ لسَفَرِ البَحْرِ في بَعْضِ الحالاتِ، فَالْتَقَوْا وقَتَلُوا وسَبَوْا، فَبَلَغَ مِنْهُمُ الفارِسُ سِتَّةَ آلافٍ، والرَّاجِلُ أَلْفَيْنِ. فقال في ذلك عفيفُ بْنُ المُنْذِرِ:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللَّهَ ذَلَّـلَ بَحْـرَهُ ... وأَنْـزَلَ بالكُفَّارِ إِحْدَى الجَلائِلِ؟!

دَعَوْنَا الَّذي شَقَّ البِحَارَ فَجَاءَنا ... بأَعْجَبَ مِنْ فَلْقِ البِحَارِ الأَوَائِلِ!.»

انظر «معجم البلدان» (٢/ ٤٣٢)، وحاشية «سِيرَ أعلام النُّبلاء» (١/ ٢٦٥).

ونَحْنُ على غَيْرِ ماءٍ، فأَبْدَى اللَّهُ لنا سَحابةً فَمُطِرْنا، فَغَسَلْناهُ، وحَفَرْنا لَهُ بسُيُوفِنا، ودَفَنَّاهُ، ولم نُلْحِدْ[١] له»[٢].

دِحْيَةُ الكَلْبيُّ[٣]

هُوَ دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفةَ الكَلْبيُّ، صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، كان مِنْ أَجْمَلِ الصَّحابةِ المَوْجُودينَ بالمدينةِ؛ وكان جِبْرِيلُ رُبَّما نَزَلَ بصُورَتِهِ[٤].

أَسْلَمَ قَبْلَ بَدْرٍ، ولم يَشْهَدْها، وشَهِدَ ما بَعْدَها، وشَهِدَ اليَرْمُوكَ، وهُوَ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ[٥].

*** مِنْ فَضَائِلِهِ:**

أنَّ جِبْرِيلَ كان يَأْتي النَّبيَّ ﷺ في صُورةِ دِحْيَةَ، فعن جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ[٦] مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عليه السلام، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ -صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْهِ-، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا**

---

(١) يُقالُ: أَلْحَدَ المَيِّتَ: إذا عَمِلَ لَهُ لَحْدًا، واللَّحْدُ -بالفتح ويُضَمُّ-: القَبْرُ إذا أُمِيلَ بالمَيِّتِ عَنْ وسَطِهِ إلى جانِبِه، فإنْ دُفِنَ في وَسَطِهِ مِنْ غير انحرافٍ إلى أَحَدِ الجانبين فهو الضَّريحُ، والجَمع أَلْحادٌ كقُفْلٍ وأَقْفالٍ، ولُحُودٌ ككَعْبٍ وكُعُوبٍ.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٦٦).

(٣) دِحْيَةُ -بالكَسر ويُفْتَح- ابْنُ خَلِيفةَ بْنِ فَرْوَةَ بْنِ فَضَالةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ امْرِئِ القَيْسِ بْنِ خَزْرَجِ بْنِ عامرِ بْنِ بَكْرِ [في المخطوطة: بَكْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَوْف بْنِ عامِرٍ] بْنِ عَوْفِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ رُفَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبٍ -الكَلْبيُّ- ابْنِ وَبَرَةَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ عِمْران بْنِ الحافِ بْنِ قُضَاعَةَ بْنِ مالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مالِكِ بْنِ حِمْيَرِ بْنِ سَبَإٍ. انظر «اليمن في تاريخ ابن خَلْدُونَ» لمحمَّد حسين الفرح (ص١١٥).

(٤) «السِّير» (٢/ ٥٥٤).

(٥) «السِّير» (٢/ ٥٥١).

(٦) الضَّرْب -بالفتح-: النَّحِيفُ الخَفِيفُ اللَّحْمِ.

صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ- وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةُ».
وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: «دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ»[١].

انتقل إلى دِمَشْقَ، فَسَكَنَ (المِزَّةَ) إلى أَنْ ماتَ في خِلافةِ مُعاويةَ سَنَةَ خَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ.

ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الشَّنَئِيُّ[٢]

مِنَ السابقينَ إلى الإسْلام، وكان صديقًا للنَّبيِّ ﷺ في الجاهِلِيَّةِ، وكانَ رَجُلًا يَتَطَبَّبُ[٣] ويَرْقِي، ويَطْلُبُ العِلْمَ[٤].

قَدِمَ مِنَ اليَمَنِ إلى مَكَّةَ، فأَخْبَرَتْهُ قُرَيْشٌ أَنَّ صَدِيقَهُ مُحمَّدًا أَصَابَتْهُ رِياحٌ، فقال: أَيْنَ هذا الرَّجُلُ، لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ[٥].

فَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وكانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوْءَةَ[٦]، وكان يَرْقِي مِنْ هذِهِ الرِّيحِ[٧]، فَسَمِعَ سُفَهاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يقولُونَ: إنَّ مُحمَّدًا مَجْنُونٌ. فقال:

---

(١) رواه مسلم (١٦٧).
(٢) هو ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، كان رئيسًا في قَومِهِ وقَبِيلَتِهِ، وكان طَبِيبًا ماهِرًا.
(٣) يتطَبَّبُ: يتعاطَى عِلْمَ الطِّبِّ.
(٤) «الاستيعاب» (٢/ ٣٧٨).
(٥) «البداية والنهاية» (٣/ ٣).
(٦) أَزْد شَنُوْءَةَ الَّذين مِنْهُمْ ضِمادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ هُمْ: قَبائِلُ الأَزْدِ الَّذينَ كانوا يَسْكُنونَ منطقةَ تِهامةَ، ومنطقةَ السَّراةِ باليَمَنِ، وذلك أنَّ قَبائلَ الأَزْدِ لمَّا نَزَلَتْ مِنْ مَأْرِبٍ في سَيْلِ العَرِمِ، سارَتْ فِرْقةٌ مِنْهُمْ إلى عُمَانَ، فَسَكَنَتْ عُمانَ، وقِيلَ لهم: أَزْدُ عُمانَ، وسارَتْ فِرْقةٌ مِنْهُمْ إلَى الحِجَازِ والشَّامِ فَسَكَنُوهَا، وَهُمْ خُزَاعةُ بِمَكَّةَ والأَوْسُ والخَزْرَجُ بِيَثْرِبَ وَغَسَّان بالشَّام، وَبَقِيَتْ مِنْهُم فِرْقَةٌ باليَمَنِ، فَسَكَنَتْ تِهامةَ والسَّرَوَاتِ، فَقِيلَ لهم: أَزْدُ شَنُوْءَةَ، وأَزْدُ السَّراةِ، ومِنْهُمْ قَبِيلَةُ عَكٍّ، وكانتْ مَسَاكِنُهُمْ ما بَيْنَ البَحْرِ الأَحْمَرِ غَرْبًا إلى الجِبالِ شَرْقًا، ومِنْ مُدُنِهِمْ قدِيمًا: المهجم، والكَدْرَاءُ
انظر: «**اليمن في تاريخ ابن خَلْدُونَ**» (ص٦٤٦)، و«يمانيُّون في مَوْكِبِ الرَّسُولِ» (ص٣٤) كِلاهما لمحمَّد الفرح.
والمهجن: مِنْ أَعْمالِ زَبِيدَ. انظر المرجع السابق.
(٧) المُراد بالرِّيح هنا: الجُنُونُ، ومَسُّ الجِنِّ.

لَوْ أنِّي رَأَيْتُ هذا الرَّجُلَ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ على يَدَيَّ. قال: فَلَقِيَهُ، فقال: يا مُحَمَّدُ، إنِّي أَرْقي مِنْ هذه الرِّيحِ، وإنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟. فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إنَّ الحَمْدَ للَّهِ، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ**».

قال: فقال: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِماتِكَ هؤلاءِ. فأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَ مرَّاتٍ، قال: فقال: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ، وقَوْلَ السَّحَرَةِ، وقَوْلَ الشُّعَراءِ، فما سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِماتِكَ هؤلاءِ، ولَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ البَحْرِ(١). قال: فقال: هَاتِ يَدَكَ أُبايِعْكَ على الإسْلامِ. قال: فبايَعَهُ، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وعَلَى قَوْمِكَ؟**». قال: وعَلَى قَوْمي. قال: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بقَوْمِهِ، فقال صاحِبُ السَّرِيَّةِ للجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هؤلَاءِ شَيْئًا؟. فقال رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً(٢). فقال: رُدُّوها؛ فإنَّ هؤلاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ(٣).

لَقَدْ كان إسلامُ ضِمادٍ صَدْمَةً شَدِيدةً لقُرَيْشٍ؛ فهو بُرْهَانٌ مِنْ طَبيبٍ عظيم بأنَّ مُحمَّدًا ما بِهِ مِنْ جُنُونٍ، وإنَّما هُوَ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، وأنَّ كلامَ مُحمَّدٍ ما هُوَ كلامُ كاهنٍ، ولا ساحرٍ، ولا شاعرٍ، وإنَّما هُوَ كما وَصَفَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٤]، وكان ضِمادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه قَدْ بَلَغَ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا(٤).

تُوُفِّي في السَّنةِ السَّابعةِ -أَوِ التَّاسعةِ- مِنَ الهِجْرَةِ، بمنطقتِهِ باليَمَنِ -رضي اللَّهُ عنه وأَرْضاهُ(٥)-.

---

(١) ناعُوس البَحْرِ: قَعْره الأَقْصَى ولُجَّته.

(٢) المِطْهرة -بالكَسْرِ والفَتْحِ-: الإناء الَّذي يُتَوضَّأُ ويُتَطَهَّرُ بِهِ، والجمعُ المَطَاهِرُ.

(٣) رواه مسلم (٨٦٨).

(٤) يُقال: عَتَا الشَّيخُ يَعْتُو عُتِيًّا -بتَثْلِيْثِ العَيْنِ-، وَعُتُوًّا: إذا انتهى سنُّهُ وكَبِرَ، وشيخٌ عاتٍ: إذا صار إلى حالِ اليُبْسِ والجَفافِ، والجمع عُتِيٌّ - بضَمِّ العَيْنِ وكَسْرِها-.

(٥) انظر «يمانيُّونَ في مَوْكِبِ الرَّسول» (ص٣٧).

عُقْبَةُ بْنُ عامِرٍ الجُهنيُّ(١)

هو الصَّحابيُّ الجَليلُ عُقْبةُ بْنُ عامِرٍ الجُهَنيُّ ، كان عالمًا مُقْرِئًا ، فَقِيهًا فَرَضِيًّا(٢) شَاعِرًا كَبِيرَ الشَّأْنِ.

أَسْلَمَ في السَّنةِ الأُولى للْهِجْرَةِ(٣)، وكان مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ، ومِنَ الرُّماةِ المَذْكُورينَ(٤) وكان مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بالقُرآنِ، ذاتَ مَرَّةٍ قَالَ لَهُ عُمَرُ: اعْرِضْ عَلَيَّ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ سُورةَ بَرَاءَةَ، فَبَكَى عُمَرُ، وقال: ما كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّها نَزَلَتْ -أَيْ: ما كَأَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُها؛ لِحُسْنِ ما حَبَّرَهُ عُقْبَةُ بتِلَاوَتِهِ(٥)-.

ولَقَدْ كان عُقْبَةُ بْنُ عامرٍ وقَبيلةُ جُهَيْنَةَ في طَلائِعِ الجَيْشِ(٦) الإسلاميِّ الَّذي انْطَلَقَ لفُتُوحِ الشَّامِ.

قال ابْنُ حجرٍ: «**شَهِدَ عُقْبةُ بْنُ عامرٍ الفُتُوحَ، وكان هُوَ الْبرِيد(٧) إلى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ بفَتْحِ دِمَشْقَ**»(٨).

وشَهِدَ عُقْبَةُ فَتْحَ القُدْسَ، وبقِيَّةَ فُتُوحِ الشَّامِ الَّتي شَهِدَها عَمْرُو بْنُ العاصِ، وقَدِ استقرَّتْ فِرْقَةٌ مِنْ قَبيلةِ جُهَيْنَةَ في الأُرْدُنِّ، وهُمْ فَرْعٌ يُسَمَّى (آلَ جُهَيْنَةَ) مِنْ عَشَائِرِ شَرْقِيِّ الأُرْدُنِّ(٩).

---

(١) هو الصَّحابيُّ الجَليلُ عُقْبَةُ بْنُ عامرِ بْنِ عَبْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ رِفاعةَ بْنِ مودعةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ غَنْمِ بْنِ الرَّبْعَةِ بْنِ رَشْدانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ الجُهَنيُّ. انظر «الإصابة» (٢/ ٤٨٩).

(٢) الفَرَضِيُّ -بفتحتين-: الَّذي يَعْرِفُ الفَرائِضَ (أي: العِلْمَ بِقِسْمَةِ المَواريثِ).

(٣) «الإصابة» (٢/ ٤٨٩).

(٤) «السِّير» (٢/ ٤٦٧).

(٥) «الإصابة» (٢/ ٤٨٩).

(٦) طلائع الجيش: القَوْمُ يُبْعَثُونَ لمُطالعةِ خَبَرِ العَدُوِّ كالجواسيسِ، واحدُهم طَليعةٌ.

(٧) البريد -بزِنَةِ أمير-: الرَّسُول.

(٨) «الإصابة» (٢/ ٤٨٩).

(٩) المرجع السابق (٢/ ٤٨٩).

وشَهِدَ عُقْبَةُ بْنُ عامِرٍ فَتْحَ مِصْرَ، وكان في قَلْبِ جَيْشِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ[١]، وكان عُقْبَةُ بْنُ عامرٍ أَحَدَ كِبارِ الصَّحابةِ والقادةِ في مِصْرَ، مُنْذُ بدايةِ فَتْحِها عامَ (٢٠هـ) إلى أَنْ أَصْبَحَ واليًا عليها عامَ (٤٤هـ)، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَقْرَأَ أَهْلَ مِصْرَ القُرْآنَ الكَرِيمَ، وماتَ سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسِينَ هِجْرِيَّةً في مِصْرَ[٢].

الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسيُّ[٣]

الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو صاحِبُ النَّبيِّ ﷺ، كان سيِّدًا مُطاعًا، مِنْ أَشْرَفِ العَرَبِ، وكان أَرِيبًا شاعرًا[٤]، صاحِبَ تجارةٍ.

أَسْلَمَ قديمًا قَبْلَ الهِجْرَة، وذَهَبَ إلى قَوْمِهِ، فَدَعاهُمْ إلى اللَّهِ، فَهَدَاهُمُ اللَّهُ على يَدَيْهِ، فلمَّا هاجَرَ النَّبيُّ ﷺ إلى المدينةِ، جاءَهُ بتسعينَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ دَوْسٍ مُسْلمينَ، وقَدْ خَرَجَ عامَ (اليَمامَةِ) مع المُسلمين، ومَعَهُ ابْنُهُ عَمْرٌو، فرَأَى الطُّفَيْلُ في المَنامِ كأَنَّ رَأْسَهُ قَدْ حُلِق، وكأَنَّ امْرأَةً أَدْخَلَتْهُ في فَرْجِها، وكأَنَّ ابْنَهُ يَجْتَهِدُ أَنْ يَلْحَقَهُ فلم يَصِلْ، فَأَوَّلَها[٥] بأَنَّهُ سيقتلُ ويُدْفَنُ، وأَنَّ ابْنَهُ يَحْرِصُ على الشَّهادةِ، فلا ينالُها عامَهُ ذلك، وقَدْ وَقَعَ الأَمْرُ كما أَوَّلَها، ثُمَّ قُتِلَ ابْنُهُ شَهِيدًا يَوْمَ (اليَرْمُوكِ)[٦].

فَرْوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ المُراديُّ[٧]

فَرْوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ صَحابيٌّ جَلِيلٌ، كان سيِّدَ قَوْمِهِ (مُرادَ ومَذْحِجَ) في الجاهليَّةِ

(١) «فتوح الشام» للوَاقِدِيِّ (٢/ ١٤٦).

(٢) «السِّير» (٢/ ٤٦٧).

(٣) هو الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ طَرِيفِ بْنِ العاصِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَلِيمِ بْنِ فَهْمِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دَوْسٍ الدَّوْسيُّ. انظر «الاستيعاب» (ص٢٣٥).

(٤) «السِّير» (٢/ ٣٤٤).

(٥) أوَّلها: فَسَّرها وعَبَّرها.

(٦) انظر «البداية والنِّهاية» (٦/ ٧٢٩).

(٧) هو فَرْوَةُ بْنُ مُسَيْكِ بْنِ الحارثِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الحارثِ بْنِ كُرَيْبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مالكِ بْنِ مِينا بْنِ غُطَيْفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ناجِيَةَ بْنِ مُرادٍ الغُطَيْفيُّ المُراديُّ. انظر «الاستيعاب» (٣/ ١٩٩)، و«الإصابة» (٣/ ٢٠٤).

والإسلامِ، وكان أَرِيبًا شاعرًا، ذا هَيْبةٍ، وسيِّدًا مُطاعًا في قَوْمِهِ.

قَدِمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ يَوْمِ الرَّدْمِ(١) وأَسْلَمَ، واستعملَهُ النَّبيُّ ﷺ على مُرادَ، ومَذْحِجَ، وزُبَيْدَ كُلِّها، وبَعَثَ مَعَهُ خالدَ بْنَ سَعيدِ بْنِ العاصِ على الصدقةِ، فكان مَعَهُ في بلادِهِ حتَّى تُوُفِّي رسولُ اللَّهِ ﷺ(٢).

عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ المُراديِّ رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَلَا أُقاتِلُ مَنْ أَدْبَرَ مِنْ قَوْمِي بِمَنْ أَقْبَلَ منهم؟.

---

(١) يَوْم الرَّدْم -بالفتح-: يومٌ دارتْ فيه وَقْعَةٌ بَيْنَ مُرادَ وهَمْدانَ في السَّنةِ الثانيةِ للْهِجْرةِ -ولم تكنِ القبيلتانِ قَدْ أَسْلَمَتَا بَعْدُ-، أَصَابتْ فيها هَمْدانُ مِنْ مُرادَ حتَّى أَثْخَنُوهم، قال فَرْوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ في ذلك اليَوْمِ:

فإِنْ نَغْلِبْ فَغَلَّابُونَ قِدْمًا ... وإنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَا
وما إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ، ولكِنْ ... مَنايانا ودَوْلَةُ آخَرِينَا
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ ... تَكُرُّ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينَا
فَبَيْنَا ما نُسَرُّ بِهِ ونَرْضَى ... -وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارتُهُ سِنِينَا-
إِذِ انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتُ دَهْرٍ ... فَأَلْفَيْتَ الأُلَى غُبِطُوا طَحِينَا
فَمَنْ يُغْبِطْ بريْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ ... يَجِدْ رَيْبَ الزَّمانِ لَهُ خَتُونا
فَلَوْ خَلَدَ المُلُوكُ إِذًا خَلَدْنا ... وَلَوْ بَقِيَ الكِرامُ إِذًا بَقِينَا
فَأَفْنَى ذلِكُمْ سَرَواتِ قَوْمِي ... كما أَفْنَى القُرُونَ الأَوَّلِينَا

قَوْلُهُ: قِدْمًا -بالكسر- أَيْ: قَديمًا. والمُغَلَّبُ: الَّذي يُغْلَبُ مِرارًا، مُرادُهُ: لم نُغْلَبْ إلَّا مرَّةً واحدةً. وما طِبُّنا -بالكسر- أَيْ: ما دَهْرُنا وشَأْنُنا وعادَتُنا، أو: ما شَهْوَتُنا. والدَّوْلةُ -بالفتح- في الحَرْبِ: الانتقالُ مِنْ حالِ الهَزِيمةِ إلى حالِ النَّصْرِ والغَلَبةِ، والجمع الدُّوَل -بالكسر-. ودَوْلَتُهُ سِجالٌ -بزِنَةِ كِتابٍ- أَيْ: مُتَداولةٌ بَيْنَ القَوْمِ، سَجْلٌ منها على هؤلاء، وآخَرُ على هؤلاء، وأَصْلُهُ: أنَّ المُسْتَقِيَيْنِ مِنَ البِئْرِ يكونُ لكُلِّ واحدٍ منهما سَجْلٌ (أَيْ: دَلْوٌ مَلْأَى ماءً). والكَرُّ: العَطْفُ والحَمْلَةُ، وبابُهُ رَدَّ، وكُرُورًا -أيضًا-، وتَكْرارًا -بالفتح- وصُرُوفُ الدَّهْرِ: شَدائدُهُ ونَوائِبُهُ، واحدُها صَرْفٌ -بالفتح-. والغَضارةُ -بزِنَةِ سَحابةٍ-: النِّعْمَة والخَيْرُ وسَعَةُ العَيْشِ. وكرَّات الدَّهْرِ: حَمَلاتُهُ. وأَلْفيتَ: وَجَدْتَ. والأُلَى: الَّذينَ. وغَبَطَهُ -مِنْ بابِ ضَرَبَ-: إذا تمنَّى نِعْمَتَهُ مِنْ غَيْرِ أنْ يُرِيدَ زوالَها عنه، فإنْ تمنَّى زوالَها فهو الحَسَدُ. ويُغْبط: مِنْ أَغْبَطَ، إذا سُرَّ. ورَيْبُ الدَّهْرِ -بالفتح-: صُرُوفُهُ.

وخَلَدَ: دام بَقاؤُهُ، وبابُهُ دَخَلَ، وخُلْدًا -أيضًا بالضَّمِّ-. والسَّرَوات: السَّادةُ الأَشْرافُ الكِرامُ، جمع سَرَاةٍ -بالفتح-، والسَّراة اسْمُ جَمْعِ سَرِيٍّ -بزِنَةِ غَنِيٍّ-.

(٢) ابن هشامٍ في «السِّيرة» (٤/ ٢٥١).

فَأَذِنَ لي في قِتالِهِمْ وأَمَّرَني، فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ سأل عنِّي: **«ما فَعَلَ الغُطَيْفيُّ؟»**. فأُخْبِرَ أنِّي قَدْ سِرْتُ. قال: فأَرْسَلَ في أَثَري فَرَدَّني، فأَتَيْتُهُ وَهُوَ في نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ، فقال: **«ادْعُ القَوْمَ، فَمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ فاقْبَلْ مِنْهُ، ومَنْ لم يُسْلِمْ فلا تَعْجَلْ، حَتَّى أُحْدِثَ إلَيْكَ»**[١].

وقَدْ قام فَرْوَةُ بواجبِهِ خَيْرَ قِيام، وعِنْدَما تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ في وَجْهِ المُرْتَدِّين -ومنهمُ الأَسْوَدُ العَنْسيُّ حتَّى قُتِلَ-، وكان سَبَبًا في تَثْبيتِ قَوْمِهِ، ثُمَّ شارك في الفُتُوحِ، وفي آخِرِ حياتِهِ سَكَنَ في صَنْعَاءَ في حيٍّ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ إلى أَنْ تُوُفِّي رضي الله عنه.

عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبَيْديُّ[٢]

هُوَ الصَّحابيُّ الجَليلُ عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ، كان فارِسَ العَرَبِ، مَضْروبًا بهِ المَثَلُ في الشَّجاعةِ، وشاعرًا مُحسنًا، وممَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

إذا لَـمْ تَـسْـتَـطِـعْ شَـيْـئًـا فَـدَعْـهُ ... وجَـاوِزْهُ إلـى مـا تَـسْـتَـطِـيـعُ

وشِعْرُهُ هذا مِنْ مذهباتِ القَصَائِدِ[٣]، مَطْلَعُهُ:

أَمِـنْ رَيْـحـانَـةَ الـدَّاعي الـسَّـمِـيـعُ[٤] ... يُؤَرِّقُني[٥]، وأَصْحَابي هُجُوعُ[٦]؟![٧]

وقال عنه أبو عبيدةَ: «كان عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ فارِسَ اليَمَنِ، وهُوَ مُقَدَّمٌ على

---

(١) تقدَّم تخريجُهُ.

(٢) هُوَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُصْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُنَبِّهٍ -وهُوَ زُبَيْدٌ الأَصْغَرُ- ابْنِ رَبيعةَ بْنِ سَلِمَةَ بْن مازِنِ بْنِ رَبيعةَ بْنِ شَبْيَةَ -وهُوَ زُبَيْدٌ الأكبرُ- ابْنِ الحارِثِ بْنِ صعفِ بْنِ سَعْدِ العَشِيرَةِ بْنِ مَذْحِجٍ الزُّبَيْديُّ المَذْحِجيُّ أبو ثَوْرٍ. انظر «البداية والنِّهاية» (٧/ ١١٧).

(٣) مُذهبات القَصائد: القصائِد المكتوبة بماءِ الذَّهَبِ.

(٤) السَّميع: يكون بمعنى السَّامعِ، وبمعنى المُسْمِعِ، وداعٍ سَميعٌ: مُسْمِعٌ كخبيرٍ ومُخْبِرٍ.

(٥) يُؤَرِّقُني: يُسْهِرُني.

(٦) هُجُوع: جمع هاجعٍ، وهو النَّائِمُ لَيْلًا، ويُجْمَعُ -أيضًا- على هُجَّعٍ.

(٧) «الاستيعاب» (٢/ ٥٢٠).

زَيْدِ الخَيْلِ[١] في الشِّدَّةِ والبَأْسِ»[٢].

وقال عنه الحافظُ ابن كَثِيرٍ: «كان مِنَ الشُّجْعَانِ المَذْكُورِينَ، والأَبطَالِ المَشْهُورِيْنَ، والشُّعراءِ المُجِيدِينَ»[٣].

وقال الحافظُ ابن حجرٍ: «**لَهُ الوَقَائِعُ**[٤] المَذْكُورةُ في الجاهليَّةِ، ولَهُ في الإسْلامِ بالقَادِسِيَّةِ بَلاءٌ حَسَنٌ، وهُوَ فَحْلٌ في الشَّجَاعةِ والشِّعْرِ[٥].

قال عَمْرُو بْنُ العَلَاءِ: لا يُفَضَّلُ عليه فارسٌ في العَرَبِ»[٦].

*** صِفَاتُه:**

كان أَعْظَمَ ما يكونُ مِنَ الرِّجالِ، أَجَشَّ الصَّوْتِ[٧]، إذا الْتَفَتَ الْتَفَتَ بجَمِيعِ جَسَدِهِ[٨].

قَدِمَ عَمْرُو على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في وَفْدِ زُبَيْدَ، ووَفْدِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ مَعَ مَذْحِجَ فأَسْلَمُوا[٩].

وحِيْنَ ماتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِيلَ: إنَّ عَمْرًا ارْتَدَّ، وفي ذلك كلامٌ، فإنْ صَحَّ ذلك فقَدْ صَحَّ أنَّه أَسْلَمَ فيما بَعْدُ، وحَسُنَ إسلامُهُ، ولَهُ الوقائعُ المَشْهُورةُ في الفُتُوحِ:

---

(١) زيد الخَيْل: أُضِيفَ إلى الخَيْلِ لشجاعَتِهِ، فَسَمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ زَيْدَ الخَيْر؛ لأنَّهُ بمَعْنَاهُ، و-أَيْضًا- أَزَالَ تَوَهُّمَ أَنَّهُ سُمِّيَ بِهِ، لما اتَّهَمَهُ بِهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيرٍ مِنْ أَخْذِ فَرَسٍ له.

(٢) «الأغاني» (١٤/ ٢٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٧٢).

(٤) الوَقائع: الحُرُوب والمعارك، واحِدَتُها وَقيعةٌ كالوَقْعَةِ.

(٥) الفَحْل -بالفَتْح- في الشَّجَاعةِ: الَّذِي يَغْلِبُ مَنْ يُبارِزُهُ بالسَّيفِ. وفي الشِّعْرِ: الَّذي يَغْلِبُ بالهِجاءِ مَنْ هاجاهُ، وكذا كُلُّ مَنْ إذا عارَضَ شاعرًا فُضِّلَ عليه، والجمعُ فُحُولٌ.

(٦) البداية والنهاية (٥/ ٧٢).

(٧) رَجُلٌ أَجَشُّ الصَّوتِ: في صَوْتِهِ جُشَّةٌ، وهي شِدَّةٌ وغِلَظٌ.

(٨) «الإصابة» (٣/ ١٨).

(٩) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (٤/ ٢٥٢).

كفَتْحِ فارِسَ، والرُّومِ.

وكان فَصِيحًا بليغًا شاعرًا مُجوِّدًا.

فَعَنِ الشَّعْبيِّ أنَّه قال: قال عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: يا عَمْرُو، أَخْبِرْني عَنِ الحَرْبِ.

فقال: «**سَأَلْتَ عَنْها خَبِيرًا، هي -واللَّهِ- مُرَّةُ المَذَاقِ، إذا شَمَّرَتْ عَنْ ساقٍ**[1]، **مَنْ صَبَرَ فيها عُرِفَ ومَنْ ضَعُفَ فيها تَلِفَ**[2]»[3]. ومِنْ شِعْرِهِ:

الحَرْبُ -أَوَّلَ ما تَكُونُ- فَتِيَّةٌ[4] **تَسْعَى بِبِزَّتِهَا**[5] **بِكُلِّ جَهُولِ**

حَتَّى إذا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا[6] **وَلَّتْ**[7] **عَجُوزًا غَيْرَ ذاتِ حَلِيلِ**[8][9]

شَمْطَاءَ[10] **جَزَّتْ رَأْسَها**[11]**، فَتَنَكَّرَتْ**[12] **مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ والتَّقْبِيلِ**

وفي «جامع البُخاريِّ»: «**كانتْ إذا وَقَعَتِ الحَرْبُ، يأْمُرونَ بحِفْظِ أَبْياتِ عَمْرِو ابْنِ مَعْدِ يْكَرِبَ**»[13].

---

(١) السَّاقُ في اللُّغَةِ: الأَمْرُ الشديد؛ لأنَّ الإنسانَ إذا دَهَمتْهُ شدَّةٌ شَمَّرَ لها عَنْ ساقَيْهِ، وقولُهُم: شَمَّرتِ الحَرْبُ عَنْ ساقٍ: كِنايةٌ عَنِ الالْتِحامِ والاشتدادِ.

(٢) تَلِفَ: هَلَكَ، وبابُهُ فَرِحَ.

(٣) «مُرُوج الذَّهب» للمسعوديّ (٢/ ٣٣٤).

(٤) فَتِيَّة أَيْ: شَابَّة.

(٥) البِزَّة -بالكسر-: الهَيْئة واللِّبْسَة.

(٦) الضِّرام -بالكسر-: لَهَب النَّارِ.

(٧) وَلَّتْ: أَدْبَرَتْ وذَهَبَتْ.

(٨) حليلُ المرأة: زَوْجُها، وهي حَليلَهُ -أيضًا- وحَلِيلَتُهُ، سُمِّيا بذلك؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما يُحَالُّ صاحِبَهُ (أَيْ: يَحُلُّ معه في دارٍ واحدةٍ)، والجمع الحَلائِلُ.

(٩) في «مُرُوج الذَّهب»:

حَتَّى إذا حَمِيَتْ وشَبَّ ضِرَامُها
عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ.

(١٠) عَجوزٌ شَمْطَاءُ -بزِنَةِ حَمْراءَ-: مُخْتَلِف شَعَر رَأْسِها بلَوْنَيْنِ مِن سَوَادٍ وبياضٍ، والجمع شُمْطٌ.

(١١) جَزَّتْ رَأْسَها: قَطَعَتْ شَعَرَهُ وحَلَقَتْهُ، وبابُ جَزَّ رَدَّ.

(١٢) تنكَّرَتْ: تَغَيَّرَتْ عَنْ حالٍ تَسُرُّ إلى حالٍ تُكْرَهُ.

(١٣) ابن هشامٍ في «السيرة» (١/ ٣٠٢).

وأمَّا شجاعتُهُ وشِدَّةُ بَأْسِهِ فَقَدْ سارتْ بذِكْرِهِ الرُّكْبانُ في الجاهليَّةِ والإسلامِ، ففي القادسيَّةِ كان يقولُ: يا مَعْشَرَ المُهاجرين، كونوا أُسُودًا أَشِدَّاءَ، إذا جاءَتْهُ نُشَّابةٌ[١]، فأصابتْ قَرَبُوسَ سَرْجِهِ[٢]، فَحَمَلَ على صاحِبِها[٣]، فأَخَذَهُ كما تُؤْخَذُ الجاريةُ، فوَضَعَهُ بَيْنَ الصَّفَّين، ثُمَّ احْتَزَّ رَأْسَهُ، وقال: اصْنَعُوا هكذا[٤].

وكان رضي الله عنه مِنَ المُعَمَّرينَ، تُوُفِّي سَنَةَ (٢٥هـ)[٥]، وقيل: سنة (٢١هـ)[٦].

عُفَيِّفُ بْنُ مَعْدِ يْكَرِبَ الكِنْديُّ[٧]

عُفَيِّفُ بْنُ مَعْدِ يْكَرِبَ الكِنْديُّ صَحابيٌّ جَليلٌ، قَدِمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ -عامَ الوُفُودِ في السَّنةِ التَّاسعةِ وأَسْلَمَ، ومَكَثَ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ بالمدينةِ.

قال ابْنُ حَجَرٍ: «قال الطَّبَريُّ: اسْمُهُ شَرَاحِيلُ، وعُفَيِّفٌ لَقَبٌ له».

وقال الجاحِظُ: «اسْمُهُ شَرَاحِيلُ، ولُقِّبَ عُفَيِّفًا لقولِهِ:

---

(١) النُّشَّابة -بزِنَةِ الرُّمَّانةِ-: السَّهْمُ، والجمع نُشَّابٌ.

(٢) قَرَبُوسُ السَّرْجِ -بزِنَةِ حَلَزُونٍ-: حِنْوُهُ، وهُوَ كُلُّ عُودٍ مُعْوَجٍّ مِنْ عِيْدانِهِ، وللسَّرْجِ قَرَبُوسانِ، والجمع قَرابِيسُ.

(٣) حَمَلَ عليه -مِنْ باب ضَرَبَ- في الحَرْبِ حَمْلَةً: كَرَّ وعَطَفَ.

(٤) «الإصابة» (٣/ ١٩).

(٥) انظر «يمانيُّون في مَوْكِبِ الرَّسُول» (ص٧٤١).

(٦) «البداية والنِّهاية» (٧/ ١١٧).

(٧) هُوَ أَخُو المَلِكِ قَيْسِ بْنِ مَعْدِ يْكَرِبَ بْنِ مُعاويةَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ رَبيعةَ بْنِ مُعاويةَ الأكرمين ابْنِ الحارِثِ الأَصْغَرِ ابْنِ الحارثِ الأكْبَرِ ابْنِ مُعاويةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ مُرْتِعٍ -واسْمُهُ عَمْرٌو- ابْنِ مُعاويةَ بْنِ كِنْدَةَ الكِنْديُّ. انظر «الاستيعاب» (١/ ١٠٩). وكان بنو مُعاويةَ الأكرمين مُلُوكَ وزُعَماءَ حَضْرَمَوْتَ في الجاهليَّةِ، وأمَّا كِنْدَةُ فاسْمُهُ -كما قال ابْنُ خَلْدُونَ- ثَوْرُ بْنُ عُفَيْرِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الحارثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أُدَدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ. وبلادُ كِنْدَةَ بِجِبالِ اليَمَنِ ممَّا يَلِي حَضْرَمَوْتَ، ومنها دَمُّونُ -بزِنَةِ تَنُّورٍ- الَّتي ذكرها امْرُؤُ القَيْسِ في شِعْرِهِ. انظر «اليَمَن في تاريخ ابن خَلْدُونَ» لمحمَّد الفرح (ص١٤٠).

وقائلةٍ: هَلُمَّ[١] إلى التَّصابي[٢] فَقُلْتُ: عَفَفْتُ[٣] عمَّا تَعْلمينا»[٤].

قال ابْنُ عَبْدِ البَرِّ القُرْطُبيُّ: «ولا يَخْتَلِفُونَ -أي: العُلَماءُ- أنَّ عُفَيِّفًا الكِنْديَّ له صُحْبةٌ، رَوَى عَنْهُ ابْنَاهُ يَحْيَى وإياسٌ أَحَادِيثَ، مِنْها نزولُهُ على العبَّاسِ في أوَّلِ الإسلامِ، حديثٌ حَسَنٌ جِدًّا»[٥].

وَقدْ شَارَكَ عُفَيِّفٌ فِي فُتُوحَاتِ العِرَاقِ: كَالْقَادِسِيَّةِ وَفَارِسَ وَأَذْرَبِيجَانَ، وَاسْتَقَرَّ بِالْكُوفَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ.

الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الكِنْدِيُّ[٦]

هُوَ الصَّحابيُّ الجليلُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الكِنْديُّ، كان سَيِّدًا

(١) هَلُمَّ: اسْمٌ لِفِعْلِ الأَمْرِ بمعنى: أَقْبِلْ وتَعالَ.

(٢) التَّصابي: جَهْلَةَ الفُتُوَّةِ واللَّهْوِ مِنَ الغَزَلِ.

(٣) عفَّ عَنِ الحرام: كَفَّ، وبابُهُ ضَرَبَ، وعَفافًا -أيضًا-، وعَفَافةً، وعِفَّةً -بالكسر-، فهو عَفٌّ، وعَفِيفٌ.

(٤) «الإصابة» (٢/ ٤٨٧). وكان عُفَيِّفٌ مِنَ الَّذينَ حَرَّمُوا الخَمْرَ على أَنْفُسِهِمْ في الجاهليَّةِ؛ صِيانةً لنَفْسِهِ وتكرُّمًا وتحلِّيًا منهُ بمكارمِ الأخلاقِ، وقَدْ حاولتْ فَتَاةٌ أنْ تُغْرِيَهُ باللَّهْوِ والشُّرْبِ في مَجْلِسِ أخيهِ المَلِكِ قَيْسٍ، فأَبى عُفَيِّفٌ، وقال في ذلك:

وقائلةٍ: هَلُمَّ إلى التَّصابي فَقُلْتُ عَفَفْتُ عَمَّا تَعْلَمِينَا
ووَدَّعْتُ القِدَاحَ وقَدْ أَرَاني بِهَا فِي الدَّهْرِ مَشْغُوفًا رَهِينَا
وحَرَّمْتُ الخُمُورَ عليَّ حَتَّى أَكُونَ بقَعْرِ مَلْحُودٍ دَفِينا

انظر «يمانيُّون في مَوْكِبِ الرَّسُولِ» للفرح (ص٧٤٥).

(٥) «الاستيعاب» (٣/ ١٦٣).

(٦) هُوَ المَلِكُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَعْدِ يْكَرِبَ بْنِ مُعاويةَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ رَبِيعَة بْنِ مُعاويةَ الأكرمين ابْنِ الحارِثِ الأَصْغَرِ ابْنِ مُعاوِيةَ بْنِ الحارث الأَكْبَرِ ابْنِ مُعاويةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ مُرْتِعِ بْنِ مُعاويةَ بْنِ كِنْدَةَ الكِنْدِيُّ، فهو مَلِكٌ مِنْ سُلالةِ المُلُوكِ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ كِنْدَةَ، وقَدْ تَعَصَّبَ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ بالتَّاجِ وَهُوَ صَغِيرٌ، وشارَكَ في الحُكْمِ مُنْذُ عَهْدِ أبيه مَلَكِ كِنْدَةَ وحَضْرَمَوْتَ، وممَّا يتَّصلُ بذلك قولُ ابْنِ مُسافِعٍ الغَطَفَانيِّ:

لَسْتَ كالأَشْعَثِ المُعَصَّبِ بالتَّا جِ غُلامٌ قَدْ سَادَ وَهْوَ فَطِيمُ
جَدُّهُ آكِلُ المُرَارِ، وقَيْسٌ خَطْبُهُ في المُلُوكِ خَطْبٌ عَظِيمُ

(المُرار -بالضَّمِّ-: شَجَرٌ مُرٌّ، إذا أكلتْهُ الإِبِلُ قَلَصتْ عَنْهُ مَشَافِرُها، فَبَدَتْ أسنانُها. وآكلُ المُرارِ هُوَ مُرْتِعُ بْنُ مُعاويةَ الكِنْديُّ؛ لأنَّ ابنةً كانتْ له، سَبَاها ابْنُ هَبُولَةَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ سَلِيحٍ، فقالتْ له: كأنَّك بأبي قَدْ=

وَجِيهًا[١]، وكريمًا سَمْحًا، ومَلِيكًا مُطاعًا، وهُوَ آخِرُ مُلُوكِ كِنْدَةَ[٢]، قَدِمَ على رَسُولِ اللَّهِ سَنَةَ (٩هـ).

قال ابْنُ هِشامٍ: «قَدِمَ الأَشْعَثُ في ثَمانينَ راكبًا مِنْ كِنْدَةَ، فَدَخَلُوا على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مسجده، وقَدْ رَجَّلوا[٣] جُمَمَهُمْ[٤]، وتكحّلُوا، عَلَيْهِمْ جُبَبُ[٥] الحِبَرَةِ[٦]، وقَدْ كَفَّفُوها[٧] بالحَرِير»[٨].

وَقدْ شَارَكَ الأَشْعَثُ في الفُتُوحِ، وأَبْلَى بَلاءً حَسَنًا[٩]، وهُوَ مَنْ فَتَحَ إقْليمَ أَذْرَبِيْجَانَ وغَيْرِها، وقاد كَثيرًا مِنَ الوَقائعِ الحَرْبيَّةِ في الفُتُوحاتِ الإسلاميَّةِ، ووَلَّاهُ على أَذْرَبِيْجَانَ وإرْمِيْنِيَةَ واستمرَّ واليًا عليها إلى وَفاةِ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ عليِّ بْنِ أبي طالبٍ، ثُمَّ نَزَحَ إلى الكُوفةِ، وفيها تُوُفِّي سَنَةَ (٤٢هـ)، وصَلَّى عليه الحَسَنُ بْنُ عَليِّ بْنِ أبي طالِبٍ رضي الله عنهم.

= جاء كأنَّهُ جَمَلٌ آكِلُ المُرارِ -يعني كاشرًا عَنْ أنيابِهِ-؛ فَسُمِّيَ بذلك.

وقيل: إنَّه كان في نَفَرٍ مِنْ أصحابِهِ في سَفَرٍ، فأَصَابَهُمُ الجُوعُ، فأمَّا هُوَ فأكلَ مِنَ المُرارِ حتَّى شَبِعَ ونجا، وأمَّا أصحابُهُ فلم يُطيقوا ذلك، حتَّى هَلَكَ أكثرُهم، فَفَضَلَ عليهم بصَبْرِهِ عَلَى أَكْلِهِ المُرَارَ).

وقال أَعْشَى قَيْسٍ الشَّاعرُ الجاهليُّ -يَمْدَحُ قَيْسًا أبا الأَشْعَثِ-:

عُـدَّ هـذا في قَـرِيضٍ غَيْـرِهِ ... واذْكُرَنْ في الشِّعْرِ دِهْقَانَ اليَمَنْ
بأَبي الأَشْـعَـثِ قَيْـسٍ؛ إنَّـهُ ... يَشْتَرِي الحَمْـدَ بمَنْفُوسِ الثَّمَنْ

القريض -بزِنَةِ أميرٍ-: الشِّعْر. والدِّهْقان -بالكسر والضَّمِّ: القويُّ على التَّصَرُّفِ مَعَ حِدَّةٍ، والجمع دَهاقِنَةٌ، ودَهَاقِينُ.

(١) وجيهًا: ذا جاهٍ وقَدْرٍ، والجمع وُجَهَاءُ.

(٢) «قُرَّةُ العُيُونِ في أَخبارِ اليَمَنِ المَيْمُون» لابْنِ الربيع (ص٤٢).

(٣) تَرْجيل الشَّعَرِ: تَسْريحه وإرْسَالُهُ بِمَشْطِهِ.

(٤) الجُمَمُ: جمعُ جُمَّةٍ -بالضَّمِّ-، وهي الشَّعَرُ إذا بَلَغَ المَنْكِبَيْنِ، وتُجْمَعُ -أيضًا- على جِمامٍ.

(٥) الجُبَبُ: جمعُ جُبَّةٍ -بالضَّمِّ-، وهي ضَرْبٌ مِنْ مُقَطَّعاتِ الثِّيابِ تُلْبَسُ، وتُجْمَعُ -أيضًا- على جِبابٍ.

(٦) الحِبَرَة -بزِنَةِ العِنَبَةِ، ويُحَرَّكُ-: ضَرْبٌ مِنْ بُرُودِ اليَمَنِ مُخَطَّطٌ، والجمعُ حِبَرٌ، وحِبَرَاتٌ.

(٧) كَفَّفوها: خاطوا حاشِيَتَها، وهو الخِياطةُ الثَّانيةُ بَعْدَ الشَّلِّ.

(٨) «السِّيرة النَّبويَّة» لابْنِ هِشام (٤/ ٢٥٤).

(٩) أَبْلَى في المعركةِ بَلاءً حسنًا: اجْتَهَدَ.



فهرس الموضوعات

* * *


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
حرز المسلم من الكتاب والسنة
تأليف
أبي عبد الله
فيصل بن عبده بن قائد الحاشدي
أمة في رجل
التحذير من الدنيا
الملخص النفيس الميسر في مصطلح الحديث والأثر
مكتبة
الإمام الألباني
اليمن-صنعاء-الدائري الغربي أمام الجامعة الوطنية-هاتف: (٠١/٤٧٤٥٠٤)
فرع شميلة - حي شميلة - أمام جامع الخير - ص.ب: (١٣٠٠١)- هاتف:(٠١/٨٢٧٩٨٦)
فرع المكلا- حي السلام -مقابل مسجد بازرعة - هاتف: (٠٥/٣١٦٤٣٧)
جوال: (٧٧٧٢٣٧٤٣٨)-(٧١١١٣٧٤٣٨)